

مخنارات الاسرائيلية



December. 2006

السنة الثانية عشرة- العدد ١٤٤ ديسمبر ٢٠٠٦



ترجمات عبرية

نص خطاب أولمرت على قبة رابين جوريون

تداعيات الحرب مع لبنان: تزايد قوة حزب الله

لماذا تزايد أعداء النازحين من إسرائيل..؟

نص الحوار مع جمال كارموني مؤسس منظمة "ميامري"

تراجع ثقة الإسرائيليين في الجيش ومؤسسات الدولة

رؤية عربية

حنة وميخائيل.. صورة للصراع داخل المجتمع الإسرائيلي

مخنارات السرائيلية

مجلة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
العدد ١٤٤ - ديسمبر ٢٠٠٦

رئيس مجلس الإدارة	رئيس التحرير	مدير المركز
صلاح الغمري	أسامة سرايا	د. عبد المنعم سعيد
رئيس التحرير		
د. عماد جاد		
مدير التحرير		
أيمن السيد عبد الوهاب		
وحدة الترجمة		
أحمد الحملي	عادل مصطفى	محب شريف
د. يحيى عبد الله	منير محمود	محمد اسماعيل
المستشار الفني		
السيد عزمي	حامد العويضي	سكرتارية التحرير الفنية
المدير الفني		
مصطفى علوان		

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠ / ٥٧٨٦١٠٠ / ٥٧٨٦٢٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣

المحتويات

المقدمة..... ٤

أولاً : الدراسات

- ١ - كتاب الثورة اليائسة (الباب الثاني- الفصل الثالث).....جادی تاوب ٥
- ٢ - هنا والآن... عمير بيرتس والحالة الإسرائيلية (الفصل السابع).....يهوشع سوبول ١٩
- ٣ - العلاقات بين القيادة المدنية والقيادة العسكرية في إسرائيل.....رام إيريز ٢٦
- ٤ - نظرة جديدة لحرب عيد الغفران (حرب أكتوبر ١٩٧٣).....ندوة بالجامعة العبرية ٢٩

ثانياً : الوثائق

- ١ - نص خطاب "يهود أولمرت" في الذكرى السنوية لوفاة "دافيد بن جوريون".....صحيفة هآرتس ٤٧
- ٢ - تعليق على خطاب أولمرت: "أفق سياسى واضح".....افتتاحية هآرتس ٤٩

ثالثاً : شهادات

- ١ - "شفرة رابين" في ذكرى اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "يتسحاق رابين".....إيلان نيغف ٥٠

رابعاً : افتتاحيات الصحف.....إعداد: وحدة الترجمة ٥٥

خامساً : الترجمات العبرية

تداعيات توسيع الائتلاف الحكومي:

- ١ - بيرتس سيستمر في التأهب.....موطي زيفت ٦٣
- ٢ - ليبرمان يتحول إلى غير ذي صلة.....نيتسان كيدار ٦٣
- ٣ - فوق الحكومة والكنيست.....باروخ كمرلينج ٦٤
- ٤ - جايدمالك: رئيس الوزراء أم رئيس الأركان.....يشعياهو أشبل ٦٥
- ٥ - أولمرت ضد الجميع.....افتتاحية هآرتس ٦٦
- ٦ - ما كان يجب عمله في الربيع، لا يمكن عمله في الشتاء.....سيفر بلوتسکر ٦٧

زيارة أولمرت لواشنطن:

- ١ - المواطنون يشعرون بالقلق.....ألوف بن ٦٨
- ٢ - بلا أجندة وفخور بذلك.....باراك رافيد ٦٩
- ٣ - أبواب منزلقة في واشنطن.....ألوف بن ٧٠
- ٤ - قمة الفاشلين.....بيوئيل ماركوس ٧١
- ٥ - أولمرت وحالوتس وسكان الشمال.....يوسى ساريد ٧٢

تداعيات المواجهة بين إسرائيل وحزب الله:

- ١ - النقد يتجاهل إنجازات الفرقة ٩١.....عاموس هرئيل ٧٣
- ٢ - استفزاز في سماء لبنان.....افتتاحية هآرتس ٧٦
- ٣ - إسرائيل ولبنان: المعركة الآن على السياحة.....هيئة تحرير ידיעות أحرونوت ٧٦
- ٤ - حزب الله أقوى مما كان عليه قبل الحرب.....هيئة تحرير ידיעות أحرونوت ٧٨

الشان الفلسطيني:

- ١ - فوضى.....عاميت كوهين ٧٩
- ٢ - كفوا عن إطلاق النار في غزة.....افتتاحية هآرتس ٨١
- ٣ - ضحايا في خدمة حماس.....دان مرجليت ٨٢

- ٤ - قوة دولية لفزة.....افتتاحية هاآرتس ٨٢
- ٥ - لنعاود احتلال غزة.....حاجى هوبرمان ٨٣
- ٦ - الانتصار هو أهون الأمرين.....داني روبنشتاين ٨٤

■ علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية:

- ١ - إيران تطور صاروخ يفوق بكثير سرعة صاروخ شهاب.....زئيف شيف ٨٥
- ٢ - الحكومة الإسرائيلية تعقد جلستها في لوس أنجلوس.....يتسحاق بن حورين ٨٦
- ٣ - حان وقت التضامن اليهودي.....آفي بيكر ٨٧
- ٤ - بريطانيا: "إسرائيل دنست المقابر البريطانية في غزة".....هيئة تحرير يديعوت أحرونوت ٨٨

■ المجتمع الإسرائيلي:

- ١ - الطلبات تؤكد: "الإسرائيليون يفضلون الذكور".....تمارا تراوفمان ٨٩
- ٢ - لا لمسيرة الشواذ في قلب مدينة القدس.....زئيف سيجل ٩٠
- ٣ - خسارة أنه لا توجد معارضة علمانية للحريديم.....موران رادا ٩١
- ٤ - ارتفاع عدد الإسرائيليين الذين تنازلوا عن جنسيتهم.....إيلي بردنشتاين ٩٢
- ٥ - الغالبية تفضل العيش في وسط إسرائيل.....ماتان تسوري ٩٢
- ٦ - الجامعة المفتوحة.....أفيشاي بن حاييم ٩٣
- ٧ - إسرائيل من أسوأ الدول على مستوى العالم في التزييف.....تاني جولدشتاين ٩٤
- ٨ - قانون "المقيمين غير الشرعيين" يلزم عائلات إسرائيلية بالمغادرة.....شحر إيلان ٩٥

■ حوارات:

- ١ - حوار مع نائب وزير الدفاع "إفرايم سينييه".....أهارون برنياع وأمنون إبراموفيتش ٩٧
- ٢ - حوار مع "يجال كارمون" مؤسس ومدير منظمة "ميمري".....روتى بلوم ١٠٢
- ٣ - حوار مع "بنيامين إيلون" رئيس قائمة "الاتحاد القومي- المفدال" في الكنيست.....جدعون آلون ١٠٧

■ استطلاعات:

- ١ - مقياس السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٦.....إفرايم ياعر وثمار هيرمان ١١٠
- ٢ - تراجع ثقة الجمهور في مؤسسات الدولة والجيش.....روتى سيناى ١١٢
- ٣ - أولمرت الأكثر فساداً وليفنى الأكثر استقامة.....جيل حوريف ١١٢
- ٤ - الجمهور يفضل مراقب الدولة على أولمرت.....يوسى فيرتر ١١٤
- ٥ - وزيران فقط يؤيدان مسيرة الشواذ.....رونى سوفير ١١٥
- ٦ - الحريديم أكثر الطوائف المكروهة في إسرائيل.....أساف زلينجر ١١٦
- ٧ - واحدة من كل خمس إسرائيليات تتعرضن للاغتصاب.....ثمار طرابلسى حداد ١١٧
- ٨ - الأغلبية تطالب باستقالة بيرتس.....هيئة تحرير معاريف ١١٨
- شخصية العدد: الرئيس العاشر للكنيست "دوف شيلانسكي".....إعداد: وحدة الترجمة ١١٩

◆ سادساً: رؤية عربية

- ١ - جدوى بقاء بيرتس والعمل في الحكومة الإسرائيلية.....صبحى عسيلة ١٢٠
- ٢ - "حنة وميخائيل" .. صورة للصراع داخل المجتمع الإسرائيلي.....طلعت رضوان ١٢٣
- ◆ سابعاً: مصطلحات عبرية.....إعداد: وحدة الترجمة ١٢٧

◆ مقدمة ◆

مبادرات لحسابات داخلية

في خطابه على قبر "بن جوريون"، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي "يهود أولمرت" استعداداه لبدء مفاوضات تقود إلى دولة فلسطينية مستقلة متواصلة الأجزاء تعيش في أمن وسلام إلى جوار دولة إسرائيل. وقد أدت هذه التصريحات إلى إطلاق موجة من التكهنات بقرب إطلاق مفاوضات سلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وجنى أولمرت من وراء هذا التصريح إشادات دولية وإقليمية بل وأيضاً من رئاسة السلطة، كان في أشد الحاجة إليها، لأنها سرعان ما انعكست على شعبيته في الداخل، فبدأت تعرف التحسن لأول مرة منذ انتهاء الحرب مع حزب الله.. ولم تشعر القوى السياسية اليمينية بأي مشكلة مع تصريحات أولمرت، لأنها، حسب زعيم حزب "إسرائيل بيتنا"، وزير التهديدات الاستراتيجية، أفيجدور ليبرمان، مجرد تصريحات لم تنتقل إلى الواقع، أي لن تتحول إلى سياسة عملية.

ونظراً لما أثارته هذه التصريحات من تقدير خارجي، فقد بدأت الأنظار تتجه مجدداً إلى الساحة الفلسطينية في انتظار حل حكومة حماس وتشكيل حكومة وحدة وطنية تلقى القبول الدولي والإقليمي وتفك الحصار وتتهيء المقاطعة وتمثل شريك السلام "المفقود" على الجانب الفلسطيني. وبدا الأمر وكأنه متوقف برمته على تشكيل الحكومة الجديدة. وقد تلقفت حركة حماس هذه الفكرة وأخذت تروج لخطاب جديد يقبل بدولة فلسطينية مستقلة على الأراضي التي احتلت في عدوان يونيو ١٩٦٧، وبموجب هذه التصريحات تراجعت المقاطعة وقيودها وبدأ رئيس الوزراء الفلسطيني "إسماعيل هنية" أول جولة خارجية له بزيارة القاهرة.

وسرعان ما بدا واضحاً أن كافة الجهود الرامية إلى تشكيل الحكومة بعيدة المنال، بسبب تباعد برنامجي فتح وحماس، هذا فضلاً عن فشل كافة جهود الوساطة العربية التي كانت ترمي إلى تقريب المواقف وإقناع الحركتين الأكبر بضرورة تشكيل حكومة مشتركة أو حكومة من الفنيين - التكنوقراط - وذلك من أجل التعامل مع التحديات القائمة.

في نفس الوقت، رفضت حركة حماس كافة الدعوات الرامية لإجراء انتخابات تشريعية مبكرة من أجل طرح كافة البرامج على الشعب الفلسطيني وترك الشعب يختار ما يريد من برامج.. فيكون أمامه برنامج حماس الداعي إلى مواصلة المقاومة لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر والرافض للتجاوب مع الشرعية الدولية، وأيضاً برنامج حركة فتح الذي يقبل بحل الدولتين، ويقبل بدولة فلسطينية مستقلة وفق الحدود التي كانت قائمة قبل عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧، دولة مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية مع حلول عادلة لقضية اللاجئين.. وحسب اختيار الشعب الفلسطيني، سوف تتشكل الحكومة الجديدة، وتواصل العمل لتنفيذ برنامجها الذي تبناه الشعب الفلسطيني أو غالبية.

وهكذا، بدت الصورة واضحة، تصريحات من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلي ظلت مجرد تصريحات، وأخرى من حكومة حماس بقت كذلك، واستمر الجمود سيد الموقف.. فأولمرت وهنية أطلقا تصريحات "سلام" وأشاعا التفاؤل لحسابات خاصة بكل منهما، ولم يكن للسلام الحقيقي مكان في قلب كل منهما أو عقله.

♦ دراسات ♦

١

كتاب الثورة اليائسة الباب الثانى (المدنية الجديدة) الفصل الثالث: الجدل بشأن التعليم

بقلم: جادى تاوب - ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن وجود حرب من جانب الحركة النسائية ضد السيطرة الرجالية فيما يتعلق بالتعليم، نظراً لأن هذه الحركة والعناصر المقربة منها تعد هي العنصر المسيطر على مجال التعليم بمفهوم معين. وعندما شن وزير التعليم الأسبق أمنون روبنشتاين هجوماً على شروط الالتحاق بالجامعات (فى مقال تحت عنوان "القاطرة التى تقود الاقتصاد" نشر فى صحيفة هاآرتس بتاريخ ١٩٩٦/٦/١١) وأرجع إلى هذه الشروط وإلى "معايير الجودة الزائفة التى تمثلها" التسبب فى وجود فوارق اجتماعية بين الطبقات، كان يفعل بذلك نفس ما فعلته الحركة النسائية على امتداد وجودها. فقد هاجم المعايير واتهمها بالمسؤولية عن خلق الواقع الذى كشفت هذه المعايير عن وجوده. وقال إن اختبارات القبول بالجامعات هى المسئولة عن نشأة عدم المساواة. وكما حدث بالنسبة لمهاجمة الحركة النسائية للمعايير المشتركة بين النساء والرجال، فقد اتهم الوزير معايير الجودة بأنها مزيفة، بمعنى أنها تمثل مصالح محدودة. وعلى حد قوله فلم تكن هذه المعايير عبارة عن اشتراطات تخصصية من جانب المؤسسات الأكاديمية، وإنما كانت محاولة لمنع الفقراء من الوصول إلى قلاع الصفوة التى يدافع عنها كل "من يؤيد الوضع الذى كان سائداً قبل ذلك"، وكل من كانوا يسعون إلى الاحتفاظ بحقوقهم المبالغ فيها. لقد تم وصم الشكاوى المتكررة من جانب الأكاديميين من انخفاض مستوى الطلاب الذين يلتحقون بالمؤسسات الأكاديمية بأنها مزيفة، وبالتالي فقد انتقلت المسؤولية من ملعب وزارة التعليم إلى ملعب المؤسسات الأكاديمية. فما هو الشيء المزيف فى معايير الجودة؟ وما هى معايير الجودة غير المزيفة؟ وما هى قيمة الثقافة الجامعية إذا كانت لا تضى بمعايير الجودة فى تأهيل الطلاب؟ لم يخبرنا الوزير السابق بأى شيء عن هذا.

ليس فى هذا الكلام ما يجعلنا نعتقد أن المؤسسة التعليمية مشغولة بإعادة بناء القوالب الفكرية، أو بنظريات المؤامرة أو بتكريس الشعور بالظلم. لم يكن الأمر هنا متعلقاً بإدانة سيطرة فئة معينة على مجريات الأمور. ولكن ما كان يشغل بال وزارة التعليم فيما يتعلق بمعايير الجودة جاء لأسباب مماثلة.

رغم أن من الممكن الرجوع بهذه الأفكار لنجد أساسها فى أعمال روسو، فإن الدفعة الأساسية لهذه الأفكار قد جاءت من فلسفة جون ديوى التعليمية، ولأسيما من التفسير الذى أعطته لهذه الفلسفة الحركة التعليمية التى تلتها (رغم التحفظ الشديد الذى أبداه ديوى نفسه على هذا التفسير). لقد اقترح ديوى أن يكون التلميذ نفسه وليس المادة العلمية هو الأساس، وفتح بذلك الباب أمام الفكر التربوى الذى يرى أن مهمته الأساسية هى ألا يعرقل النمو الطبيعى للطفل. وبالتالي فقد كان أنصار هذا التيار الذى أصبح منتشراً الآن ينظرون إلى المؤسسة التعليمية على أنها مؤسسة لا تطلب شيئاً من الدارسين بها، ولا تكلفهم بواجبات ولا بمهام، وإنما على أنها مؤسسة تسعى للفوز برضاها وتوفير الجو الملائم لهم بعيداً عن الإكراه على العمل وبعيداً عن الامتحانات، ومهمتها هى منع تلوث براءتهم الطبيعية. وتستمد سياسة خفض الميزانيات المخصصة لامتحانات إنهاء الدراسة الثانوية، والمزاعم التى قيلت لتبرير هذه السياسة، أسسها من هذا الفكر. وأصبح من البديهي النظر إلى كل ما يتسم بالصرامة على أنه عقبة فى طريق النمو

الطبيعي، أو عقبة في طريق تلك التلقائية العاطفية المرتبطة بتعبير الفرد عن نفسه، والتي تسعى وزارة التعليم إلى منع عرقلتها. وكان من الأعراض المصاحبة لهذه النظرية إصدار تعليمات لكل مدرس في المؤسسات التعليمية في اليوم التالي لاغتيال يتسحاق رابين بتخصيص ساعة كاملة في بداية اليوم الدراسي لتمكين الطلبة من التعبير عن مشاعرهم. غير أن الطلبة الذين كانوا يشعرون بحيرة تفوق حيرة الكبار كان يهمهم قبل أن يعبروا عن مشاعرهم أن يسمعو - من الجهة التي يفترض أن تكون المسئولة وذات السلطة، أو من ذوى الخبرة - تفسيراً يعيد الأمور إلى نصابها، ويضع الحادث في حجمه الحقيقي. وبدلاً من ذلك عرضت عليهم وزارة التعليم التعبير عن مشاعرهم والاستماع لفيض من مشاعر زملائهم. وتماشى هذه السياسة حسبما سأحاول أن أوضح مع الفلسفة الشائعة بين رجال التعليم الآن.

هناك مجموعة كبيرة من المواقف الرومانسية - التي تتناول البراءة الطبيعية المذكورة التي زعموا وجودها لدى الأطفال في مقابل الفساد الذي تتطوى عليه الحضارة - تقف وراء النظرية التعليمية الجديدة، التي تركز الإبداع والتعبير عن النفس. ولذلك فإن هذه النظرية نفسها تتعارض مع أهدافها. لأن الآلية الاجتماعية التي من المفترض أن تساعد الإنسان على الانتقال من الطفولة إلى النضوج قائمة على فكرة أن هذا الانتقال نفسه هو انتقال من عالم الخير إلى عالم الشر (حتى لو كان شراً لا بد منه)، أو انتقال من عالم المشاعر البريئة الأولى الطبيعية إلى عالم باهت وآلى قائم على الحسابات. ومن المفترض في المعلم الذي يقف أمام الفصل أن يمثل موقفاً يشكك في وقوفه مكانه. وهذا التناقض فيما يبدو لي هو على الأقل أحد أسباب الشعور الشديد بالارتباك والتردد لدى الشباب، الذي يميل البعض إلى وصفه بأنه "انعدام للمبادئ".

ومع هذا، وحيث أن المواطن في المستقبل من المفترض أن يمر بتطورات تضعه في مصاف كبار السن، فإن المؤسسة التعليمية تسعى إلى تزويده بما يبدو لها أنه وسيلة للنجاة، متمثلاً في ضمان قدرته على المنافسة في سوق العمل المعاصر. والمؤسسة التعليمية مسئولة عن هذا أمام المجتمع كله كما صرح بذلك كثيراً وزير التعليم. وحسبما صرح روبنشتاين نفسه في المقال المشار إليه أنفاً فإن التعليم هو القاطرة التي تجذب الاقتصاد وراءها. ومعنى ذلك أن المدارس لا بد أن توفر للمجتمع احتياجاته المستقبلية من القوة البشرية، من العمالة المدربة المناسبة لاحتياجات اقتصاد المستقبل. ويتناول العديد من المقالات المنشورة عن التعليم تنمية المهارات والقدرات التحليلية والوعي التكنولوجي، وتحليل احتياجات السوق ومعدل تغير التكنولوجيا، كما تتناول ميكنة المدارس وبنية الفصل المستقبلي.

ويبدو لي أن هذه هي الوسيلة الملائمة التي تجعلنا نفهم الخطاب الجديد لرجال التعليم، الذين يعرضون علينا تنمية المهارات من ناحية والقدرة على الإبداع من ناحية أخرى. وتعتبر المدارس الجديدة للطبيعة والفنون عما نعتبره اليوم مهمة المؤسسة التعليمية. فمن المفترض في هذه المؤسسة من ناحية أن تكسب الطلبة قدرات - مثل الإلمام باللغات والتخصصات العلمية والرياضيات والحاسوب - ومن المفترض فيها من جهة أخرى ألا تقلل من قدرتهم على التعبير عن أنفسهم باستقلالية. والدراسات الإنسانية هي الوحيدة التي ليس لها علاقة بالقدرات ولا بتنمية المهارات الإبداعية. ولذلك فإن هذه الدراسات لا تلقى الاهتمام الكافي. حيث يتم الحد منها بدعوى محاربة أسلوب حفظ المقررات الدراسية، إذ أن الحفظ كما هو معلوم يتنافى مع الناحية الإبداعية. وبالتالي فقد أصبحت المؤسسة التعليمية بالكامل معدة لسماع آراء الطالب وليس لتلقيه الآراء السائدة، أو كما يحبون أن يصيغوا ذلك فإنها معدة للتعلم من الطالب وليس لتعليمه. وبذلك فإنها تكاد تعلن بصراحة أنها ليس لديها ما تقدمه للطالب، وبهذه الطريقة تحول العملية التعليمية بالكامل إلى شيء مثير للسخرية. إذ أن المؤسسة التعليمية تعترف في الواقع بعدم قدرتها على أن تفعل ما تتظاهر بأن من المفترض أن تفعله.

يمكن القول إذن بأن المؤسسة التعليمية تعتبر أن مهمتها هي إكساب التلاميذ الحد الأدنى المطلوب من القدرات والمهارات، وهو الحد الذي يعد ضرورياً، ولكنها لا تسعى إلى حجب قدرتهم على الإبداع فيما يتجاوز هذا الحد الأدنى الضروري. وهناك نوع من التقارب بين هذه النظريات - التي تدعو إلى عدم الوقوف أمام النمو الطبيعي والتي تعتبر أي تدخل في هذا النمو نوعاً من القهر - وبين النظرية التي قامت عليها الحركات النسائية. والحق أن مصطلح القهر سرعان ما وجد لنفسه مكاناً بارزاً في فلسفة التعليم اعتباراً من عقد الستينات - الذي يعد عصر تحرير الغريزة والإبداع من القيود - وهو العقد الذي ظهر فيه رجال التعليم الذين ينتمون إلى ما وصف بالتيار الراديكالي. وقد كان هناك تشابه يدعو للدهشة بين مزاعم هؤلاء وبين مزاعم الحركة التنويرية الجديدة. فقد زعموا أن المدارس تثقل للطلاب رسالة ضمنية بالإضافة إلى الرسالة العلنية، وتتجلى هذه الرسالة في صورة التنظيم السلطوي داخل المدرسة، وكذلك في المادة الدراسية التي يتلقاها الطلاب. وهذه الرسالة هي رسالة تشكيلية، حيث يهدف التحايل على أفكار الطالب إلى جعله كائناً يدين بالولاء للإطار الاجتماعي الذي ولد فيه، ولإقناعه بأن القيم التي يتلقاها في

المدرسة لا يمكن وصفها سوى بأنها الحقيقة، وأن هذه هي الطريقة الوحيدة الصائبة للحياة. وبذلك فإنهم يقولون لنا أساساً أن المدارس تقوم بعمل غسيل مخ للطلاب.

وبهذه الطريقة، وقبل وقت طويل من ظهور حركات التحرر الاجتماعية وانتشار أفكارها، كانت الأفكار المقاربة لروح أفكارها قد ضربت بجذورها في المؤسسة التعليمية وتحولت إلى ما يمكن وصفه بأنه "الأساس". وقد كان هناك من يمكن وصف أفكارهم بأنها تعبر تمام التعبير عن هذا الأساس مثل د. دان شارون المدير العام السابق لوزارة التعليم. كتب شارون يقول: "إن التمسك بتلقين الطالب مواد معلوماتية يخلق أمامنا الطريق إلى التفكير في أشياء أخرى، لأنه يحمل بين طياته الدعوة إلى رفض وجهات النظر الأخرى باسم مبادئ مشكوك في قيمتها".

إن مصطلحات كتلك التي يستخدمها شارون على غرار "الرسائل الضمنية" أو "غسيل المخ" هي نفس المصطلحات التي تستخدمها حركات التحرر الاجتماعي والحركات النسائية والتيار الراديكالي في مجال التعليم لكي تضفي في نظرنا نوعاً من الأهمية على عملية بسيطة وبديهية، وذلك لأن ما تفعله أي مدرسة - بشكل ليس ضمنياً على الإطلاق وإنما بشكل معلن - هو عملية مشاركة في التأهيل الاجتماعي. وفي إطار هذه العملية تؤثر المدرسة على الطالب ليتقبل أيضاً مبادئ وفنون المجتمع. وعلى سبيل المثال ففي الدول الديمقراطية تعمل المدارس عن قصد على إكساب التلاميذ وعياً بأهمية الديمقراطية، وتبذل جهوداً واضحة تماماً لدعم الإيمان بالديموقراطية. والقهر أو الإكراه هو كلمة مضللة للغاية إذا استخدمت في وصف هذه الجهود، وذلك لأن الفكرة الديمقراطية تتطوى في حد ذاتها على الإيمان بأن من حق الفرد أن يكون له رأيه المستقل. ولا حاجة بنا إلى التعمق في البحوث الاجتماعية لنكتشف أن كثيرين في المجتمع الإسرائيلي - من اليهود والفئات الأخرى - يرفضون بالفعل الأفكار التي تعرضها عليهم المؤسسة التعليمية الرسمية، وحق الممارسة الديمقراطية يقف إلى جانبهم. وبهذا المفهوم فلن يكون لهذه النوعية من "الإكراه" سوى تأثير جزئي.

إن فكرة أن من الممكن تقليل مساحة التأهيل الاجتماعي لتكون قاصرة على تلقين مجموعة من المهارات التي لا علاقة لها بالقيم الأساسية المفترضة أو بالنظم المفترضة ليست سوى فكرة ساذجة. وليس هناك ما يمكن وصفه بأنه مجموعة من القدرات الوظيفية البحتة، ولو كان لهذا المصطلح وجود لما كان سيصبح كافياً لتمكين المرء من أداء مهامه في المجتمع من حوله، لاسيما وأن هذا المجتمع لديه بعض المعتقدات الأساسية المشتركة بقدر أو بآخر وبعض العادات المشتركة بقدر أو بآخر. وهذا النوع من الافتراضات الساذجة أكثر شيوعاً لدى المؤسسة التعليمية، ولكن أنصار حركات التحرر الاجتماعي في المدارس يرفضونه. فهم ينكرون تماماً وجود أي معلومات محايدة من النوع الذي يريد دان شارون تلقينه للتلاميذ. وإذا كان الأمر كذلك فإن الخلاف إذن لا يتركز حول المضامين الخفية في التعليم ومحاولة كشفها وتنقية التعليم منها، وإنما حول مدى عمق هذه المضامين وانتشارها، وإمكانية اقتلاعها. وبما يتفق مع ذلك هناك أيضاً خلافات حول مدى قوة وتأثير القهر والإكراه في مجال التعليم. وعلى سبيل المثال فإن أهارون أفيرام المسئول بالإدارة التعليمية في جامعة بئر سبع يعرض علينا النظر إلى العلاقات بين الأطفال والكبار على أنها حالة تصور "استعباد فئة من السكان لفئة أخرى". وهناك خط يمتد بين هذه النوعية من المزاغم وبين حركة المطالبة بمنح حق الاختيار للجنين وهو في بطن أمه.

وحتى ما تعتبره المؤسسة التعليمية مهارات منزهة عن المضامين الخفية - مثل دراسات المواطنة التي تركز تماماً على الناحية الشكلية في السياسة الإسرائيلية، وهو ما يقلل من قدرتها على الإقناع بالقيم المطلوبة - تعتبره حركات التحرر الاجتماعي شيئاً مختلفاً تماماً. وعلى سبيل المثال تشير باعيل تامير الأستاذة بقسم الفلسفة في مدرسة المعلمين العليا بجامعة تل أبيب - في إطار مقال يتناول التعليم والأخلاق - إلى عدة عناصر بديهية لدى الحركة التنويرية الجديدة بخصوص نظام الحكم، فتقول: "لقد كشفت الأقليات العرقية والأفراد الذين لهم تفضيلات جنسية أو ثقافية أو اقتصادية ترفضها الأغلبية عن أنه في ظل قناع من الحيدة قامت الديمقراطية الليبرالية بنشر مبادئ محددة، وهي مبادئ الرجال الغربيين البيض البروتستانت". وعندما يكون المعلم منتصباً إلى الطبقة المسيطرة، ويأتي إلى الفصل وهو مزود بالمادة الدراسية ذات المضمون الخفي الذي يعبر عن هذه الطبقة، فإنه لا يصبح عاملاً في خدمة الحقيقة، وإنما في خدمة عناصر سياسية متطرفة.

في استطاعة مثل هذه الصياغات أن تصور أي تأهيل اجتماعي مهما كانت محدوديته على أنه نوع من القهر أو الإكراه، بغض النظر عن أن مضمون تلك القيم التي وصفت بأنها محددة ينطوي في جوهره على تعليم التسامح. حيث تسعى تامير أساساً إلى منعنا باسم التسامح الراديكالي من إمكانية فرض التسامح على الآخرين. لأن التسامح لدينا هو قيمة محددة إذا جاز لنا أن نقول هذا.

من هذا المنطلق فإن التعليم بصفة عامة - حتى لو كان تعليم التسامح - ينطوي على إكراه. لأن أي تعليم -

حسبما أوضحت تامير في موضع آخر - ليس سوى تدخلاً في حياة الآخر. ولذلك فإنه حتى المرأة الليبرالية التي تقوم بتعليم أبنائها تعليماً ليبرالياً إنما تتدخل في حياتهم. وهذا التدخل يحد من قدرتهم على اختيار أساليب حياتهم. ويبدو لي أن هناك شيء غريب في فكرة أن أي تدخل في حياة الآخر هو إكراه. فإذا كان الأمر كذلك، لابد أن نسأل أنفسنا؛ هل من حق عامل الإنقاذ الذي يعمل على إنقاذ المصطافين من الفرق في البحر الحق في التدخل في حياة الفريق؟.. ليس من الممكن تنفيذ هذه المقارنة، نظراً لأن تامير تصف الأطفال بأنهم كالفرق، الذين ليس في استطاعتهم النجاة بدون تدخل - من هذه النوعية - في حياتهم. وهي تنقل لنا موقف كليفورد جيرتس، الذي تتفق معه في اعتقاده أن الإنسان يولد غير كامل. وتقوم عملية التأهيل الاجتماعي باستكمال ما نقص نتيجة للعوامل الوراثية. ولذلك فإنها تعترف بحق الطفل في تلقي تعليم. ولكنها ليست مستعدة لأن ترتب على ذلك حق الآباء في تعليم أبنائهم. إذ أن التعليم في نظرها ليس تدخلاً في حياة الإنسان غير الكامل وغير المستقل فحسب. وقد كتبت تقول: "إن أهم سمة في التعليم هي أنه تدخل يجري بهدف التأثير على حياة الإنسان في المستقبل". ولا يجب أن نقيّد مستقبل الإنسان بمنظومة القيم التي نؤمن بها نحن. وحيث أن كل تعليم هو "إكراه"، فإنها ترتب على ذلك أنه "ليس لأي إنسان ولا لأي مؤسسة الحق في تعليم الآخر تحت أي ظروف". وأن "إلغاء حق المؤسسات والأفراد في تعليم الآخر ينطبق على كافة أشكال التعليم مهما كان مضمونها".

تريد تامير في نهاية الأمر الوصول إلى تعليم خال من "الإكراه" يسمح للأطفال بالاستقلالية عندما يكبرون، بما يتيح لهم اختيار طريقهم بشكل مستقل وعقلاني وغير مرتبط بثقافة المعلمين. وتريد بذلك الوصول إلى تعليم يحمي الطفل من خطر أن يتحول هذا التعليم نفسه إلى وسيلة قهر، تحرمه من حقه في أن يصبح إنساناً مستقلاً. وعلى هذا فإن ما يجب أن يفعله التعليم يشبه عرض كتالوج بالاحتمالات المتاحة في المستقبل على الإنسان، حتى يتمكن من اختيار أسلوب الحياة الذي يناسبه منها. فنحن نعترف بأن قدرة الأطفال على الاختيار الحر والعقلاني ترتبط بأن يسمح لهم تعليمهم بتقييم الإمكانيات المتاحة لهم واتخاذ قرار عقلاني (وليس الاختيار بشكل عشوائي). وهناك قدر كبير من السذاجة في الاعتقاد بأن من الممكن تعليم الإنسان بشكل ينطوي على تعميم، بحيث يتمكن هو نفسه من اختيار المضامين المحددة لما سيتعلمه في مرحلة معينة. وقد رفض جيرتس نفسه هذه النظرية تماماً. فالتأهيل الاجتماعي في نظره ليس سوى وضع مضامين محددة، ولا يمكن تنفيذ ذلك بعيداً عن المضامين، بالضبط كما لا يمكن تعليم الإنسان الكلام إذا لم نكن سنعلمه أن يتكلم بلغة محددة.

مما يدعو للدهشة أن تامير - التي تولت بنفسها الكشف عن اشتراطات معينة في منظومات قيم تتظاهر بالحيادة، والتي تتكرر حيدة كافة منظومات القيم التي صادفتها - تعتقد أن الدعوة لجعل الإنسان يقوم بالاختيار بشكل عقلاني ليس لها أي مضمون. إذ أننا لو نجحنا في جعل كافة الناس عقلانيين ألن نجد من يحرضهم ضد كل ما ليس عقلانياً؟.. ولذلك لابد أن نتساءل عما إذا كان هناك من الأفراد أو المؤسسات من له الحق في تعليم غيره مهما كانت الظروف، بغض النظر عن المضمون. من أين أعطت تامير لنفسها الحق في أن تقرر أن الهدف من التعليم هو تحقيق تلك الاستقلالية العقلانية؟.. وبأي حق نحاول تعليم التلميذ مناهضة التطرف الديني والآراء المسبقة والعنصرية؟.. إن الرد على هذا السؤال هو أن كل هذا الجهد يبذل أساساً باسم الحرية، ولذلك فإن من البديهي استبعاد النظريات الرافضة للحرية. ولكن تامير ترفض فكرة أنه لابد من تلقين التلاميذ الحرية كقيمة، على اعتبار أن هذه الفكرة هي نوع آخر من الإكراه. فالإكراه هنا - كما هو الحال في كافة القضايا التي تعالجها حركات التحرر الاجتماعي - هو المفتاح لفهم التغيرات الدلالية لديها. فتلقين أي قيمة هو إكراه. وبما أن الإكراه - سواء في تلقين قيم الديمقراطية أو في تلقين أي شيء آخر - هو رأس كل الخطايا، فقد تطلب الأمر من تامير الالتفاف حول دلالات الألفاظ، بما يتيح لها المناورة لتوجيه التلاميذ إلى الاتجاه الذي تريده دون أن يكون من الممكن الإشارة إلى أي نية من جانبها أو أي ارتباط بها (كمعلمة). فهي من ناحية تريد أن يصل التلميذ إلى شاطئ الأمان، ولكنها من ناحية أخرى تريد أن تتصرف بحيث لا يبدو بشكل مباشر ولا بشكل ضمني أنها قد أثرت عليه في هذا الاتجاه. والمشكلة أن هذين الأمرين متناقضان.

كان التيار الراديكالي يعتقد أنه قد توصل إلى الحل (الذي تؤمن به تامير أيضاً) لهذه المشكلات. ولا يختلف الحل كثيراً عن الحلول التي تطرحها حركات التحرر الاجتماعي المعاصرة، ويتمثل في إعادة بناء وعي التلميذ. ووفقاً لهذه الطريقة، من المفترض في عملية التعلم أن تكسب التلميذ وسائل للكشف عن المضامين الخفية أثناء العملية التعليمية والتشكيك في كل ما يدرسه. وحسبما سأحاول أن أبرهن فإن هذا الحل - بالنسبة لتعليم الأطفال - لا يتجاوز كونه تظاهراً بالتحضر يخطئ أهدافه، ومن شأنه أن يتسبب ضمناً في ضرر شديد. ورغم هذا فإن الكثيرين يقبلون بهذا الحل. والكتابات الصحفية عن مشاكل التعليم مليئة بهذا النوع من الحلول. وعلى سبيل المثال فقد كتب توم ساجيف

فى صحيفه هآرتس عن أسطورة تل حى ما يلي: "أعزائى الطلبة. فكروا جيداً قبل أن تصدقوا ما يقوله لكم مدرسوكم". كما كانت ذروة ما كتبه شموئيل هاسفرى فى قصيدته "خمير" ما يلي: "أيها الأطفال؛ لا تذهبوا إلى المتاحف". وكثيراً ما قال سامى شطريت إنه يريد تعليم الأطفال الشك. وهذه مجرد أمثلة قليلة على ما يعتبر لدينا حقيقة مؤكدة فى الآونة الأخيرة. فهذا الكلام يبدو صحيحاً وحضارياً، ولذلك فإن من يقرؤه لا يسأل إلى أين سيؤدى به.

♦ رياضة تحطيم الأساطير:

إن المراجعة المستمرة للأساطير، التى تعد بمثابة ذبح لأبقار مقدسة لا تجرى بهدف استبدال أسطورة سلبية بأخرى إيجابية، وإنما أصبحت هدفاً فى حد ذاتها. فقد حل مبدأ جديد محل المبادئ القديمة، وهذا المبدأ هو مبدأ تحطيم الأساطير. ولكن هل نتيجة ذلك هى تعليم التسامح والعقلانية الشخصية أم نقص العواطف وانعدام المبادئ؟ وهل النتيجة هى التفتح أم الشعور بالعجز الناتج عن عدم وجود ما يمكن أن يؤمن به الشباب؟ لقد حكى الكاتب آلان بلوم فى كتابه "الفقر الفكرى فى أمريكا" أنه عندما كان فى الرابعة من عمره تعرف على طفل أصر على أن يوضح له أن بابا نويل هو شخصية خرافية لا وجود لها. وكتب بلوم عن هذا الموضوع يقول: "لقد أراد أن يفمرنى بضوء الحقيقة الساطع". غير أن الطفل الذى جعل بلوم يعرف الحقيقة لم يكن يعرف مدى حاجة بلوم الطفل إلى أشياء يؤمن بها ويصدقها قبل أن يتمكن من فهم زيفها. لم يكن يدرك الحاجة المبدئية إلى وجود عناصر وأساطير يؤمن بها المرء، وإلى وجود أبطال وقصص نموذجية تتيح للمرء تخيل عالم يسوده نظام، فيما يتيح له بالوسائل الطفولية أن يؤمن بوجود الخير والشر وأن يفهم فكرة الأخلاق. وقد نقلت ياعيل تامير فى مقالها المشار إليه أنفاً عن أكرمان قوله إن هناك حدود للعادات والثقافات والقيم المتناقضة التى يمكن أن يتعرض لها الطفل دون الإضرار بقدرته على تطوير شعور بمعنى الأشياء. كما كتب بلوم يقول: "ليس فى استطاعة التدمير المنهجي للخيال - المثلئ بالآلهة والأبطال الخياليين - الإسهام فى معرفة المرء لذاته. وكل ما يفعله ذلك هو إزالة جزء من هذه الذات، وتشويه معتقداتها". يبدو أن الشعور بعدم وجود مبادئ مستقرة - حتى لو كان مقبولا من جانبنا ككبار - هو شعور شديد الصعوبة والإيلام بالنسبة للطفل. فهو يحجب عنه الأساس المستقر الذى يمكنه من داخله أن يوجه نظرة نقدية إلى مبادئه فى وقت لاحق. ورغم أن تامير تريد تنشئة أطفال واعين بالسليقة فإن الحركة التنويرية الجديدة تعتقد أن عملية النضوج ليست قادرة على الإطلاق على أن تتسبب فى الإفاقة والوعي. وقد واجه بلوم نفس هذه الأفكار عندما بدأ الدراسة فى الجامعة. وفى هذا الصدد يقول:

"عندما كنت معلماً شاباً فى كورنيل، أجريت ذات مرة حواراً حول مشكلة التعليم مع أحد أساتذة علم النفس. وقد زعم أثناء الحوار أن مهمته كانت القضاء على الآراء المسبقة لدى تلاميذه، وأنه نجح فى ذلك نجاحاً تاماً. فتساءلت عما عرضه عليهم بدلاً من هذه الآراء المسبقة. لم يكن يبدو لى أنه يعرف أى شيء عما قد يكون العنصر المضاد للرأى المسبق.. فهل كان يعتقد أن هناك حقائق من الممكن أن يسترشدوا بها فى حياتهم كما كانوا يسترشدون بهذه الآراء المسبقة؟ أم ترى أراد أن يجعلهم أناس يتحركون بلا أمل، بما يجعلهم يستسلمون لسلطة مثل سلطته؟ لقد كان محدثى السابق عليه - الذى حدثنى عن سر بابا نويل - يسعى إلى التباهى بإثبات تفوقه فحسب. فلم يكن هو الذى خلق بابا نويل، الذى كان لابد من وجوده حتى يتمكن من إثبات أنه لا وجود له.. ولابد لنا من أن نجرب مشاعر الإيمان الحقيقى بشيء قبل أن نجرب الإثارة التى ينطوى عليها التحرر من هذا الإيمان".

وإذا لم يحدث هذا فسيكون لدينا فى المقام الأول خواء عاطفى وفكرى، وانعدام للتأثر والفضول. يقول بلوم "إن سقراط بعد سنوات من العمل الجاد الذى لا يكل كان يعرف أن لديه قصور معرفى. والآن أصبح كل طالب ثانوى يعرف ذلك. فكيف أصبح هذا الأمر بهذه السهولة؟

لقد أصبح الأمر بهذه السهولة لأن من يعمل فى مجال القيم والمعتقدات يتلقى رسالة تفيد بأنه ليس لديه ما يعرفه ولا ما يؤمن به. هذا ما يحدث عندما نفقد كافة الأدوات المناسبة لخلق إثارة وحماس فور ظهور هذه الأدوات. وهذا هو ما يؤدى إلى ولادة فكرة التحرر التام من الأساطير. إن نزع الشرعية عن الأسطورة - باعتبارها أحد الأدوات الثقافية - هو تعبير عن روح ذلك العصر وعن فكر حركات التحرر الاجتماعى، كما أنه جزء من أفكار الاتجاه البنىوى والتيار الراديكالى. ويتضمن أساس هذه الأفكار الافتراض البريء بأننا لو نجحنا فقط فى إنتاج آلية تقوم بتفكيك نفسها أثناء البناء، وعمل آليات مضادة تقوم بتحجيد هذه الآلية تماماً ونزع أى رسالة اجتماعية قاطعة تحتوى عليها، فمن الطبيعى أن يؤدى ذلك إلى نشأة إنسان متسامح وعقلانى. وهذا هو الافتراض الذى تحتاج إليه تامير للمواعاة بين التناقض الداخلى الذى تنطوى عليه مزاعمها، حتى يمكن أن يصبح الأطفال متسامحين، ولكن بدون توجيههم إلى التسامح.

ليس من الواضح لنا رغم هذا إلى أى شيء إستند هذا الافتراض. وإذا تأملنا ما حولنا فسوف نجد أن النظام الديموقراطى على سبيل المثال لا ينشأ بشكل طبيعى من أناس مقتنعين به. ففكرة النظام الديموقراطى فى الولايات المتحدة أو فى بريطانيا قائمة على تقاليد وأساطير وعلى قيام النظام التعليمى بتلقين الدارسين المبادئ الديموقراطية. وبالتالي ينشأ الناس على الإيمان بالنظام الديموقراطى نظراً لأن ثقافتهم مشبعة بالخطاب الديموقراطى. ولم يحدث هذا بسبب توصيل كل فرد على حدة إلى تلك النتيجة. وإذا كانت النية تتجه إلى تبني تعليم التسامح، فلماذا نختار السير فى طريق غير مباشر ولا نربى أبناءنا على الحرية والمساواة بشكل معلن؟ يبدو أن هناك أساس معقول لافتراض أن مثل هذا التعليم ستكون فرصته فى تشكيل الشباب الذين يتسمون بالتسامح أفضل من فرصة مشروع التعليم القائم على الاتجاه البنيوي، وأنه سيكون متسماً بالتسامح اللانهائى، ولن تكون لديه الأدوات اللازمة للتعليم المناهض للعنصرية أو للتطرف القومى أو للعنف، إذ أنه حتى فى اللحظة التى سيحاول فيها التعليم مناهضة هذه الأشياء سيكون خاضعاً لاحتياجاته لبناء نفسه.

لن تكون النتيجة التى تسفر عنها الرغبة فى الامتناع عن فرض أى عقيدة على التلميذ هى التسامح وإنما ستكون الاتجاه إلى العدمية، وهى ذلك الإحساس بالفراغ القيمي الذى أصبح الآن ملموساً وبارزاً بشدة لدى الشباب. وما تقترحه تامير وزميلاتها على الشباب ليس سوى مزيداً من الفراغ. ومن هذا المنطلق فإنها تنهى مقالها الذى نشرته بعنوان "تاريخ فشل معروف مسبقاً" على النحو التالى: "إذا كنا لا نعرف إلى أين نريد السير، وإذا كان اتجاه السير ليس له أى أهمية، ففى استطاعة كل واحد منا أن يصير المعلم، وأن يشير إلى الطريق ويحدد الاتجاه، وبعد إعادة التفكير فإن أحداً لن يتمكن من تحديد الاتجاه، وبالتالي فلن يكون فى استطاعة أحد أن يكون المعلم". ويبدو من هذا الكلام أن الخطر على الديموقراطية والتسامح من جانب رجال التعليم الذين يتسامحون إلى حد الاعتقاد بأن "اتجاه السير ليس له أى أهمية" أشد من الخطر الذى يمثله أنصار فلسفة التعليم القديمة التى سعت إلى فرض السلوك الديموقراطى على تلاميذها.

إن ما سمح بالوصول إلى الاستنتاج الذى توصلت إليه تامير وحركة التحرر الاجتماعى والتيار الراديكالى من قبلهما، وما أدى فى النهاية إلى العدمية السخيفة التى تبدو فى شكل التسامح هو طمس الحدود بين المصطلحات المتداولة. ويستمد هذا الزعم قوته من الخطاب البلاغى الدرامى غير الواضح الذى يطمس الفوارق بدلاً من أن يوضحها. فالميل إلى وصف إكساب المجتمع الديموقراطى مبادئ معينة باستخدام مصطلحات مثل "غسيل مخ" و"اشتراط" و"إكراه" هو تصوير للتعليم وللثقافة بالكامل فى شكل شمولى صارخ، لدرجة تطمس المجالات المشتركة بين المجتمعات. وبالطبع فإن الواقع أقل قطعاً من ذلك. صحيح أن هناك مبادئ ولكن هذه المبادئ تمر بعملية تغيير مستمر نظراً لأنها تترك مساحة كبيرة للجدل. هناك "أساليب خطاب" متعددة، إلا أن الخطاب الديموقراطى قائم على التعددية، ومن المؤكد أنه ليس متطرفاً على النحو الذى يحاولون وصفه به. تتجه النية إلى التأثير على التلاميذ فى اختيارهم للقيم، ولكن من بين المبادئ التى يسعون لإكسابهم إياها أيضاً التسامح مع المبادئ التى تختلف عن مبادئنا. ويبدو أن شمولية أسلوب الخطاب ليست قاطعة، وألا فسيكون من الصعوبة بمكان تفسير كيف نجحت منظمات التحرر الاجتماعى فى التهرب مما يزعمون أنه لا يمكن التهرب منه.

◆ نظرية سامى شالوم شطريت التربوية:

إن فكرة الحرية التامة التى تدعو إليها تامير هى مجرد وجه واحد من أوجه التسامح غير المحدود. أما الوجه الآخر له فهو المساواة التامة. وقد تطورت الدعوة إلى المساواة فى الفرص فى دعوة التمييز الإيجابى - الذى يهدف إلى إصلاح تمييز واقع - لدى الحركة النسائية الجديدة لتصبح دعوة إلى تحقيق المساواة فى الإنجازات. وبالتالي فإن الجانب الذى ترحب به الحركة فى النضال من أجل المساواة هو العمل على زيادة إنجازات الطلاب الضعفاء. وفى مقابل ذلك فإن الجانب الآخر هو احتواء الطلاب المتفوقين وتخفيض مستوى الطلبات المطلوبة منهم ليصل إلى مستوى إنجازات أكثر الطلاب ضعفاً، وهو تكتيك غير مستبعد فى بلادنا بلا مبالغة. وهذا هو التفسير لهجوم الوزير السابق روبنشتاين على معايير الجودة المزيفة فى شروط الالتحاق بالجامعات، وهذا هو تفسير رغبته فى التخفيف من عبء الامتحانات قدر الإمكان، وإلغاء بعضها إذا كان ذلك ممكناً. وهذه المشكلة تشبه مشكلة القط الذى تسلم مفتاح الكرار. إذ أن إنجازات وزير التعليم تقدر من خلال أعداد الحاصلين على الثانوية العامة، غير أنه يعد هو أيضاً المسئول عن تحديد مواد الامتحان. وكلما زاد عدد الشهادات التى يمنحها كلما كانت إنجازاته أكبر. ولذلك فإنه يوزع المزيد من الشهادات بقدر أكبر من السهولة.

لم يبدأ التدهور فى مستوى الامتحانات فى أيام روبنشتاين. فعندما تجاوز مستوى الامتحانات مستوى معين إلى أسفل قررت الجامعات تطبيق نظام اختبار القدرات. وهناك جامعات تحتفظ بمقياس لدرجات الامتحان، وتستعين

بجدول من المفترض أن يترجم الدرجات العالية- التي زاد ارتفاعها مؤخراً- إلى القيمة الحقيقية للدرجات منذ عشرين عاماً. وفي فترة تولى أنيتا شايبيرا لمنصب عميد كلية الآداب بجامعة تل أبيب طبقت الجامعة نظام السنة التأهيلية، التي تهدف إلى توسيع ثقافة الطالب العامة، وإكسابه القدرة على القراءة والفهم وتحسين معرفته باللغات. وكان كل هذا يهدف إلى حماية مستوى الدراسة بالجامعات من التدهور تحت تأثير التدهور الذي يحدث في المؤسسة التعليمية. وقد ترددت في مؤسسات التعليم العالي مراراً وتكراراً شكوى مفادها أن الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات يلقون صعوبة في التعبير عن أنفسهم كتابة، وفي فهم ما يقرأونه، وأن لديهم قصور معرفي وقصور في مستوى المهارات.

كان الانخفاض في مستوى الطلبة الملتحقين بالجامعات نتيجة لتطور استغرق فترة طويلة تم في إطاره تخفيف عبء التحصيل عن الطلاب، وتقليل المادة التعليمية التي يتلقاها الطالب باسم حرية الإبداع والمساواة في الدرجات. وبهذه المناسبة فإن هذا الأمر لم يسهم بأي درجة في تحقيق المساواة. فالطلبة الذين يأتون من بيت مثقف يجدون الطريق إلى إثراء عالمهم الفكري (عن طريق الدروس الخصوصية، التي أصبحت شائعة للغاية بين أبناء الطبقات الغنية على سبيل المثال، حسبما نشره الصحف). وفي مقابل ذلك فإن الطلبة الفقراء لا يجدون طريقاً للتحصيل الثقافي. وبدلاً من منح الطالب القادم من بيئة اجتماعية واقتصادية متردية ما يحتاج إليه حقاً- وهو إمكانية اكتساب ثقافة- فإنهم يعطونه شهادة تتضمن إنجازات لم تتحقق. وبذلك يطبقون نظام المساواة في الإنجازات. ومعنى هذا المساواة في منح شهادات بدأت تفقد قيمتها بالتدريج. حيث لم تعد هذه الشهادات سوى دليل على رغبة المؤسسة التعليمية في التستر على الفوارق التحصيلية بين الطلاب بدلاً من إصلاح الخلل فيها. غير أن هذه الفوارق لم تتناقص وإنما انزاحت مظاهرها إلى الساحة الأكاديمية. وقد كتب يارون لندن في صحيفة ידיعوت أحرونوت (بتاريخ ١٩٩٥/٢/٧) ما يلي: "من الممكن تأجيل الامتحانات من تاريخ إنهاء الدراسة الثانوية إلى تاريخ الالتحاق بالجامعة (١)، ومن الممكن تأجيلها لتجرى مع الامتحانات التي تعقد في إطار الدراسة بالجامعة، ومن الممكن تأجيلها لتجرى مع امتحانات الماجستير، ومن الممكن تأجيلها أكثر وأكثر إلى مواعيد شتى، ولكنها ستجرى في النهاية، وسيكون لنتيجتها تأثير على حياة الطالب. فسياسة حفظ كرامة الطالب لا يمكن أن تجري سوى في إطار الحماية المحدودة ولا بد في النهاية أن تصطدم بالواقع.

فضلاً عن ذلك ليس من الممكن تأجيل الامتحانات في كافة المجالات. وعلى سبيل المثال فإن اللجوء إلى سياسة معالجة آثار التمييز في كلية الطب ربما يمكن أن يجري في امتحانات القبول، ولكن لا معنى لتخفيض الدرجات اللازمة للالتحاق بها، إذا كان مستوى الدرجات الحالي يعبر عن المستوى الحقيقي المطلوب أن يكون عليه الطالب ليتمكن من إنهاء دراسته. من الممكن بالطبع تخفيض مستوى اختبارات التخرج من الكلية، ولكن هل نحن حقاً في حاجة لإضفاء طابع ديموقراطي على دراسة الطب، مهما كان تأثير ذلك على القدرات والإنجازات؟ لا بد أن يتجلى سد الثغرات بين الطلبة الأغنياء والفقراء في زيادة قدرات الطلبة الفقراء، وليس في إخفاء الجهل تحت ستار حفظ كرامة الطالب بمنحه تقدير مرتفع. فإصلاح المرأة التي ينظر فيها المرء ليس أفضل السبل لإصلاح شكله. ولا بد أن يرى المرء الحقيقة حتى يتمكن من التعامل معها.

لكن وزارة التعليم لا تتفق مع هذا الرأي. ولم يكن مما يدعو للدهشة أن لم يرد ذكر تعبير "مزيد من الثقافة" أو تعبير "مزيد من الإنفاق على الطلاب الفقراء" بين الأشياء الخمسة التي قال وزير التعليم إنه يريد مزيداً منها، وذلك في حديث أدلى به لصحيفة "حداشوت طوفوت" - أنباء طبية، جعل فيه هذه الأشياء الخمسة أهدافاً تسعى وزارته لتحقيقها. فقد قال روبنشتاين إنه يريد "مزيداً من الطلاب في مراحل التعليم حتى نهاية التعليم الثانوي، ومزيداً من الطلاب الحاصلين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية، ومزيداً من الطلاب في الجامعات والكليات، ومزيداً من الازدهار للفرد والجماعة (٩٠٠)، ومزيداً من المساواة في الفرص". كان من الممكن أن يكون هذا برنامجاً رائعاً لولا أنه قائم على النزول بمستوى المطالب المطلوبة بدلاً من الارتفاع بمستوى قدراتهم التحصيلية، ولو لم يكن هناك سعي لإزالة آثار التمييز بالجملة على حساب مستوى الدراسة بدلاً من رفع مستوى الدراسة. سيقوم وزير التعليم بتوزيع شهادات بكرم بالغ، وسيشعر الجميع بالسعادة، مؤقتاً على الأقل. وإذا شئنا استخدام كلمات روبنشتاين نفسه، فقد صرح لصحيفة معاريف بما يلي: "أريد أن أعيد البسمة إلى وجوه جميع الطلاب". وبالتالي فإن الطلاب يحملون الوزير على أكتافهم. ولا شك أن هذا لم يكن مقصد جون ديوي.

جرت العادة على تصوير سامي شالوم شطريت - المدير العام السابق لمدرسة كيدما" الكائنة في حي "هاتكفا" (٢) - على أنه شخص لديه اعتراضات على النظام. والحق أن لديه اعتراضات بالفعل. ولكن لديه أيضاً كثير من الأمور المشتركة مع النظام. وإذا كان المقصود بالنظام هو وزارة التعليم في الفترة التي كان يدير فيها المدرسة أو إذا كان

المقصود به كليات التربية في الجامعات المختلفة، فيبدو لي أن نقاط الاتفاق أكثر من نقاط الخلاف وأن الأفكار الأساسية أكثر تشابهاً مما اعتادت الصحف على وصفه. فشطريت - مثله في ذلك مثل روبنشتاين - مشغول بوضع البسمة على شفاة الطلاب باعتبار ذلك مفتاح مستقبلهم، كما أنه هو الآخر يعتبر الكرامة مفتاح النجاح. وهذه هي الأسباب التي جعلته يعطى طلبته درجات عالية في نهاية الدراسة، ليجعلهم يبتسمون بدون أدنى شك. ولكن السؤال المطروح هو ما الذي سيحدث لهذه الابتسامة بعيداً عن حمايته، وأقصد في الجامعة أو في سوق العمل.

تستمد المزاعم والتبريرات التي ساقها شطريت قوتها من نفس المصدر الذي يستند إليه روبنشتاين، ومن نفس المواد التي تلجأ إليها مزاعم إيلان بابيه بشأن الاحتلال الصهيوني، ومزاعم أورلي لوبين بشأن إقصاء المرأة باعتبارها "الآخر"، ومزاعم إدوارد سعيد بشأن الاستشراق. وكما هو الحال في جميع حركات التحرر الاجتماعي يتحدث شطريت عن حالة صارخة من التمييز والتعالي على جماعات الأقلية. ولا شك أن النظام الصهيوني كان يتعامل في الخمسينات بتعال وبخشونة مع المهاجرين من الدول العربية. ولكن السؤال الذي لا بد من طرحه هو؛ ما الذي يجب القيام به من الآن فصاعداً؟ إن الحلول التي يقترحها شطريت تشبه الحلول التي اقترحتها حركات التحرر الاجتماعي في الولايات المتحدة. وهو يقترح علينا السير في أعقاب الولايات المتحدة؛ فهناك قام زعماء ذلك العصر الذي شهد الحرب الباردة بإخلاء الطريق لقادة ديموقراطيين، يسعون للتركيز على القضايا الاجتماعية والاقتصادية لإصلاح الأوضاع المتردية. والحق أن شطريت جاءنا وهو مسلح بنظريات اليسار الجديد في الولايات المتحدة، إلا أن هذا يطرح سؤالاً بشأن الفائدة التي يمكن أن تعود علينا من السير في أعقاب الولايات المتحدة فيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي.

نشر هذا الكلام في يونيو ١٩٩٥ بعد فترة طويلة من محاولة كلينتون الفاشلة لإصلاح نظام التأمين الصحي، وبعد فترة طويلة من سيطرة الجمهوريين على الكونجرس. فبعدها قام الرئيس كلينتون بتحول بهلواني وطبق إصلاحات في الشؤون الاجتماعية ترتب عليها تخفيض نسبة وصلت إلى ٥٠٪ من المعونات التي يحصل عليها المحتاجون. وإذا كان للمثقفين من أنصار حركات التحرر الاجتماعي في الولايات المتحدة دور في السياسة الداخلية فإن هذا الدور يتمثل في مساعدة المحافظين. فقد هاجموا اليسار الليبرالي بشدة باعتباره شريك في نشر قيم مضادة للتوجهات الأوروبية، وأسهموا في تقليل نسبة الدراسات الليبرالية في المدارس لصالح الدراسات العرقية، وناضلوا من أجل كرامة الأقليات بدلاً من النضال لضمان تخصيص ميزانيات للأحياء الفقيرة، وناضلوا من أجل الهوية العرقية بدلاً من الهوية الأمريكية التي زعموا أنها تمحو ثقافة وهوية الآخر. في نفس الوقت استمرت الزيادة في انتشار الفقر وفي عدد المشردين وفي انتشار الجريمة لتصبح هذه العناصر أداة استفاد منها المحافظون. ولو كان المثقفون الأمريكيون قد ركزوا نضالهم على خلق أنشطة شبابية للشباب الذي يدور بلا عمل في الشوارع، وعلى تقييد حق حمل السلاح أو على الأقل على الإصلاح في مجال التأمين الصحي - ولو كانوا نجحوا في أي من هذه الأشياء كما نجحوا في مسألة إصلاح التمييز الواقع - ربما كان الوضع قد اختلف إلى حد ما. ولكن في أمريكا، حتى يومنا هذا، ليس كل طفل يولد يحصل على التمتع بالضرورية. فالتطعيم يتكلف مالا وهناك كثير من الفقراء الذين ليس لديهم المال ولا الدراية بأهمية هذه التطعيمات. ويكاد يكون نصف الأطفال السود يعيشون تحت خط الفقر، وليس لدى آبائهم المال اللازم لعلاج أسنانهم أو لتطعيمهم أو لمنعهم من الانضمام إلى عصابات الشوارع. ومن يتجول في الأحياء السوداء في الولايات المتحدة يمكنه أن يرى مشهداً لا يراه في أي مكان آخر في الغرب، حيث سيرى العشرات من الشباب الذين نزعوا أسنانهم الأمامية.

ولكن أنصار حركات التحرر الاجتماعي يفضلون الاحتفاظ بطهارة ذيلهم. وفي نفس الوقت فقد سئم أغلب الجمهور الأمريكي الحديث عن تعدد الثقافات، وعن أن كل ما هو أمريكي سيء وكل ما ينتمي إلى فئات الأقليات أفضل. فهذا في نظره عداً للهوية الأمريكية، وهذا هو التوتر الذي يعزف عليه المحافظون بنجاح. ناهيك عن أن اهتمام الآباء بمدى سيطرة العرق الأوربي أقل بكثير من اهتمامهم بما يجري في مدارس أبنائهم من مشاجرات باستخدام السلاح الأبيض.

غير أن حركات التحرر الاجتماعي تهتم بطهارة ذيلها هي وليس بمشكلات أطفال حي هارلم الفقير. ولذلك فإنها ترفض أي تنازل للجهات المسيطرة، وتفضل لعق جراحها وعدم مداواتها، لأن استمرار وجود الظلم يكفل لها استمرار شعورها بعدالتها. لذلك فإن أنصار الحركة التنويرية الجديدة يثورون ضد أي محاولة للإصلاح. ولذلك فإنهم يصورون أي تغيير وأي إصلاح وأي اتفاق سياسي على أنه محاولة للتستر على المظالم، أو محاولة لطمس هوية أو أهداف المظلومين. وهذا هو الوجه القبيح للموضوع، الذي تترتب عليه صعوبة إجراء أي حوار مع هذه الحركة. فالعدالة حكر عليها. وكل من يعترض على آرائها "عنصري" و"فاشي" و"ديكتاتور". فالليبراليون في نظر هذه الحركة

هم محافظون متكبرون، واليسار المعتدل هو يمين متكرر والحركة النسائية المعتدلة متعاونة مع التعصب الرجالي. ومن يريد فرض تعليم ليبرالى يتساوى فى السوء مع من يدعو لتعليم قومى متعصب. ولذلك فإن الحركة التنويرية الجديدة لن تتجح بالفعل فى عمل أى شيء، ولكنها ستبقى دائماً على حق وستبقى العدالة فى صفها دائماً. وإذا كان رامون آرون على حق عندما كتب أن الماركسية هى أفيون المثقفين، فإن حركات التحرر الاجتماعى هى بالتأكيد مخدر من نفس النوع.

أنا لا أعتزم الزعم بأن سامى شطريت لا يهتم بأوضاع الأطفال فى حى "هاتكفا" الفقير. ورغم أن شطريت شديد الحماس للانتقام من النظام إلا أنه رغم ذلك يعد من رجال التعليم المخلصين الذين يؤمنون بالطريق الذى يسيرون فيه. وهو على استعداد للنضال من أجل وجهة نظره حتى لو كان سيدفع ثمناً شخصياً. كذلك فلا اعتراض على الإنجازات التى حققتها مدرسة "كيدما". وما أريد أن أقوله هنا هو أن التحليل الذى يسوقه شطريت والحلول التى يقترحها قائمة على نفس أفكار ومبادئ حركات التحرر الاجتماعى، التى جعلت اليسار الأمريكى غير قادر على العمل من أجل الإصلاح الاجتماعى الحقيقى. ومن الناحية العملية فإن اقتراح شطريت يشبه اقتراحات الأفروأمريكيين، ولذلك وعلى ضوء الإنجازات المشبوهة التى حققوها هناك، لابد أن نسأل: هل السير على هذا الطريق يمكن أن يؤدى هنا إلى الوصول إلى إنجازات المساواة والتعددية التى يسعى شطريت إليها. لقد كتب شطريت فى صحيفة حداثوت يقول: "فى الولايات المتحدة- التى لا نحرص على تقليدها سوى فى الأمور التى فشلت فيها متأخرين عنها فى ذلك عشرين عاماً - تحول السود إلى دراسة التاريخ فى مجتمعاتهم مغيرين بذلك توجهاتهم إلى حد كبير. وهم يدرسون التاريخ من الواقع الفعلى فى الشارع وفى المجتمع، ومن خلال العودة إلى المصادر الأفريقية، مروراً بقيام البيض بصيد العبيد، وسنوات الرق والاعتصاف، وسنوات التمييز والعنصرية، ووصولاً إلى هذه الأيام التى يستمر فيها النضال. يبدو لي أن لدينا هنا وصفاً شديداً الدقة لما يحدث للدراسة فى أمريكا. فبعد سنوات طويلة احتل السود فيها مكاناً ثانوياً فى كتب التاريخ فى الولايات المتحدة نشأت موجة مضادة واسعة النطاق. ولكن هذه الموجة لا تسعى إلى وضع الأمور فى نصابها، وإنما تسعى إلى قلب الأوضاع. وبالفعل فإن هناك توجه آخذ فى الانتشار فى المدارس الأمريكية يرى أن الثقافة الغربية بالكامل هى ثقافة اغتصاب وقهر وسلب واستعباد وتمييز وعنصرية حسبما يقوله شطريت. ولا تختفى فى خضم هذه المعركة سوى حقيقة واحدة وهى أن الأفكار التى يدينون بها كل هذه الأشياء هى أفكار غربية بحتة.

لقد قسمت اللجنة التعليمية- فى ولاية نيويورك على سبيل المثال- دراسة التاريخ فى المدارس العامة فى عام ١٩٨٧ إلى سبعة أقسام حسب أقسام العالم، وهى: آسيا وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية والأمريكتين. وتم تحديد عدد مماثل من الساعات الدراسية لكل قسم. وتم تخفيض المدة التى يجرى فيها تدريس تاريخ أوروبا الغربية من عام دراسى كامل إلى ربع عام. وعند دراسة التاريخ الأمريكى أُلغى من البرنامج الدراسى جيفرسون وجاكسون والحرب الأهلية (١) وفترة إعادة البناء التى تلتها. ولم يبق سوى دراسة الدستور ثم قفزة تتجاوز مائة عام للوصول إلى عام ١٨٧٧ الذى تقرر فيه إعطاء السود حق التصويت.

فى عام ١٩٨٩ تم تشكيل لجنة لمتابعة البرامج الدراسية تضم ١٧ عضواً. ورغم أن أعضاء اللجنة ليس من بينهم مؤرخ واحد فقد قرروا أن التغييرات التى أدخلت على البرامج الدراسية فى مادة التاريخ ليست كافية. وأعربوا عن اعتقادهم أن البرنامج الدراسى يشوبه العنصرية والانحياز للعرق الأوروبى. وقررت اللجنة أن هذا هو السبب فى عدم استطاعة عدد كبير من الطلاب - الذين ينتمون لأصول غير أوروبية - تحقيق الإنجازات المنتظرة فى هذه المادة.

ربما يمكن أن نعرف ما يجب أن تكون عليه البرامج الدراسية اللائقة من آراء أعضاء اللجنة. كان من بين أعضاء اللجنة الدكتور ليونارد جيفريس الأستاذ بسيتى كوليدج فى نيويورك. ويعتقد جيفريس أن الأوروبيون يتسمون بالبرود ويميلون إلى الفردية والمادية. كما يعتقد أنهم عدوانيون وأنهم هم الذين جلبوا للعالم الآفات الثلاثة التى تتمثل فى الدمار والقهر والموت. وفى مقابل ذلك فإن الإفريقيين فى رأيه هم أبناء الشمس الذين يتمتعون بقدر أكبر من اللياقة البدنية ويتسمون بالدفء والإنسانية والود. ومن بين ما يعلمه لطلبتة فى سيتى كوليدج أن تمويل تجارة العبيد الأمريكية كان يأتى من يهود أثرياء. وجدير بالذكر أن هذا الرجل لا يعد من الشخصيات الهامشية الواهمة، وإنما هو واحد من أعضاء لجنة متابعة البرامج الدراسية فى ولاية نيويورك، وهى ثانى أكثر الولايات تعداداً فى الولايات المتحدة. ولا غرابة فى نشأة عنصرية فاشية على غرار الجيش المدنى الذى يتزعمه الزعيم العنصرى لويس فارخان إذا كان هذا ما يدرس فى المدارس الأمريكية.

ولا يصل شطريت فى تطرفه إلى هذا الحد، وبالطبع فلا وجه للشبه بينه وبين فارخان، إلا أنه من المؤسف أن تصدر عنه تصريحات مشوبة بالعنصرية فى نفس الاتجاه. يقول شطريت: "إن الأغلبية العظمى من تلاميذ مدرسة

روجوزين شرقيون، ومنهم مهاجرون جدد من الجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفيتي السابق. وهم شباب وفتيات رائعون ويتمتعون بذكاء نادر. ولديهم فضول معرفي شديد وحب للحياة يجب أن يتبناه الإشكناز الذين يميلون إلى الحزن والكآبة. لماذا يجب أن نحول قضية عادلة، تم فيها محاربة الظلم الواقع، إلى عنصرية تحت زعم السعي لإصلاح التمييز الواقع؟ هل السبب في إدانة العنصرية هو أنها قاصرة على الظالمين؟ هل الرد على قول شطريت إن "أيديولوجية الصفوة في دولة إسرائيل ترى أن تخلف الشرقيين يرجع إلى الجينات الوراثية"، يجب أن يكون الزعم بالتفوق الجيني للشرقيين؟ لا شك أن العنصرية أيضاً ليس لديها القدرة على حل المشكلات. لقد أراد المحلفون في قضية أو. جي. سيمبسون الشهيرة الانتقام من المحكمة بتبرئة رجال الشرطة الذين ضربوا رودنى كينج. وقد اعتقدوا أنه في حالة قيام محلفين بيض بتبرئة رجال شرطة اعتدوا بالضرب على مواطن أسود ستكون مهمة المحلفين السود الانتقام من المحكمة عن طريق تبرئة مجرم أسود. ومن هنا جاءت البراءة في تلك القضية التي كان من الواضح للجميع فيها أن المتهم قد ارتكب جريمة القتل بالفعل. فقد كانت دماؤه موجودة بالقرب من دماء الضحايا، وكانت دماء الضحايا موجودة في سيارته وفي منزله. ولكن تم استبعاد بعض الواقع عن طريق نظرية المؤامرة. وزعم الدفاع عن المتهم أن رجال الشرطة البيض قد تأمروا واختلقوا كل هذه الأدلة.

ولكن هذا السلاح سلاح خطير. فإذا كانت العنصرية البيضاء تعطي الشرعية لوجود عنصرية سوداء، ألا يعني ذلك أن شرعية العنصرية السوداء تعود لتضفي الشرعية على العنصرية البيضاء؟ هل الأسود الذي يعتقد بوجود الحكم على المجرم بناءً على أصله العرقي وليس بناءً على أفعاله يمكنه أن يعترض على تصرف الأبيض الذي يفعل نفس الشيء؟ طرح هذا السؤال صراحة في أعقاب محاكمة سيمبسون. وكتب كريستوفر دردان وكيل النيابة الذي تولى مهمة الادعاء في القضية بعد انتهاء المحاكمة ما يلي:

"باعتباري من الشباب فقد بدت لي العنصرية كسكين حاد النصل، يستخدم البيض نصله لقمع السود. والآن أدركت أن عنصريتنا من الممكن أن تكون خطيرة وغادرة كذلك التي ناضلنا ضدها على مدار مئات السنين. إنني أرى العنصرية لدى بعض من يدعون أنهم يمثلون الأفروأمريكيين. وأرى العنصرية لدى مجتمع يرفض الاعتراف بمسؤولية أحد أبنائه عن تصرفاته. وأرى العنصرية في نفسي. والعنصرية هي سلوك غير أخلاقي، وقد كان دائماً غير أخلاقي. لا يمكننا أن نهزم العنصرية التي نتعرض لها عن طريق التصرف بعنصرية. ولا يمكننا تنفيذ الآراء المسبقة عن طريق إنكار العدالة."

وما ينطبق على القضاء ينطبق على التعليم أيضاً. فمن يشجع اعتناق أحد الأطراف لآراء مسبقة يضفي الشرعية دون قصد منه على اعتناق الطرف الآخر للآراء المسبقة.

تقوم آراء شطريت التي حاول بها تفسير التفاوت في المستوى التعليمي بين أبناء الأحياء الفقيرة وبين أبناء الأحياء الغنية على مزاعم مماثلة لتلك التي طرحها ذوو الأصول الإفريقية في الولايات المتحدة. وقد توصل - من حقيقة أن البرامج الدراسية تبخس الجاليات العربية حقها وتقلل من شأن دورها في الثقافة اليهودية - إلى نفس النتيجة التي توصلت إليها لجنة متابعة البرامج الدراسية في نيويورك. فهو يعتقد أنه لا محل لتدريس ثقافة يهود الغرب للطلبة الشرقيين، وأن هذا هو السبب في انخفاض درجاتهم عن المتوقع. "فهم يدرسون بالفعل ثقافة وتاريخ شعب آخر، ويعانون من إنكار حقهم في تعلم ثقافتهم وتاريخهم. وبالتالي فإن هناك اغتراب يؤدي إلى عدم الاهتمام، ولن يؤدي عدم الاهتمام بالدراسة إلى الحصول على درجات مرتفعة". وكتب شطريت في نفس المقال يقول: "الصهيونية هي غاية المراد. وجميع البرامج الدراسية تقاس حسب إسهامها لصالح الحركة الصهيونية. لم يحاول أحد أن يقول للطلاب الشرقيين إن الصهيونية هي شأن يخص الإشكناز وحدهم، ولا علاقة له بواقع يهود الشرق المختلف عن واقع الإشكناز. ولم يحاول أحد أن يدرس تاريخ يهود الشرق بعيداً عن العنصر الثانوي المسمى بالصهيونية الإشكنازية". والحق أن المؤسسات الصهيونية في ظل حكم ما باي لم تفكر أبداً في أن ثقافة يهود الشرق تستحق الدراسة، ولكن هل يؤدي بنا هذا إلى استنتاج أن الصهيونية هي عنصر ثانوي في حياة اليهود الشرقي المقيم في إسرائيل؟

لم تكن المشاحنات بين أنصار الأيديولوجية الصهيونية وبين أنصار حركات التحرر الاجتماعي من قبيل الصدف. حيث تنظر حركات التحرر الاجتماعي إلى الهوية القومية على أنها نفس النوع المقنع من أنواع قمع الأقليات الذي تجده في الدعوة إلى العولمة. فهوية الإنسان لا تتكون سوى من عنصر واحد وهو كونه مختلف، أو عضو في جماعة من الأقليات أو مضطهد. والاضطهاد هو جوهر الهوية. وبالطبع فإن هناك مشكلة مبدئية في وجهة النظر المذكورة. إذ أنها تميل إلى تكريس الاضطهاد. فكل من ينجح في تجاوزه يصبح خائناً. وكل من يتسلل إلى الجامعة رغم انتمائه للأقلية العرقية يصبح "مصانعا للإشكناز" أو "مصانعا للبيض". وكل من يشعر بهويته كإسرائيلي أو أمريكي أكثر من شعوره بهويته كشرقي أو ذو أصل أسباني، وكل من يسعى إلى التنكر للظلم والاضطهاد والاندماج كفرد طبيعي في

المجتمع إنما يتعاون مع القمع. وبما أن عناصر التمييز في الثقافة المشتركة ليست هي وحدها التي تعد قمعاً، فإن الثقافة المشتركة بكاملها ليست سوى مؤامرة لمحو هوية الأقليات، ولذلك فلا يجب المشاركة فيها. ولذلك لابد من الاعتزال خلف مزاعم الاضطهاد والتمسك بالهوية المضطهدة التي تعد الهوية المؤكدة للمضطهدين وحدها دون سواها. وكما تقترح أورلي لوبين على النساء قراءة الأدب قراءة نقدية، وقراءته من وجهة نظر نسائية وليس إنسانية، كذلك شطريت يقترح على الشرقيين أن يتفاخروا بانتماءاتهم الشرقية وحدها ويقترح عليهم التكرار لهويتهم الإسرائيلية. وكما حدث مع الحركة النسائية الجديدة، فقد كانت النتيجة التي توصل إليها هي التمسك بالانفصال عن المجتمع وإنكار العناصر المشتركة مع الآخر. وقد عبر عن ذلك على النحو التالي في مقال في مجلة "عيتون آحير":

تعالوا نبدأ بالانفصال. وأقصد الانفصال بغرض الدفاع وليس بغرض الهجوم حاشا لله. فالانفصال وحده هو الذي سيتيح لنا إعادة بناء هويتنا المنهارة. دعونا لحالنا. أعطونا نصيبنا من أموال الضرائب وسوف نعمل نحن على تعليم أبنائنا. إنني أدعو كل الشرقيين الذين لم تفسد روحهم بعد إلى البدء في حفر حفرة لدفن الاندماج الاجتماعي. نحن اليوم في حاجة للفصل بين الطرفين في مجال التعليم، مادياً وفنياً، من حيث التمويل والبرامج الدراسية. والانفصال وحده هو الذي سيمكننا من إعادة بناء هويتنا المنهارة ودعم ثقافتنا وفكرنا المنهاريين. إننا نريد تنشئة أجيال من الشرقيين تتمتع بالكمال والكبرياء".

والطريق إلى الكبرياء لا يمكن أن يكون في مشروع مشترك للمستقبل وإنما يكمن في الجذور، وفي الماضي المنفصل. لذلك فإن التاريخ والأدب - حسبما يوضح آرثر شلزينجر في كتابه "انفراط عقد أمريكا" - "لابد في رأي حركات التحرر الاجتماعي من دراستهما ليس كأنظمة ثقافية وإنما كآلية لجعل الأقليات تشعر بالتقدير لنفسها". ومن وجهة نظر شطريت فإن وزارة التعليم تقوم بتقييم البرامج الدراسية بناء على إسهامها في رفع شأن الحركة الصهيونية فقط، أما هو نفسه فيعرض علينا تقييمها بناء على إسهامها في تحقيق الكبرياء العرقي فقط.

يجري التعامل مع الأدب والتاريخ من هذا المنطلق في الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة. ففي عام ١٩٩٢ دخلت إلى المقررات الدراسية التي تشرف عليها لجان التعليم المحلية سلسلة من المقالات بعنوان "مقالات أساسية عن الأمريكيين ذوى الأصول الإفريقية". وقام بتحريرها عالم النفس التربوي "أسا هيليارد". وقد كان الزعم الرئيسي في هذه المقالات هو أن "إفريقيا هي مهد الحضارة الغربية". فمصر - التي كانت دولة إفريقية سوداء حسب رأي هيليارد - هي مصدر النظريات العلمية والفلسفية التي ينسبها الغربيون لليونان. وقد كانت إفريقيا هي التي اخترعت وسائل منع الحمل، وكانت هي التي اخترعت الفولاذ. وهي التي قامت بنقل العلوم والفنون والطب إلى أوروبا. وعلى سبيل المثال فقد كان بيتروفن حسب زعمه أوربي من أصل إفريقي (!). كما كان المصريون أول من اكتشف أمريكا قبل كولومبوس، وهم الذين وضعوا الأساس لنظرية بقاء الطاقة. وهم الذين فهموا الطابع المزدوج للنور كجزئيات لها أطوال موجية. وهم الذين وضعوا نظرية أصل الأنواع والتطور التي تنسبها لداروين. كما كانوا يتمتعون بقوة خارقة للطبيعة مثل القدرة على التخاطر وقراءة الأفكار وغيرها من القدرات البشرية التي لم نعمل على تطويرها بالقدر الكافي. ولا تزال القائمة طويلة. وقد تأمر الغربيون لإخفاء هذه الحقائق حتى يمكنهم التعالي على الأفارقة وقمعهم.

لا ينطوي القول بأن وضع هذه المقالات مشبوه على أي مبالغة. فالزعم بأن كليوباترا سوداء البشرية يركز على الزعم بأن شكسبير وصفها في مسرحيته "أنطونيو وكليوباترا" بأنها Tawney (وهو لون بين البني والأصفر). وغنى عن البيان أن شكسبير الذي عاش بعد عصر كليوباترا بألف وستمئة عام لا يمكن أن يكون مصدراً موثقاً به لوصف لون بشرتها. كما أن صدق ما قيل عن العلوم المصرية غير أكيد. وكاتب المقالة لا يمكن أن يكون مصدراً موثقاً به في هذا المجال. ورغم كل ذلك فقد أصبحت هذه المقالات جزءاً من المقرر الدراسي في المدارس العامة في بورتلاند وأورجون وميلوكي وإنديانابولس وبتيسبرج وواشنطن وريتشموند وأطلانطا وفيلادلفيا وديترويت وبلتيمور اعتباراً من عام ١٩٩٢. وذهب الأمر في بورتلاند إلى أبعد من ذلك. فقد علمنا المسئول عن دراسات التعددية الثقافية هناك أن ضياع أنف أبو الهول هو جزء من المؤامرة البيضاء. وفسر ذلك بقوله إن نابليون أصدر تعليماته لدفعيته بإزالة الملامح السوداء التي كانت تكسو وجه التمثال العملاق حتى يطمس الأدلة التي تشير إلى أن المصريين القدماء كانوا سود البشرة. وقد كتب روبرت يوز الناقد الفني بمجلة التايمز يقول: "لا يوجد أي دليل يمكن أن يدعم هذه المزاعم. ولكن لا يوجد أيضاً أي دليل يمكن أن يفندها..". وأتمنى ألا يكون شطريت يعرض علينا تدريس أشياء كهذه. وأعتقد أنه لا يقترح ذلك. ولكن القول بأن الصهيونية هي شيء ثانوي بالنسبة لذوى الأصول الشرقية هو تحريف للحقائق دفاعاً عن الكبرياء. وقد كان له في هذا الصدد شركاء في وزارة التعليم عندما كانت تحت سيطرة حزب ميريتس.

كانت النتيجة التي توصل إليها الأفروأمريكيين هي أنه فضلاً عن مشاركة التاريخ والأدب والقيم الغربية في قمعهم فإن اللغة الإنجليزية نفسها تعد هي الأخرى أداة لمحو هويتهم. وقد كانت هذه المزاعم هي السبب المباشر في ظهور

المصطلحات التي تراعى اللياقة السياسية. وهناك مزاعم مثيلة لها وردت كما سبق أن أشرت في الكتيب النسائي الذي أصدرته وزارة التعليم الإسرائيلية. لقد استنتج الأفروأمريكيون أن السود لابد أن يدرسوا بلغة "إنجليزية سوداء" (كتلك الشائعة في القارة الإفريقية) وأن الذين ينحدرون من أصول أسبانية لابد أن يدرسوا بالأسبانية وأبناء الهنود الحمر بالهندية، وهكذا. وسوف تكون نتيجة مثل هذا الإصلاح (الذي يجرى تنفيذه جزئياً في الولايات المتحدة الآن، ولاسيما بالنسبة للتلاميذ الذين ينحدرون من أصل أسباني) ليس فقط الحيلولة دون أن يصبح الطفل الأسود في أمريكا مؤرخاً له قيمة، وإنما أيضاً الحيلولة دون أن تكون لديه اللغة المشتركة التي تعد أول أدوات التقدم في مجتمع يتحدث أغلبه باللغة الإنجليزية. وهذا الأمر شبيه بالمزاعم التي ساقها شطريت بشأن الإثيوبيين. فهو يصور نفسه لأول وهلة على أنه يدافع عنهم، وعلى أنه يهاجم بشدة العنصرية المنظمة من جانب الأطباء والمعلمين والجامعات، التي تتجلى في تأمرهم جميعاً من أجل تصوير الثقافة الإسرائيلية على أنها ثقافة متفوقة عن ثقافة الدولة التي جاءوا منها. ولكن الآثار العملية لهجومه - الذي يعتبر المعايير المشتركة بين الطرفين تعالياً وعنصرية - تعنى فعلياً إبقاء الإثيوبيين في معازل تحول بينهم هم وأولادهم وبين إمكانية النجاح في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه. وبالفعل فقد اقترح عليهم شطريت في مقالة كتبها للمجلة التي يصدرها اتحاد مهاجري إثيوبيا إقامة مدارس منفصلة لأبناء الطائفة الإثيوبية.

ولكن الأكثر خطورة من ذلك هو أنه على المدى الطويل تسعى ثقافة الدعوة إلى التعددية الثقافية إلى تقويض الأساس المشترك الذي قام عليه مجتمع المهاجرين. ورغم ذلك فقد حققت حركات المساواة إنجازات لا يستهان بها، وإن لم تكن قد وصلت إلى الكمال بعد. وتستند هذه الإنجازات إلى الإيمان بالمبادئ المشتركة وبالدستور المشترك وبالطبع بالمستقبل المشترك. عندما قال مارتين لوثر كينج أنه يحلم، كان حلمه يدور حول المستقبل المشترك، وحول التنفيذ الفعال لمبادئ إعلان الاستقلال ولمبادئ الدستور. أما التعددية الثقافية فتهدد بتدمير هذه الإنجازات لأنها لا ترغب في وجود مستقبل مشترك، وإنما تريد ماضياً منفصلاً ومستقبلاً منفصلاً. إذ أن العناصر المشتركة في العالم تعد بشكل آلي داعمة للقمع والقهر. ولم تتجه سهام النقد إلى إساءة تطبيق المبادئ وإنما اتجهت إلى المبادئ ذاتها، ومن هنا كان العنوان الذي اختاره شلزينجر لكتابه هو "انفراط عقد أمريكا - The Disuniting Of America".

والسؤال المطروح هو، ألا يسعى شطريت إلى شيء مماثل عندما يطالب بالفصل بين الطرفين؟.. ألا يتسبب في تدمير الأساس المشترك للحياة في إسرائيل عندما يعلق الاتهام على فكرة الاندماج بين الطوائف لخلق مجتمع واحد وليس على التنفيذ الخاطئ لهذه الفكرة؟.. إن وصفه للصهيونية بأنها عنصر ثانوي هو تدمير للأساس المشترك الذي قام عليه المجتمع اليهودي في إسرائيل.

رغم الحديث عن الحاجة إلى رواية جديدة للتاريخ تأتي من داخل المجتمع الأسود، ورغم تصوير نضال حركات التحرر الاجتماعي على أنه ثورة يقوم بها المقهورون، إلا أن الأمر ليس كذلك. فالمسألة عندنا وعند الولايات المتحدة سيان، وما لدى الدولتين هو حركة مثقفين. ففرض استخدام تعبير أفروأمريكيين بدلاً من تعبير سود لم يأت من القاعدة الشعبية وإنما جاء من الدوائر الأكاديمية والإعلامية. بينما من الناحية العملية، أغلب السود يعارضون هذا المصطلح. ففي استطلاع للرأي أجراه "المعهد المشترك للدراسات السياسية والاقتصادية" عام ١٩٩١ تبين أن ٧٢٪ من السود يفضلون وصف أسود في مقابل ١٥٪ يفضلون وصف أفروأمريكي. وقد أجرت شبكة ABC وصحيفة واشنطن بوست استطلاعات رأى كشفت عن نتائج مماثلة.

وقد اصطدمت دعوة شطريت بعداء في حي "هاتكفا" لدرجة أن قلة عدد المقيد للدراسة في العام الدراسي ١٩٩٦-١٩٩٧ أجبرته على الاستقالة. ومن المحتمل أن يكون هناك أساس من الصحة لما زعمه المسئولون في جمعية "كيدما" من اضطهاد موظفي القيد لمدرستهم. ومن ناحية أخرى فمن المحتمل أن يكون شطريت نفسه هو المسئول عن الاغتراب الذي أحاط بمدرسته. ولا يرجع هذا إلى اندماج أبناء الحي في الطائفة الإشكنازية، وإنما لأنهم شعروا من قراءة مقالاته أنه يسعى لسلبهم هويتهم الإسرائيلية باسم الكبرياء الشرقي. ويبدو أن الشرقيين لا يريدون أن يأتى الكبرياء الشرقي على حساب هويتهم الإسرائيلية، بنفس الطريقة التي يسعى بها الإشكناز إلى جعل الكبرياء الإشكنازي لا يأتى على حساب هويتهم الإسرائيلية. فكلتا الطرفين يعتبر نفسه إسرائيلياً أيضاً، حتى لو لم يجعل الأولوية لهويته الإسرائيلية. وحيث أن شطريت يدعو لاستهجان الهوية الإسرائيلية باعتبارها قمع، فإنه يعرض على أولياء أمور تلاميذه المحتملين التنازل عنها لصالح هوية جماعية معينة. وهو يفسر انتماء كل هذا العدد الكبير من الشرقيين إلى المعسكر القومي السياسى - الذي يعرض على أنصاره هوية إسرائيلية تتسم بالكبرياء - بأنه نتيجة للإكراه. فقد أدى الاندماج في المجتمع الذي فرضه النظام الإشكنازي على الشرقيين إلى تعليمهم كراهية أى شيء شرقي حتى العرب، ولكن من المحتمل أن يكون تفسير ذلك الأمر أبسط من ذلك بكثير. فليست هذه المرة الأولى التي

تساق فيها جماعة من المهاجرين إلى الوطنية بشكل غريزي ومن خلال الرغبة في الاندماج في المجتمع الذي هاجرت إليه وترسيخ جذورها فيه. وهناك أمثلة عديدة ليهود كانوا يسعون لأن يكونوا أمريكيين أكثر من الأمريكيين أو فرنسيين أكثر من الفرنسيين أو أسبانيين أكثر من الأسبان.

لهذه الأسباب أدى احتفال "كيدما" بذكرى النكبة النازية- التي يتم فيها إيقاد ست شموع- إلى ضجة وغضب في حي "هاتكفا" عندما قام شطريت بوضع شمعة سابعة لذكرى نكبات شعوب أخرى. فرغم أن النكبة النازية ترتبط بماضى يهود أوروبا إلا أنها أصبحت رمزاً قومياً بكل معنى الكلمة. وأعتقد أن غضب أبناء الحي في هذه الحالة أيضاً كان يرجع إلى شعورهم بأن شطريت يهدد بحرمانهم من الارتباط برمز موحد. فاختياره عدم الاعتراف بالوضع المميز للنكبة اليهودية، هو دعوة لتلاميذه للابتعاد عن الجماعة، كأنه يقول لهم إنهم ليسوا شركاء في هذا الرمز. ولا شك أن التلويح بالنكبة لتبرير العنف الإسرائيلي على النحو الذي أجاده مناحم بيجين هو أمر قبيح. فالتعرض للإضطهاد ليس تبريراً لانعدام الأخلاق، كما أن الاضطهاد الذي تعرض له السود في أمريكا ليس مبرراً لعدائهم للسامية. وربما يكون استخدام ذكرى النكبة على النحو المذكور أكثر استفزازاً في نظر شطريت الذي يعتبر حركات التحرر الاجتماعي أهم ما يقتدى به باعتباره خريج جامعة كولومبيا. فقد كان هذا في نظره محاولة من الفئة التي يعتبرها مسئولة عن القمع لاحتكار الشعور بالاضطهاد أيضاً. ولكن الطريقة التي استخدم بها شطريت هذه المراسم لا تختلف كثيراً عن طريقة مناحم بيجين. ولكنها فقط جاءت في الاتجاه المعاكس. وفي كلتا الحالتين يحاول كل منهما أن يظهر في صورة المضطهد، غير أن هذا للأسف الشديد يجرى على حساب ما تمثله هذه الذكرى من حداد وحزن صادق.

ولشدّيد السخرية فإن شطريت نفسه الذي يتهم الجميع بالتعالى لم يتقبل حكم مواطني حي "هاتكفا" على السياسة التي اتبعها. وبعد أن أجبروه على الاستقالة اتهمهم بفطرسية شديدة بأنهم لا يدركون أنه يعرف ما فيه صالحهم أفضل منهم. وكان من بين ما قاله:

"تظهر نتائج الاختيار أن أولياء الأمور يميلون إلى الهروب من البيئة التي ترتبط لديهم بالفشل. وبالنسبة للشرقيين فإنهم يهربون من الهوية الشرقية... يهربون من أنفسهم ومن هويتهم. وأسلوب الاختيار يسمح لهم بالهروب.. فليس لدى أغليبيتهم وعى شرقى ناضج. فأنا منهم. وعدم ثقتهم بي وجمعية "كيدما" كأنه انعدام للثقة بأنفسهم. فأنا مرآتهم. إنهم ينظرون لي فيرون وجوههم، ويخافون مما يرونه في المرأة".

وبالتالي فإن شطريت هو كل الشرقيين، ولكنهم لا يفهمون ذلك حتى الآن. وهو يعلم أنه لا بد أن يختار لهم، وألا يقبل باختيارهم الذي اختاروه بإرادتهم الحرة لتحديد مصيرهم، لأن هذا الاختيار يتيح لهم الهرب مما يعرف شطريت أنهم لا يجب أن يهربوا منه. فشطريت يمثل هويتهم الحقيقية. ومن البديهي في نظره أنهم يريدون الهروب من هويتهم الشرقية. ولكن جدير بالذكر أن مرآة شطريت لا تعكس هوية شرقية عادية، وإنما تعكس هوية شرقية تتسم بالتطرف العرقي وتميل للانعزال وتعارض في وجود أي مجال مشترك مع الآخر. وهي من الناحية العملية لا تمثل هوية شرقية مؤكدة بقدر ما تمثل نظريات جديدة في أمريكا.

لم تكن مطالبة شطريت لأهالي حي "هاتكفا" بأن يكونوا فخوريين بحيههم - وأن يقول الواحد منهم "أنا من حي هاتكفا" وهو يشعر بالفخر - مجرد مطالبة لهم بالتحلى بالكبرياء الشرقي. وذلك لأن حي "هاتكفا" ليس حياً شرقياً فحسب ولكنه أيضاً حي فقير. وإذا كان أولياء الأمور يهربون من البيئة التي ترتبط عندهم بالفشل، فليس معنى هذا أن الشرقيين يهربون بالضرورة من الهوية الشرقية. فقد يكون هربهم ناجماً عن الفقر أيضاً. وبالتالي فإن مطالبة شطريت لهم بعدم السعى إلى الهروب من الحي كأنه مطالبة لهم بالتمسك بالفقر. فهو يعرض عليهم الجمع بين الهوية الشرقية والفقر والتفاخر بالفقر بدلاً من السعى إلى الهروب منه. ومن الصعوبة بمكان أن نتفهم تقبل أي شخص للسكن في ظروف متردية بسبب أصله وتركه السكن الأفضل لذوي الأصول الأخرى.

بناء على ما سبق، هناك انطباع بأن شطريت يسعى إلى وضع مرآة أمام وجه المجتمع الإسرائيلي كله وليس أمام أبناء حي "هاتكفا" وحدهم. فهو يطلب من سكان الحي ما تطلبه لوبيين من الأدبيات، وهو التعبير عن الاحتجاج على الأزمات التي يتعرضون لها، والتحصن وراء هوية منفصلة تعبيراً عن الاضطهاد حتى يكونوا شهوداً حياً في صحيفة الاتهام ضد المجتمع الإسرائيلي. كما يطلب منهم تحويل مشكلاتهم إلى علم يجمعهم وأيديولوجية يعتقونها. ويمكن أن نفهم من تصرف أهل الحي أنهم لم يتحمسوا لأن يصبحوا أداة يناطح بها شطريت كل ما يشتبه في أنه إشكنازي، وأنهم لا يريدون أن يصبحوا شركاء في المشروع الذي يسعى إلى الحط من شأن الصهيونية، وأنهم لا يسارعون إلى تحويل مشاكل الثقافة والهوية من ناحية ومشاكل الأزمة الاقتصادية من ناحية أخرى إلى حملة للانتقام من النظام. وعلى أي حال فإنهم لن يفعلوا ذلك إذا كان سيعرض مستقبل تعليم أبنائهم للخطر.

عندما تم الإعلان عن نتائج الانتخابات وهزيمة حزب العمل احتفل شطريت بهذا الانقلاب السياسي في صفحة

كاملة كتبها في صحيفة "هاعير" تحت عنوان "فرحة الفقراء". كتب فيها ما يلي: "باعتباري مواطناً شرقياً في إسرائيل يدرك مدى تحكم الطبقة الإشكنازية الصهيونية العلمانية فيه.. كان من الصعب ألا أشعر بالفرحة لسقوط إمبراطورية حزب ماباي". وبين صيحات الفرح لسقوط النظام الإشكنازي- الذي صورته على أنه مقدمة لثورة اجتماعية- لم يتطرق المقال إلى أن الحزب المنتصر هو حزب يؤيد انتهاج سياسة لا تميل للدعم الاجتماعي، لأنه حزب رأسمالي يفترض أن يلحق الضرر بالطبقات التي يدعى شطريت أنه يعبر عنها. وما بين جزيل الثناء الذي وجهه لناخبي حزب شاس على ما وصفه بنضجهم السياسي وبين سروره على ذهاب حزب ميريتس إلى المعارضة كان من الصعب ألا نعتقد أن الانتقام من النظام يسعده أكثر مما يكدره سقوط معسكر السلام الذي ينتمي إليه، أو ميل الحكومة الجديدة إلى اتجاه اليمين في سياستها الاقتصادية والاجتماعية.

ولشديد السخرية فقد كان شطريت نفسه ربيب ذلك النظام الذي شعر بهذه السعادة الشديدة لسقوطه. وقد كان سكان حي "هاتكفا" هم الذين جعلوه يستقيل من إدارة جمعية "كيدما"، بينما كانت وزارة التعليم في الفترة التي كان يتولاها فيها حزب ميريتس هي التي دعمته وعينته في ذلك الموقع. وفي الوقت الذي حاربه فيه مجلس سكان حي "هاتكفا" أعلنت صحيفة هاعير - التي تعبر عن اليسار - أنه ممثل سكان هذا الحي. وقامت الصحيفة من خلال مراسلها ران روزنيك بتصوير مدى تمسك سكان الحي به. وأخشى أن كل هذا لم يكن من قبيل الصدفة. إذ أن شطريت هو سوط في أيدي طبقة مدللة تستخدمه في جلد وتعذيب نفسها، أكثر من كونه المدافع عن مصالح المقموعين والمقهورين. فهو يساعد الذين يشعرون بالذنب من ناحية- ولكنهم من ناحية أخرى يرفضون تحمل المسؤولية الاجتماعية الفعلية- على التطهر من ذنوبهم.

يتباهى الكتاب السياسيون الجدد بهجومهم على الفطرسية الثقافية. ويقول لنا كثير من الكتاب الذين يعتبرون أنفسهم متحضرين إنه لا يجب الحكم على الثقافات أو تصنيف مدى تفوق إحداها حضارياً عن الأخرى. ويقولون إننا لا يجب أن نتقبل التعالي الذي يعتبر ثقافة الآخر متخلفة. وبهذا المفهوم فإن موقف شطريت مريح بالنسبة لهؤلاء الكتاب. ولكن من وراء هذه الكلمات المتزلفة يعتقد أغلب هؤلاء الكتاب أن موقفهم متحضر مقارنة بمواقف أخرى أقل تحضراً. وهو ما يعني أن موقفهم أرقى من المواقف الأخرى المتدنية. ورغم أن الشعارات التي يرددونها تخدم هذا الشعور بالتحضر، إلا أنها لا تفيد في تفسير الواقع. فتباهى الكتاب بطهارة الذيل من موقع كتابتهم لا يحل مشكلات الواقع. وكالعادة فإن الأمثلة التي تدلل على ذلك تأتي نتيجة للتصادم بين أنواع القمع، وبيروز في هذا الصدد تعالي النظام الصهيوني في الخمسينات والستينات على اليهود المهاجرين من الدول العربية، الذين كان من الممكن والواجب منع قدر كبير من الاضطهاد الذي تعرضوا له. ولكن هذا الأمر يثير تساؤلاً يتعلق بمسألة أخرى: فهل إعطاء حق التصويت للنساء على سبيل المثال هو تصرف مستهجن حتى لو كان سيثير الشقاق في الأسر القائمة على السلطة الأبوية..؟ وهل يجب منع ذلك بسبب الاعتقاد بأن ثقافة الآخر أدنى من ثقافتك..؟ من المؤكد أن منح هذا الحق يتم باسم التحضر الذي يعتبر الخط من قدر النساء عدم تحضر. ولكن إذا كان المرء يعتبر منح المساواة للنساء تصرفاً لا علاقة له بالثقافة، وأنه يجب القيام به لأن الحرية والمساواة هي حقوق إنسانية عامة فستكون النتيجة الحتمية لذلك أنه يعتققيماً معينة يقوم بتصنيف الثقافات المختلفة بناء عليها. ولا يمكن لأحد من الكتاب السياسيين أن يدعى طهارة الذيل في هذا الصدد سوى من لا يجد في نفسه حاجة لاتخاذ قرار في هذا الشأن. ولكن من يعيش بيننا في عالم الواقع مضطر لأن يتخذ قراراً بتأييد أو رفض هذا التصنيف.

الهوامش:

- ١- جرت العادة على أن يلتحق المواطن الإسرائيلي بالجيش لأداء الخدمة العسكرية فور إنهائه الدراسة الثانوية ولمدة ثلاث سنوات بعدها يلتحق الراغب بالجامعة بعد اجتياز امتحان القدرات.
- ٢- حي هاتكفا واحد من أفقر الأحياء الإسرائيلية.

◆ دراسات ◆

٢

هنا والآن.. عمير بيرتس والحالة الإسرائيلية (الفصل السابع): المعجزة الأيرلندية

تأليف: يهوشع سوبول

يضع الوضع الحالي إسرائيل في مرتبة مُتخلفة عن فرنسا بخمسين عاماً في مجال تشريعات الحد الأدنى للأجور وسياسة الأجور بصفة عامة. والبرنامج الذي يقترحه عمير بيرتس في هذا السياق يدعو عملياً إلى صياغة ميثاق اجتماعي جديد يحدد ضمن قانون أساسي واجب الأمة تجاه الفرد والأسرة على غرار ما حدث في الدول الأوروبية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

يقول عمير بيرتس:

- التساهل والنفاق هنا في مسألة الحد الأدنى للأجر غير محتمل. لقد اعتاد بنيامين نتياهو كوزير للمالية في حكومة شارون السابقة، اعتاد الإشادة بالنمو الذي حققته أيرلندا، غير أنه، بهذه المناسبة، أخفى عنا الجانب الآخر من قصة النجاح الأيرلندي، ألا وهو العلاقة بين المعجزة الأيرلندية وبين الحد الأدنى للأجر وسياسة الأجور المتبعة هناك.

ويسرد عمير بيرتس بعض التفاصيل، سافرت إلى أيرلندا بصحبة بوجي هرتسوج لدراسة الأمور على الطبيعة. وبعد أن درسنا جيداً ما يحدث في أيرلندا اتضح لنا أن القاعدة الذهبية التي قام عليها نجاح الاقتصاد الأيرلندي هي قبل أي شيء آخر هو اتفاق تعاون بين أصحاب الأعمال والحكومة والعاملين. بعدها سألتهم: ما هو الحد الأدنى للأجر السائد لديهم، وعندما سمعت الرد كدت أفقد وعي. (مرة أخرى نذكر الحقائق: الحد الأدنى للأجر في إسرائيل ٢,٧ دولار في الساعة. وفي الولايات المتحدة ٥,٩ دولار في الساعة. وفي إنجلترا ٦,١ دولار في الساعة. وفي أيرلندا ٩,٢ دولار في الساعة..).

ليس هناك مكان في العالم تؤدي زيادة الحد الأدنى للأجر فيه إلى البطالة. ولا توجد أي أدلة قياسية على ذلك. وأي إدعاء ضد زيادة الحد الأدنى للأجر يقوم على تفسيرات قديمة، فيقولون لك: إن تكلفة العمل ستزيد ولن يتسنى لأصحاب الأعمال تشغيل عمال في إسرائيل، وبالتالي سيأخذون رؤوس أموالهم وينقلون مشاريعهم إلى أماكن يكون أجر العامل وتكلفة العمل فيها أرخص. ولكن يتضح لنا من خلال النموذج الأيرلندي أن ذلك لم يحدث في أيرلندا. فزيادة الحد الأدنى للأجر وتكلفة العمل لم تتسبب في هروب رأس المال الوطني أو الاستثمارات الأجنبية من أيرلندا. العكس هو الصحيح. عندما تزيد تكلفة العمل يتحسن أداء القوى البشرية أيضاً، الأمر الذي يسمح باستخدام أكثر للوسائل التكنولوجية، وتوسيع رقعة التسويق، وتمديد مظلة الحماية لوسائل الإنتاج ذاتها. أما رخص تكلفة العمل فهو بمثابة إغراء لأصحاب العمل للإبقاء على التخلف التكنولوجي للصناعة، فاستخدام عشرة عمال في مكان يحتاج إلى تطبيق التكنولوجيا الحديثة هو أقل تكلفة من جهاز كمبيوتر واحد أو عملية إنتاج تكنولوجية واحدة. باختصار فإن الإبقاء على الحد الأدنى للأجر منخفضاً هو ضمان لغلبة التخلف على التنمية التكنولوجية الحديثة.

أما عن النموذج الفرنسي الذي أشرت إليه أجاب عمير بيرتس:

- نفترض أن المعارضين لوضع قوانين تقدمية في موضوع الحد الأدنى للأجر جاءوا وقالوا: لا تقارن فرنسا

بإسرائيل. وستكون حجتهم أن القوة الشرائية في فرنسا كبيرة، أما عندنا فالتصدير هو العنصر الأهم بالنسبة للنمو الاقتصادي. نفترض أنه حتى إذا كان هذا الكلام صحيحاً، فلو استمر لديك عمال يحصلون على ٢٠٠ أو ٣٠٠ دولار فلن تكون أمامك فرصة للاستثمار في تطوير تكنولوجيات التصنيع الحديثة، لأنه سيكون من الأفضل لك أن تنفذ كل شئ بالطريقة التقليدية المتاحة في الإنتاج. وعندئذ تكتشف بسرعة فائقة أن التخلف التكنولوجي في الإنتاج يؤدي إلى منتجات متخلفة من الناحية التكنولوجية، ولا تستطيع أن تنافس في الجودة أمام الدول التي استثمرت في تطوير تكنولوجيات الإنتاج المتطورة، لأن قوة العمل البشرية التي تتطلبها مكلفة.

بالإضافة إلى أن معارضي رفع الحد الأدنى للأجور يصرون على التجاهل التام لعدم ارتباط القوة الشرائية للجمهور بمضاعفة رأس مال عشرة مليارات ومائة مليونير: بل إنه يرتبط فقط لاغير بزيادة حصة المبالغ الفائضة لدى جمهور المستهلكين. فطالما أن ٧٠٪ أو ٨٠٪ من الشعب تعيش حياة الكفاف، لن تكون هناك نهضة للاقتصاد. تلك هي الحقيقة التي يحاولون تجاهلها بأي ثمن.

❖ قضية 'شعب واحد' ودروسها المستفادة:

- سألت عمير بيرتس، ما الذي دفعك إلى تشكيل حزب عام أحاد (أو شعب واحد)، وما الدروس التي استخلصتها من هذه المسألة؟

- جاء رد عمير وكأنه يفكر بصوت عال، قصة "شعب واحد" شديدة التعقيد. لقد بدأت القصة باللغز الكبير: كيف يمكن أن تكون البروليتاريا (١) الإسرائيلية مُحسوبة دائماً على اليمين. كيف تطور الأمر لدرجة أن الحركات اليسارية، التي يُفترض أنها كانت الحضانة لكل الجماعات العمالية بمختلف أطيافها، قد تحولت إلى نوادي للنخبة لم تنضم إليها البروليتاريا الإسرائيلية ولم تجد فيها مكاناً.

وبمرور السنين زادت الهوة اتساعاً بين الواقع اليومي لعمال إسرائيل الذي كان يمثل واقع حركة العمل، وبين تصويتهم الذي كان يأتي لصالح الليكود. فالواقع كان ينتمي لحركة العمل أما الوعي فيميل إلى اليمين. وهذا الوضع الغريب كان يتطلب إجراء تحليل عميق.

كان من المعتاد اعتبار أن الواقع يشكل الوعي. لكن في الواقع الإسرائيلي يمكنك أن تكون طوال اليوم داخل مجتمع العمال، لتقضي معهم الوقت والطاقة، وأن تتجول طوال اليوم في حارات المعاناة، وفي المساء تجد نفسك في نقاش سياسي في مركز حزب العمل ويجلس بجانبك رجال صناعة كبار ومدراء شركات من عليا القوم.

سألت نفسي كيف يحدث هذا وكيف يستمر ولماذا لا تعمل الزعامة التقليدية لليسار على احتواء حقيقي لهذه الشرائح المهمة من السكان التي كانت هي الجمهور المستهدف لكل نشاطات اليسار في يوم ما. لقد تولد عندي شعور بأنه إذا كانت زعامة اليسار أدركت كيف تقترب من البروليتاريا الإسرائيلية الحقيقية، لاستطاعت أن تؤثر عليها تأثيراً كبيراً وأن تشكل وعيها بالفعل. لقد فشلت هذه الزعامة في إدراك كيفية إعطاء هذه الشرائح من السكان الشعور بالانتماء.

من هنا استنتجت أن السياسة الإسرائيلية ليس بمقدورها مواجهة شعور واحد أساسي، وهو الشعور بالانتماء. الانتماء إلى جماعة، أو إلى حزب، أو تيار. والاختبار الذي فشل فيه اليسار الإسرائيلي فشلاً ذريعاً كان هو منح الشعور بالانتماء للبروليتاريا الإسرائيلية الحقيقية. لقد أخفق اليسار الإسرائيلي أن يكون شريكاً في هذا الشعور. فلا انتماء للصهيونية، ولا انتماء إلى بناء الدولة. ونمت نظرية تفرق تماماً بين صهيونية ملموسة مُحققة وبين صهيونية يمكن اعتبارها 'صهيونية بالإكراه'. فقد كان هناك صهيونيون حقيقيون في نظر أنفسهم، وآخرون كانوا في نظرهم صهيونيين رغماً عنهم. ولست واثقاً أن يُقبل هذا التصور من منظور الموضوعية التاريخية. ولا أعرف هل إذا كان الشخص الذي اعتبر دولة إسرائيل أملة لأنه آمن بذلك بسبب مصادر الاعتقاد الديني، تكون قوة صهيونيته أقل من شخص آخر قرأ هرتسل فجعله يذهب إلى دولة إسرائيل. ولست واثقاً ما الذي يعطي قوة أخلاقية أكثر أو ما الذي يتسم بشرعية أكثر في أن يُسمى صهيونياً.

حتى الهجرة الثانية، التي جلبوها كنموذج للهجرة الأيديولوجية، التطوعية الطليعية، كانت في أغلبها على هذه الشاكلة، ولكنها ضُمَّت في جزء منها شبان هربوا من روسيا بعد فشل ثورة ١٩٠٥ (٢) لأن الشرطة القيصرية لاحقتهم، ولو تم القبض عليهم لكان مصيرهم السجن، في غياهب سيبيريا. ويبدو أن بعضاً لا بأس به ممن تطور وعيهم وأصبحوا من زعامات الهجرة الثانية قد جاءوا إلى البلاد من باب الاختيار الأسهل تقريباً. وكما نعرف فإن غالبية الهجرة الثانية قد غادرت بعد ذلك. وهناك أعداد كبيرة عادت إلى أوروبا وبعضهم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وهؤلاء الذين هربوا من روسيا وجاءوا إلى إسرائيل لأن الشرطة القيصريّة لاحقتهم، بعد أن وصلوا هنا كان من السهل عليهم أن يتحدثوا عن هجرتهم إلى إسرائيل وكأنها تمت بدوافع أيديولوجية خالصة. كذلك بعد الحرب العالمية الأولى، مع انهيار وتفكك الإمبراطورية النمساوية - المجرية وضمت فجأة مناطق مثل جاليتسيا إلى بولندا وبدأت مضايقات وملاحقات معادية للسامية في أماكن معينة، وعاش اليهود الذين فروا من هناك في معاناة وشعروا معها وكأن الأرض تشتعل من تحت أقدامهم. ولا مجال للتحدث عن الهجرة الرابعة التي جاءت من بولندا نظراً لاندلاع موجات معاداة السامية هناك أيضاً، وبالتأكيد يصدق هذا أيضاً على الهجرة التالية القادمة من ألمانيا ووصلت إلى إسرائيل عام ١٩٣٣.

إذا راجعنا عدد الذين جاءوا إلى هنا ضمن هجرة أيديولوجية حقة، فإنني اعتقد أنه عدد متواضع للغاية. بعد ذلك وضعوا سيناريو معين منحهم وضع "صهيونية المتحققة"، أي هجرة بدوافع أيديولوجية خالصة. فالذي يدفعنا للقيام بمثل هذا العمل أمر واحد، وبعدها يقولون لنا قصة أخرى تماماً. لذلك اعتقد أن التقسيم والتفرقة بين هجرة واقعية مُتحققة وبين هجرة نتيجة أزمة لهو أمر واجب للتأكد بعدسة مكبرة إذا كنا نريد أن نعرف ماذا حدث في الواقع.

لكن الحقيقة أن الواقع هنا ليس مُهماً إلى هذه الدرجة. فما أهمية أن انجح في خلق هيكل أخلاقي لا أملك أية أدلة لإثباته أو آلية لتطبيقه، المهم أن يكون الهيكل موجوداً. وتحت هذا الهيكل عشنا عشرات السنوات وهذا بالفعل يرتبط بموضوع "شعب واحد" في مرحلة لاحقة. والحقيقة الأهم لفهم البنية السياسية لإسرائيل هي أنه كانت هناك الكثير من التقسيمات السياسية بالطريقة التي قسموا بها أنماط السكان المهاجرين في الهجرة الجماعية بعد قيام الدولة. المهاجرون جاءوا إلى إسرائيل، وهنا قاموا بعملية فرز وقالوا: هذه المجموعة تنتمي إلى المبدال، وهؤلاء سيكونون انتماءهم للماباي، وهؤلاء للعامل الصهيوني (٢). واليوم من المفزع أن تفكر في أن مستوطنات كاملة كانوا يقررون على أي حزب تقع مسئوليتهم، وكل شئ بموجب تقسيم سياسي تضعه القوى في الوكالة اليهودية وفي مؤسسات الاستيطان. وما يؤسفنا أيضاً أنه حتى في فترة الهجرة الأثيوبية لم نتخلص من ذلك. وحتى شرط استيعاب الأثيوبيين، بضرورة الدراسة في مدارس دينية رسمية، كان جزءاً من الاتفاقات السياسية، ولم يسأل أحد عن الرغبة الحقيقية للمهاجرين الأثيوبيين أنفسهم بالنسبة للتعليم الذي يريدونه لأبنائهم.

- أنت نفسك لاحظت هذه الظاهرة عندما تأملت قصة استيعاب أسرة والديك..٩-

- لقد بدت الروح الأسرية في نظر السكان الذين استوعبهم كشئ يُشبه نسمات الأصالة. هذه الروح الأبوية ذاتها كانت بمثابة عودة إلى الأصالة. وكلما فكرت اليوم في ذلك، أجد في أنهم قد نجحوا في عمل شئ ما لهجرة الخمسينيات، نجحوا بصفة خاصة في كسر الروح الأبوية. واليوم اعتقد، من خلال نظرة إلي الوراء، أن السكان المستوعبين كان عليهم إدراك أن قوة وطاقمة الروح الأبوية الأسرية بمقدورها أن تكون حافزاً ليصبح الارتباط بالإسرائيلية الجديدة أسرع بكثير وأكبر نجاحاً. لكن السكان المستوعبين (الحاضنين) لم يتمكنوا من فهم هذا الأمر، لأنهم هم أنفسهم كانوا غارقين في الفكرة القديمة بأن الروح الأبوية هي تعبير عن الفطرة والسذاجة والرجعية.

انظر الآن ما يحدث عندما ييثون إليك ما يوحى ببعض لمحات تتشابه مع الفطرة والأصالة. فإذا كانت البنية الأبوية فطرية، فلفة منزل أبي هي فطرية، أي أن المغربية التي جاءت معنا كانت فطرية وتتسم بالأصالة. أنت تستقبل ذلك بصفة يومية، ساعة بساعة من المعلومات المجندات اللاتي جئن إلى المستوطنة. وفي غضون ذلك تعلم أنه ليس هناك ما يسمى لغة أصلية أو فطرية لوالديك. ولكن لتثبت أنك مندمج يجب أن تتحدث العبرية. وهنا برزت مشكلة. أن أمك لا تتحدث إلا المغربية. وعليك أن تتحدث معها أيضاً في النهاية. وكأطفال كنا نعرف: عندما نسير في الشارع، ونشاهد أحد الوالدين عن بُعد، كنا نسارع بالولوج في أي طريق جانبي حتى لا نلتقي ونضطرب للحديث معه في الشارع بالمغربية. ولا بأس لو تحدثنا المغربية في البيت. إنه شئ مزعج. وهذا بالطبع يفتح الباب على مصراعيه على صراع الهويات.

◆ جيل كامل يريد شخصية الأب:

عندما تفكر في ما حدث لمجموعات كاملة من الشبان في الوقت الذي فقد فيها الأب مكانته كشخصية ذات صلاحية حاسمة، وعليه أن يذهب للعمل، إذ لم يكن رجلاً بإمكانه أن يهتم بإعالتهم جميعاً، وفجأة تجد فئات كاملة من الشبان نفسها منزوعة الرقابة، وغير قليل منهم وجدوا أنفسهم بسرعة في الطريق إلى السجن. إذا لم يكن قد طرأ على الذهن أولاً أن الشاب الذي سيدخن من خلف ظهر والده، فإن نفس الشاب سيصفر فجأة على أبيه إلى أن يسمح لنفسه بالتدخين بجوار الأب، وعندما يفعل ذلك فهو يحطم في ذات اللحظة مكانة الأب. فما حدث أن السلطة الأبوية دُمّرت دون أن يحل محلها أي بديل، وعندما دُمّرت هذه الصلاحية نشأ فراغ كبير وتربة خصبة للمشاكل. وما

حصل أنه في مرحلة معينة عند وصول الشبان الذين جاءوا مع هجرة الخمسينيات تحولوا إلى مجموعة توسم بالتخلف وانعدام القدرة على تحقيق أى انجاز والاختلاف، لأن الأبوين أنفسهما لم يكنا المثال والنموذج الذى تبنى عليه الجيل التالى. لقد جاء الآباء وبدءوا فى العمل من أجل البقاء. نعم، عملوا من أجل البقاء. وتربى جيل كامل دون نموذج وفى فضاء كبير وفراغ بدلا من شخصية الأب.

وعندما شرح عمير بيرتس النمو النفسى لأبناء جيل بلا أب، وجدت نفسى أفكر فى أنه ربما أصبح أبناء هذا الجيل زعماء سياسيين يمثلون الأبوة، وبسرعة كبيرة وصلوا إلى مرتبة آباء الأمة. هل لم يكن بيجين بديلا لمثل هذا الأب، الذى يحمل شخصية ومقومات الأب لكل من سعى للإحتماء بأبوة قومية؟. وأما شارون فكان يمثل تداخل غريب وخاص للأب والجدة، وبالتالي كان باستطاعته أن يلبي مؤقتاً المتطلبات النفسية لجيلين متتاليين فى نفس الوقت: أن يكون أباً لجيل كامل من أبناء حُرّموا من الأب وأن يكون أيضاً ومؤقتاً جداً لجيل حُرّم من الجدة، لعلمهم هم الإسرائيليين فى العقد الثالث من العمر أحفاد الآباء الذين تفرق جمعهم عند الهجرة إلى إسرائيل خلال حقبة الخمسينيات من القرن العشرين.

وبالفعل، عندما وصل شارون إلى نهاية المطاف كزعيم، توج بأثر رجعى باعتباره من آباء الأمة، وشعر كثيرون باليتم من بعده. فهل انتهى بذلك العهد الطفولى الإسرائيلى؟. هل منذ ذلك الحين فصاعداً لن يبحث الشاب الإسرائيلى عن بدائل للأب والجدة، ويتجه إلى اختيار زعمائه بناءً على ما يطرحونه من أولويات وجدول أعمال من أجل إصلاح أوجه الخلل الكثيرة فى المجتمع الإسرائيلى، حصيلة سنوات من إهمال التزامات وواجبات الدولة تجاه مواطنيها، لدرجة عدم تعريف ولدرجة تقليص وانتهاك هذه الالتزامات بشكل تام تقريباً على أيدي الحكومة الإسرائيلىة خلال السنوات الخمس الماضية؟.

ويعود عمير بيرتس لأحد الموضوعات التى تشغله ولم يجد ما يشفى غليله فيه: الفشل الذريع الذى منيت به حركة العمل فى كسب صداقة يهود الشمال الأفريقى.

- يقول عمير، اليهودية التى جاءت من شمال إفريقيا كانت يهودية تقليدية وأقرب إلى حركة العمل. لقد كانت اليهودية الأكثر تسامحاً، الأكثر انفتاحاً، الأكثر استعداداً للتلقى. إنها لم تكن يهودية متشددة أو منغلقة. بل بالعكس. بالعكس تماماً. لقد كانت يهودية يمكن تشكيلها مثل المادة اللدنة داخل الإسرائيلىة الجديدة، إذا كانوا أعطوهم فقط إحساس بأنهم جزء من القضية، بأنهم ليسوا مادة ما تخدم القضية، لكنهم جزء منها، بل هم أنفسهم القضية. صحيح أنهم يخدمون القضية، لكنهم جزء منها، هم جزء من نتائجها. وبالطبع فإن طفولتنا أيضاً تراققنا فى كل اللحظات العصبية التى نلتقيها، فعندما نسمع أن أبونا أحرقوا مكتب العمل لأنه لم يقم بتوزيع أيام العمل، فى الوقت الذى وزعوا فيه العمل بناءً على المخصصات وحصل كل واحد على عدد من الأيام فى الأسبوع.

وهذا يُعيدنا فى الواقع لقصة "شعب واحد". لأنه بالرغم من كل ما أقول، فإن قوة استثارة العواطف فيما يروجه اليمين لم تنجح فى اجتذابى. وهذا يعنى، أن موقف الناخب الذى يصوت ضد شئ ما وليس لصالح شخص ما لم يكن فى يوم من الأيام ليجتذبني إليه. بمقدورى أن أكون متمرداً كبيراً، وبمقدورى أن أكون ثورياً عظيماً، لكن كل ثورة أقدم على القيام بها فى الحياة هى من أجل شئ ما. وليست ضد شئ ما. فهى ليست من أجل تخريب العالم القديم فقط، بل هى أيضاً من أجل بناء عالم جديد.

♦ تحويل السكان المطحونين إلى دعاة سلام:

يقول بيرتس، أكثر ما يؤرقنى حتى اليوم، هو حلمى بأن يأتى الوقت الذى تتحول فيه فئات السكان التى تنتمى على وجه الخصوص وبصورة مؤكدة إلى جبهة الرفض إلى فئات سكانية دافعة لمسيرة السلام. لأننى اعتقد أن التنظيم السياسى يصبح على الطريق الصحيح عندما يشعر بالفعل بالجماعات التى ترتبط به وبالتالي تضع الدولة على الطريق الصحيح من وجهة نظرها. وبمرور السنين فقدت حركة العمل العلاقة مع هذه النوعية من السكان. والصور التى نراها اليوم تثبت بدرجة معينة أن هؤلاء السكان هم الذين يقدمون التضحيات الكبيرة. والحقيقة هى أن اليسار الإسرائيلى قد فشل فى تحويلهم إلى جزء من معسكره من خلال التحايل على أزمته، لأن اليمين لم يقدم أبداً مقترحات بالكيفية الحقيقية التى يمكن أن تعالج أزمته، ومن هنا فإن حل أزمة هؤلاء السكان لم يكن يمثل شيئاً لليمين. فهو لا يحتاج إليهم إلا كجيش من الناخبين، والواقع أنه كلما تعمقت أزمته، وتزايد يأسهم، ازدادت سيطرة اليمين عليهم كمجرد جيش للناخبين.

والأكثر من ذلك، أن اليمين قد حصل أيضاً من هؤلاء السكان الياثسين على شرعية فى الاستيلاء على أفضل موارد الدولة واستثمارها فى تلك الخطط التبشيرية فى قطاع غزة والضفة الغربية. وبرز وضع غريب، يتم فيه الحصول على الشرعية السياسية من أناس يدفعون الثمن كاملاً وتمنح لأناس يتقاضون الثمن كاملاً. وبسرعة فهمت

أن العوائق النفسية التي ظهرت بين هؤلاء السكان وبين حركة العمل لا يمكن تجاوزها، والطريق الوحيد لإسقاط هذه الأسوار هو في الواقع محاولة البدء من القاعدة.

والبدء من القاعدة هو أول ما يمكن قوله: حسناً، لم نتحدث عن أي شيء بما فيه الكفاية. والآن نبدأ التحدث عن أبسط الأشياء، عن حق الإنسان في كسب قوته بكرامة، وأن يعامل عندما يتقدم في السن معاملة كريمة. ليس مهماً ما تفكرون فيه. كونوا يمينيين أو يساريين. لن نتناقش في الأمر. لكن الآن نحن مقبلون على رحلة طويلة، وقبل كل شيء يجب أن نغير نظرية أن كل شيء هو من صنع السماء. هناك الكثير من الأمور تتوقف علينا وعلى ما نفعله. ومما أدهشني بشدة أن هؤلاء السكان واثقون أن السلام هو من صنع أيدينا، لكن أزمتههم ومعاناتهم فهي أمر إلهي. وكنت أقول في سخرية إننا في حاجة إلى مباركة السماء بدرجة ما في موضوع السلام بالتحديد، أما البحث عن حلول لأزماتنا فيمكننا أن نفعل الكثير بأنفسنا.

ولكنني وجدت نفسي عندئذ أشعر بشك كبير في استعداد حزب العمل لإسقاط الجدران بصورة حقيقية والاعتراف بالفئات السكانية المأزومة وبحقها في تبوأ مكانة محورية في تشكيل صورة حزب العمل. كل هذه القضايا كان الشك يكتنف الرد عليها نظراً للتاريخ الطويل من الأخطاء التي وقع فيها حزب العمل في علاقاته مع السكان المأزومين. وعندما اتضح لي أن حزب العمل تحول إلى فرع من الليكود من ناحية ومن ناحية أخرى يرفع راية الليبرالية الرأسمالية التي لا تختلف كثيراً عن الطريق الذي التزمه بيبى (نتياهو) عندما كان رئيساً للوزراء، فأدركت أنني إذا اشتركت في هذه المسيرة الجديدة لزعامة حزب العمل، فإنني بالفعل أساهم في استمرار القطيعة بين معسكر السلام والمعسكر الاجتماعي.

من ناحية أخرى علمت أنني ربما أكون الوحيد الذي يمكن أن يحقق الأفضل لحركة العمل. لقد أدركت أنه بمقدوري أن اجتذب أصوات المحسوبين على معسكر اليمين، ويمكنني أن أجعل من الثلاثة أو الأربعة مقاعد التي سأحصل عليها هي المقاعد الحاسمة في المعركة.

يمكنني اليوم أن أقول وبكل وضوح أنني لو نظرت بمنظور تاريخي لمسألة هل كنا على حق عند إنشاء حزب شعب واحد (٤)، نعم أم لا؟ أستطيع القول أننا كنا على حق تماماً. لأنه لم يكن هناك أي احتمال لتغيير الجدل العام في دولة إسرائيل إلا بحقيقة أنني بمشاركة يتفقون في الموقف معي نتكاتف سوياً في هذه الجبهة كبداية الطريق، حتى تحول هذا مصطلح 'نضال اجتماعي' إلى مصطلح 'مُقنن ومُتداول في السياسة الإسرائيلية خلال السنوات الخمس الأخيرة. وقبل عشر سنوات لم يكن موجوداً أصلاً. وما يبعث على الغرابة في هذا الأمر أن الأشياء التي تبدو الآن مفهومة من تلقاء نفسها لم يكن لها وجود في الأصل. مثال ذلك أننا نتحدث اليوم عن دولة فلسطينية وكأنه أمر ليس بحاجة إلى تفسير. أنت تقول: هل من المعقول أنهم قبل عشر سنوات فقط كان إذا تحدث شخص ما بضرورة إقامة دولة فلسطينية، يعتقدون أنه تقريباً نصف خائن في هذه الدولة؟ أما اليوم فقد أصبحت نفس العبارة دارجة على ألسنة الناس العاديين ببساطة وسهولة.

لقد كنا بالضبط في نفس الموقف. ولكن بدلاً من دولة فلسطينية، وهو أمر أكثر تحديداً ووضوحاً، نحاول ترويج قيم ومفاهيم اجتماعية كنظرية سياسية وهو أمر لم يكن له وجود في دولة إسرائيل. وذلك بالرغم من حقيقة أنك عندما تراجع التحولات في إسرائيل إن كانت اجتماعية أو سياسية يتضح لك أن معظم التحولات كانت اجتماعية. حتى تحول مناحم بيجين، وتحول يتسحاق رابين، كان في المجمل اجتماعي. ورغم حقيقة أن رابين كان رجلاً أمنياً معنياً بشؤون الدفاع، فلم يأتي بأي بادرة سياسية تختلف جديدة. لقد ذهب إلى أوسلو بعد انتخابه. ولكن قبل انتخابه جاء إلى ديمونه وحضر معي مؤتمرات هناك وقال للجمهور: إنكم لم تتركوا الليكود، بل الليكود هو الذي ترككم. لقد فهم أهمية التوجه الاجتماعي ومحاولة ربط القضايا الاجتماعية بالقضايا السياسية.

ولكن لا شك في أهمية الهستدروت باعتباره كان في ثورة الصراعات، وأن 'شعب واحد' كان موجوداً كحزب سياسي مختلف عن كل سابقه في المجال الاجتماعي. نظراً لأن الأحزاب الاجتماعية في إسرائيل تنقسم حتى اليوم إلى نوعين: هناك أحزاب اجتماعية دينية، وأحزاب اجتماعية قومية ذات طابع قومي حاد ومتشدد، مثل الأحزاب العربية.

والواقع أن 'شعب واحد' كان الحزب الوحيد الذي حصل على أصوات، صحيح غير كافية، لكنها أصوات من كل الشرائح السكانية: من العرب، ومن اليساريين واليمينيين، من المتدينين والعلمانيين. ولعلمهم إذا درسوا من الناحية التاريخية وأعطوا 'شعب واحد' ما يستحقه من درجات، فإن النتيجة التي سيتوصلون إليها هي أن الحزب نجح في جعل القضية الاجتماعية أكثر أهمية لدى الفرد، بل أنها تتقدم على ما هو سياسي داخلياً وخارجياً، وكان ذلك أمراً غير مسبوق في إسرائيل.

♦ في أية دولة نريد أن نعيش؟

يقول عمير بيرتس، إننى أشعر بالتغير فى كل مكان. ذهبت مساء أمس إلى إحدى حفلات الزفاف لتقديم التهانى. وظهر الحاخام بملابسه التقليدية، وقال عندما استهل مراسم مباركة الزواج، قبل أن أبارك هذا الزواج يقف بيننا هنا ضيف، وواصل بشكل دعائى بعض الشئ وصادر من القلب ما لم أسمعه منذ عدة سنوات: بعون الرب سيصبح عمير بيرتس رئيس الوزراء. بهذه البساطة. لم يكن هناك مثل ذلك منذ عشر سنوات. شخص ما يتبنى نظرية اجتماعية يقولون له "بعون الرب سيصبح رئيساً للوزراء". كانوا يقولون فى السابق، بإذن الله يكون وزير الشرطة أو وزير العمل. أتعلم؟ لأن هذا هو الموضوع. إنه كل الموضوع. فأنت تأتى فجأة وتقول: عفواً، صحيح هناك قضايا سياسية، وهناك قضايا أمنية، ولكن أن الآوان لوضع مشكلة المجتمع والملف الاجتماعى فى المقام الأول.

والقضية التى تشغل الإسرائيليين كثيراً هى: فى أى نوع من الدول نريد أن نعيش؟ أى نوع من المجتمعات يوجد لدينا؟ هل أريد أن أعيش فى دولة يتربص فيها الإنسان بأخيه الإنسان كترىص الذئب؟ هل أريد أن أعيش فى دولة تهمل كبار السن والضعفاء وتتركهم ضحايا لمصيرهم؟ هل أريد أن أعيش فى دولة لا تضمن خدمات صحية متساوية لكل فرد؟ هل أريد أن أعيش فى دولة يعيش نصف سكانها تحت خط الفقر؟ هل أريد أن أعيش فى دولة لا يكون التعليم فيها لأولادى وأحفادى مجاناً من الحضانة إلى الجامعة؟

نحن لن نسمح لدولة إسرائيل بأن تكون غير مُبالية بما يحدث. أثّرنا جدلاً عاماً جديداً. وصاحب طرح القضايا غضب شديد. واضطر آخرون إلى منافستنا، وفجأة أصبح ليكود ييبى وكذلك كاديما شارون وما بعد شارون "اجتماعيين". وبالتالي فرضنا بالفعل جدول أعمال للانتخابات التالية وما يليها فى ترتيب الأهمية. وقد خلق ذلك اتجاهات الآن مفهوماً من تلقاء نفسه. وفجأة أصبح هناك صراع حول من الأحق بأن يكون القائد لهذه القضايا الاجتماعية وفجأة أيضاً أصبح الفقر فى بؤرة الاهتمام سواء بالنسبة لييبى أو لأعضاء الليكود الذين ذهبوا إلى كاديما وكانوا هم أنفسهم السبب فى وجوده بسياساتهم خلال السنوات الخمس الماضية. وبات الصراع القادم - من أجل مكافحة الفقر.

وقد فعل فك الارتباط شيئاً مهماً. فجأة لم تعد غزة موجودة وكان من الضروري أن نسأل أنفسنا أسئلة صعبة. الآن، وبعد أن توقف البكاء الذى غمر الأرض من تحت أرجلنا، وانتهى إعصار تسونامى العاطفى، جاء بالتدريج الوقت الذى نطرح فيه الأسئلة الصعبة:

ما هؤلاء الرفاق، هؤلاء المستوطنين؟ "أسياد البلاد"؟ ما هذه القصة؟ من الذى سمح لهم طوال كل هذه السنوات بعدم الخضوع للقانون وعدم الخضوع لأى معيار؟ إن البشر الذين يعيشون تحت خط الفقر يمكنهم أيضاً أن يأتوا ويفرضوا شروطهم ويُعطوا للدولة إنذاراً كما يفعل المستوطنون؟ أن يقولوا، نطلب ٢٠٠ أو ٤٠٠ ألف شيكل للأسرة، وأن يطلبوا منحهم مساكن بديلة مقابل ما تعرضوا له من فقر لعشرات السنين؟ وسيكون الرد بالرفض.. طبعاً! ولكن فجأة تدبر دولة إسرائيل مدناً على الساحل فى غضون ستة أشهر، وتجهز أماكن عمل سواء كانت مناسبة أو غير مناسبة لمن تم إخلاؤهم. ما هذا؟ أى قصة سخيفة تلك التى نسردها عن أنفسنا؟ عنا جميعاً؟

"أسياد البلاد" هؤلاء، هم الدلالة الواضحة على الفشل الذريع لحركة العمل. وفى كل مرة يستدعى الأمر ظهوراً، تخرج إحدى زعامات حركة العمل وتقول: أوقفوا فوراً هذه الفضيحة من إهدار لموارد الدولة على المستوطنات - لكن أحداً لا يهتم! لماذا؟ لأنهم كانوا هم البادئين بالتحرك، إذن تعالوا نقول الحقيقة. الخطأ القديم يكمن فى حركة العمل. لأنه إذا كانت حركة العمل حقيقية لقالت إنه للحفاظ على هذه الدولة يجب أولاً حماية الفئات السكانية الضعيفة التى تعيش فى الدولة، وليس حماية "أسياد البلاد" الذين يسعون للعيش على حساب الدولة خارج حدودها!

والآن عندما أخلينا المستوطنين من قطاع غزة، كنت أقول لهم منذ الصباح وحتى المساء: عفواً، اسمحوا لى! لماذا لا تأتون للعيش معنا فى سديروت؟ لماذا كل هذا الخوف؟ ولماذا تبكون؟ ماذا حدث؟ ألا يروكم أن تكونوا قوة مُضافة إلى سديروت ونتيفوت وكريات ملاخى أو يروحام (٥)؟ وحقيقة أن هذا الكلام لم يصدر عن زعامة حزب العمل بالذات خلال فترة فك الارتباط ربما تتم أكثر من غيرها عن، فشل حركة العمل، بكل مكوناتها. ولا حتى سمعنا أى صوت من معسكر السلام خلال فترة فك الارتباط، دون أن نعرف السبب.

الواقع أن عدداً غير قليل من البشر، من بينهم مفكرون وكتاب مُهمون، انتحروا خلال حقبة الثلاثينيات من القرن الماضى لأنهم استشعروا أن الإنسان فقد القدرة على فعل شئ فى هذا العالم. لقد انتابهم هذا الشعور على خلفية صعود الفاشية من ناحية والشيوعية الدكتاتورية من ناحية أخرى فأصبح الإنسان مجرد أداة للأنظمة الحاكمة طبعت على جبهته عبارة "يُستخدم ويُلقى".

واليوم يعود هذا الشعور بسبب الأصولية الاقتصادية، التي تمثل نوعاً من الحكم الديكتاتوري لرأس المال وقوانين السوق. ومرة أخرى تنتظر حولك وترى هذه العبارة الخطيرة ظاهرة على جباه الناس: "يُستخدم ويُلقى". فهذا العالم الذي نعيش فيه لا يحتاج إلينا كبشر. بل يحتاج إلينا كما كينة مهمة ويفرض علينا أن نسوّق أنفسنا بكل ما نملك من قدرة. وفي اللحظة التي لا يستطيع فيها الإنسان أن يُسوق نفسه كما ينبغي، فإنه يعتبر حُثالة يجب على عالم الأصولية الاقتصادية أن يتخلص منه. وكما انهارت أنظمة الحكم الديكتاتورية في القرن الماضي فإن ديكتاتورية الأصولية الاقتصادية ستتهار أيضاً، ولكن لن يحدث ذلك إلا إذا أفاق ملايين المتضررين من أحلام الجنة الكاذبة التي تلوح بها الأنظمة غير الإنسانية.

إن الدفع بالاصلاح الاجتماعي إلى رأس الأولويات القومية هو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه. الإنسان ليس بحاجة إلى اقتصاد أصولي، بل بحاجة إلى اقتصاد يخدم الإنسان. وليس بحاجة إلى دولة تخدم الأصولية أياً كان نوعها وتفرضها على مواطنيها، بل دولة في خدمة الإنسان. هذه هي القاعدة التي يجب أن نصيغ على أساسها ميثاقاً اجتماعياً جديداً.

الهوامش:

١- البروليتاريا هي تسمية نشأت في القرن التاسع عشر للطبقة الفقيرة في فرنسا ابان حكم ماري انطوانيت. واستخدمه كارل ماركس في الإشارة إلى الطبقة العاملة التي لا تمتلك أدوات الإنتاج. البروليتاريا هي الطبقة التي - من بين كل طبقات المجتمع - تعيش كلياً من بيع عملها فقط، وليس من أرباح أي نوع من أنواع رأس المال. وتتوقف معيشتها بل وجودها ذاته على مدى حاجة المجتمع إلى عملها، أي أنها رهينة فترات الأزمة والازدهار الصناعي وتقلبات المنافسة الجامحة. بإيجاز البروليتاريا هي الطبقة الكادحة في كل المجتمعات وفي جميع الأزمان.

٢- هي الثورة التي تعرف في التاريخ بيوم الأحد الدامي. ويعتبره الكثيرون الإرهاب الحقيقي للثورة الروسية. وفيه خرج رجل الدين جابون على رأس آلاف العمال من جميع أنحاء مدينة سان بطرسبورج مُتجهين إلى ساحة قصر الشتاء ليقدموا عريضتهم للقيصر، بعد أن أكد زعيمهم للقيصر حرصهم على سلامته وإخلاصهم له طالبين أن يُطل عليهم فقط ويسمع لشكواهم. ولكن صدر الأمر باستدعاء قوات الجيش التي أعملت التقتيل بالسلاح الأبيض وبإطلاق النار على العمال بلا رحمة فسقط في ذلك اليوم ما لا يقل عن ألف قتيل وألف جريح.

٣- حركة العامل الصهيوني هي اتحاد عمال حركة الشبيبة الصهيونية. واتحاد عمال غير اشتراكي انضم إلى الهستدروت لاحقاً. وكان أعضاؤه أحد عُنصرين يكونان الحزب التقدمي الذي تأسس مع قيام الدولة.

٤- كان شعب واحد (عام آحاد) حزباً اشتراكياً اجتماعياً، أقرب إلى الجناح اليساري في الخريطة السياسية في إسرائيل، وقد شكّل عام ١٩٩٩ على يدى عمير بيرتس وأديسو مسالا ورفيق حاج يحيى. والثلاثة أعضاء بالكنيست استقالوا من حزب العمل. وترأس الحزب طوال فترة وجوده، حتى انضوائه في حزب العمل عام ٢٠٠٥، عمير بيرتس. وكان الحزب موازياً من حيث المواقف السياسية للهستدروت العام، الذي كان يرأسه عمير بيرتس بين ١٩٩٥ - ٢٠٠٥، حتى تعيينه رئيساً لحزب العمل وترشيحه من قبله لرئاسة الحكومة، في انتخابات ٢٠٠٦. التزم الحزب خطأً اشتراكياً اجتماعياً وانصب نشاطه في الكنيست على الدفاع عن حقوق العمال. وعلى مدى فترة بقائه كان الحزب في صفوف المعارضة.

٥- ثلاث مدن تقع في القطاع الجنوبي لإسرائيل: نتيفوت تبلغ مساحتها الإدارية ٨,٥٠٠ دونم. وقد أعلنت كمدينة في عام ٢٠٠٠، ومعدل النمو السنوي للسكان هو ٣,٩٪، وقد وصل تعدادهم في سبتمبر ٢٠٠٢ إلى ٢٢,٩٠٠ نسمة. وغالبية السكان في نتيفوت هم من اليهود. كريات ملاخي تبلغ مساحتها الإدارية ٥٠٠٠ دونم. وأعلنت كمدينة عام ١٩٩٨، وكان تعداد سكانها في سبتمبر ٢٠٠٢ يصل إلى ١٩,٢٠٠ نسمة. ومعدل الزيادة السكانية سنوياً ٤,٠٪ وغالبية سكانها من اليهود. وقد أقيمت المدينة على ما تبقى من قرية كاستينا العربية التي كانت موجودة حتى اندلاع حرب الاستقلال وعلى اسمها سُمي مفترق طرق ملاخي كاستينا الذي يمثل مدخل المدينة. يروحام تبلغ مساحتها الإدارية ٢٤,٠٠٠ دونم. وظهر المجلس المحلي لها عام ١٩٥٩ وكان تعداد سكانها عام ٢٠٠٢ هو ٩,٤٠٠ نسمة، معدل النمو السكاني السنوي ١٪. وتعد مدينة مُختلطة غير أن نسبة السكان اليهود تصل إلى حوالي ٩٧٪.

◆ دراسات ◆

٣

مؤتمر عن العلاقات بين القيادة المدنية والقيادة العسكرية في إسرائيل في ظل المواجهات العسكرية (❖)

جامعة تل أبيب - مركز يافى للدراسات الاستراتيجية

بقلم: رام إيريز - ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

العلاقة بين القيادتين أثناء الانتفاضة الأولى بقلم: عمار متسناع (١)

كانت الحكومة الإسرائيلية في عام ١٩٨٧ الذي اندلعت فيه الانتفاضة الأولى حكومة ذات هوية عسكرية وأمنية واضحة، فقد كان خمسة من وزرائها وزراء دفاع سابقين - وهم يتسحاق رابين (الذي تولى فيما سبق منصب رئيس الأركان أيضاً) وأريئيل شارون وشمعون بيريس وعيزرا فايتسمان وموشيه آرنس - وكان معهم في الحكومة رئيس الأركان الأسبق حاييم برليف، وانضم إليهم في وقت لاحق اعتباراً من عام ١٩٨٨ رئيس الأركان الأسبق موتى جور على الرغم من ذلك لم تعقد الحكومة أى جلسة لمناقشة المشكلات التي تسبب فيها الوضع الجديد في المناطق في تلك الفترة، ولم تناقش هذه المشكلات على الإطلاق. صحيح أن هناك مشاورات قد جرت في مراحل مختلفة مع خبراء مثل دافيد عفرى ودان مريدور بمبادرة من لجنة الخارجية والأمن بالكنيست. ولكن في اللحظات الحاسمة عندما كانت هناك حاجة إلى تحديد غايات وأهداف الصراع ضد الانتفاضة - على أساس المشكلات القائمة - لم يجر أى حوار حقيقى بين القيادات العسكرية والسياسية.

لم يكن هذا الأمر غير معتاد. ففي كل مرة كان صناع القرار يصلون فيها إلى منعطف يتطلب قراراً حاسماً، كان هذا القرار - في حالة اتخاذه - يتخذ في اجتماع مغلق، دون تفاهم مع الجيش. حدث هذا في الاتصالات التي أدت إلى اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٢، كما حدث عند إعداد اتفاقية السلام مع الأردن عام ١٩٩٤، وفي قرار الانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٠. وبنفس الطريقة نشأت خطة فك الارتباط مع قطاع غزة وشمال السامرة.

كانت الانتفاضة الأولى التي اندلعت في ديسمبر عام ١٩٨٧ بمثابة مفاجأة. وكانت مفاجأة بصفة خاصة لأولئك الذين لم يفهموا كيف احتاج الأمر من الفلسطينيين عشرين عاماً حتى يثوروا. كما كانت مفاجأة للذين كانوا يعتقدون أنه سيكون من الممكن مواصلة الاحتفاظ بالمناطق عشرين عاماً أخرى دون أى مشكلة، أو "بثمان بخس" حسبما عبر عن ذلك موشى ديان قبل الانتفاضة ببضع سنين. بل وكان البعض يعتقد أنها ستمثل إضافة اقتصادية لصالح دولة إسرائيل. وبالفعل فقد كانت السيطرة على المناطق في نظر البعض بسيطة، ورغم التذبذب في مستوى عدم الهدوء، لم تظهر أى حاجة حقيقية لتغيير هذه النظرية.

في مايو ١٩٨٧ عندما توليت قيادة المنطقة العسكرية الوسطى كانت إسرائيل تسيطر على الضفة الغربية

بالكامل باستخدام ١٧ سرية، تتطوى تحت قيادة لواء واحدة، وموزعة على ثلاثة كتائب فقط. وبعد نحو عام، فى ذروة الانتفاضة، ودون أن نقوم بالتخطيط أو الاستعداد على النحو المناسب مسبقاً، وجدنا لدينا فى الضفة الغربية نحو ٦٠ - ٧٠ سرية تتطوى تحت قيادة فرقتين عسكريتين بهما خمسة ألوية.

من الصعوبة بمكان فى إسرائيل إجراء حوار استراتيجى داخل أروقة النظام حول قضايا الخارجية والأمن والتوصل إلى نتائج قابلة للتنفيذ من خلال هذا الحوار. وينطبق هذا الكلام من باب أولى على العلاقات بين إسرائيل والفلسطينيين، وذلك نظراً لعدم وجود اتفاق عام فى هذا الشأن، ونظراً لعدم إجراء حوار تفصيلى حوله. ولا يكاد يكون من الممكن التوصل إلى تفاهات فى هذا الشأن، يتم بناء عليها تنظيم ورشة عمل منظمة وجادة، يجرى فى إطارها عرض مواقف المتخصصين وتقدير الموقف والتوصل إلى بدائل واتخاذ قرارات.

فى أيام الانتفاضة لم يجر أى نقاش جاد حول أسئلة مثل أين نحن الآن؟ وإلى أين نريد الوصول؟ وما المطلوب أن نفعله لتحقيق ذلك؟ كان الخوف - وأقصد هنا الخوف من قول الحقيقة فى ظل الواقع المتغير فى المناطق - يرجع بالطبع إلى المشاكل السياسية المرتبطة بهذا الأمر. وقد تركزت المناقشات بدلاً من ذلك على المشكلات الفنية والتخطيطية وعلى المشكلات اليومية بصفة عامة. وفى يوم الخميس من كل أسبوع كان وزير الدفاع يعقد جلسة لبحث الموقف فى المناطق يشارك فيها رؤساء المناطق العسكرية ورئيس الأركان واللجان المعنية فى قيادة الجيش والشرطة وجهاز الأمن العام (الشاباك). وقد خصصت أغلبية الجلسات لإحصاء الحوادث التى وقعت خلال الأسبوع المنصرم وللتخطيط التكتيكى للأسبوع التالى. هكذا كان الحال فى عام ١٩٨٧، وأعتقد أن هذا هو الحال حتى يومنا هذا.

لم يكن هناك تفكير جماعى فى المسألة الفلسطينية حتى على مستوى أجهزة المخابرات. وحتى عشية اندلاع الانتفاضة لم تكن هناك جهة مخابراتية مسئولة عن تقدير الموقف المخابراتى بشأن ما يجرى فى المجتمع الفلسطينى وانعكاساته على الأحداث. وكان جهاز الأمن العام مشغولاً بإجهاض النشاط الإرهابى، ولم يكن على استعداد للانشغال بالأمور المتعلقة بالرأى العام الفلسطينى أو بالاتجاهات السائدة فى المجتمع الفلسطينى. ولكن المخابرات العسكرية لم تكن تهتم هى الأخرى بهذه الأشياء. ومن الناحية العملية لم يكن يهتم بهذه الأمور سوى بعض ضباط الإدارة المدنية، الذين قاموا - من خلال اللقاءات التى عقدها بالطبع مع القيادة المتزمتة، بغض النظر عن بيده تحديد الخطوات التى ستجرى فى المجتمع الفلسطينى - بجمع مادة مخابراتية عن الرأى العام الفلسطينى وطرح تقدير للموقف. كان للتعرف على الاتجاهات السائدة فى المجتمع الفلسطينى دور هام فى فهم العناصر التى أدت لاندلاع الانتفاضة الأولى، إذ أن هذه الانتفاضة لم تكن موجهة ضد الاحتلال الإسرائيلى وحده. فقد كانت تعبيراً اجتماعياً عن الاعتراض على وجود صلة بين المناطق وبين الأردن، وكانت موجهة ضد سيطرة طبقة الأعيان القديمة التى تضم المختارين (العمد) ورؤساء القرى، الذين كان الجيل الجديد يعتبرهم متعاونين مع الإدارة الإسرائيلية، كما كانت موجهة أيضاً ضد منظمة التحرير الفلسطينية. وقد فوجئت منظمة التحرير نفسها بهذه الانتفاضة. ومن المعروف أن أبو مازن - فى الشهور الأولى للانتفاضة - كان يرجح أنها سوف تنتهى خلال فترة وجيزة، حيث لم يكن يتوقع هو الآخر أن تتحول الانتفاضة إلى جزء من الواقع الإسرائيلى الفلسطينى لسنوات طويلة.

كان رد الفعل الإسرائيلى على الانتفاضة واحداً من الأمور الأساسية التى أثارت الجدل فى إسرائيل لفترة طويلة استمرت حتى يومنا هذا، وهو جدل وثيق الصلة بمسألة العلاقة بين القيادتين العسكرية والسياسية. وهنا يثور سؤال: لو كنا فى ديسمبر ١٩٨٧ نفهم ما فهمناه بعد سنة، واستخدمنا القوة على نطاق أكبر يماثل النطاق الذى نستخدمه فى الانتفاضة الثانية، هل كان هذا سيؤدى لتصفية الانتفاضة؟ إن طرح هذا السؤال فى حد ذاته يشهد على فهم سياسى خاطئ. فلا يوجد حل عسكري لقمع انتفاضة شعبية، وحتى لو كنا نجحنا فى تأجيل تصعيد الانتفاضة لمدة عام آخر - عن طريق استخدام القوة على نطاق أكبر - لما كنا سنتمكن من منع الأحداث من الوقوع رغم هذا.

لكى نفهم هذا لابد أن نعود إلى الوراء، إلى نوفمبر ١٩٨٦، قبل عام من اندلاع الانتفاضة، عندما قتل طالبان من غزة أثناء اضطرابات جرت فى بيرزيت. فى ذلك الوقت أيضاً كانت هذه بداية انتفاضة، ولكنها خمدت بعد بضعة أيام. ولم يمر سوى عام (حتى ديسمبر ١٩٨٧) إلى أن وقع ذلك الحادث المروى المؤسف عند مفترق أشدود، ولقى بعض العمال الفلسطينيين مصرعهم فى الحادث. ثم تطورت الأحداث من عند هذه النقطة لتصل إلى حد الانتفاضة الشعبية التى تصاعدت وتيرتها فى قطاع غزة ثم انتقلت إلى يهودا والسامرة لتصبح ما أطلق عليه فى وقت لاحق اسم "الانتفاضة".

ما هى الأوامر والتوجيهات التى أصدرتها الحكومة للجيش مع اندلاع الانتفاضة؟ لابد أن نعلم أن الحكومة

المختلطة التي تضم وزراء من اليمين واليسار - وهي هنا حكومة الوحدة الوطنية برئاسة يتسحاق شامير، وكان وزير الدفاع بها هو يتسحاق رابين - لم تصدر للجيش تعليمات بتصفية الانتفاضة على الإطلاق. صحيح أن جلسات الحكومة شهدت مباحثات لا يستهان بها في هذا الشأن، ولكن من الممكن أن نصف هذه المباحثات بأنها كانت مواجهات كلامية أكثر منها مشاورات سياسية. وكان الهدف الذي حدده يتسحاق رابين في ذلك الوقت للجيش هو، خفض مستوى العنف، وتحقيق الهدوء الذي يسمح للإدارة المدنية بممارسة مهامها.

وباعتباري قائداً للمنطقة الوسطى أصدرت تعليمات للجنود، تم فيها تحديد الهدف على النحو التالي: "وقف أحداث الشغب وإحلال النظام، وإتاحة الفرصة لاستمرار الحياة العادية، حتى نترك لحكومة إسرائيل ومواطنيها أقصى إمكانيات ممكنة لاتخاذ القرارات السياسية الملائمة بالطريق الديمقراطي، فيما يتعلق بمستقبل المناطق." لو كنت أصدرت هذه التعليمات في ظل الواقع السائد اليوم فلا شك أنني كنت سأقال على الفور. ويمكن أن أقول في حق يتسحاق رابين إن القيادة السياسية المسئولة عن الناحية العسكرية قدمت دعماً مباشراً وفورياً لهذه التعليمات. ولم يقل شامير أبداً أي شيء يخالف ما قاله يتسحاق رابين، ولكن بعض الوزراء أدلوا بتصريحات مخالفة له.

ومن أبرز الأمور التي أذكرها جلسة حضرتها وعقدت في أبريل ١٩٨٨ في أعقاب وقوع حادث في بلدة بيتا المجاورة لنابلس. ومن الممكن أن تشهد هذه الواقعة على أن الحكومة كانت تتحدث بعدة أصوات، وأنها كانت مصابة بالشلل إلى حد كبير مما منعها من إجراء مباحثات حقيقية والتوصل إلى نتائج فيما يتعلق بالوضع في المناطق. في الحادث المذكور نشبت مشاجرة كلامية بين مجموعة من الشباب الذين كانوا يتزهون بين بساتين الزيتون في عيد الفصح، في منطقة لا تبعد كثيراً عن بلدة بيتا وبين مزارعين فلسطينيين من أبناء تلك المنطقة. وأثناء هذه المشاجرة قام حارس المجموعة - ويدعى روميم الدوفي، وهو شخص يمكن وصفه بدون تردد بأنه يميني متطرف - بإطلاق الرصاص على فلسطيني فقتله. وأثناء الاضطرابات التي استتبع ذلك أخذ الفلسطينيون المحليون مجموعة الشباب اليهودي إلى داخل البلدة، وبينما كان بعض الفلاحين يحاولون مساعدتهم حاول آخرون الاعتداء عليهم. وأطلق روميم الدوفي رصاصة دون قصد من بندقية كان يحملها، بعد أن أصيب بحجر في رأسه. وأدت الرصاصة إلى مقتل الطفلة اليهودية ترتسا بورات.

بعد الحادث الذي شهدته القرية، عقدت الحكومة جلسة مشاورات وتم استدعاء بعض الشباب الذين كانوا متورطين في الحادث للإدلاء بشهادتهم أمام الوزير دافيد ليفي، الذي كان يقوم بتحقيق خاص به. وأدلى بعض الوزراء أثناء الجلسة بتصريحات شديدة اللهجة. وقالوا إنه لا بد من "هدم قرى" و"تنظيف الشوارع" وما إلى ذلك، وقد جرى كل هذا بما يتوازي مع تحقيقات الشرطة والجيش في الواقعة. وكان ردي على الوزراء المشاركين في تلك الجلسة أنني أعتقد أن بعضهم لا يفهم معنى الكلام الذي قاله، وأنه ربما يجدر بنا أن نذكرهم بأن إسرائيل دولة يسود فيها القانون، وأن الجيش ليس من حقه التصرف بما يخالف القانون. وهنا غضب الوزير آريئيل شارون وبدأ بعض الوزراء في إصدار تمتمة توحى بالاعتراض، وقال رئيس الوزراء شامير إن حديثي مع الوزراء بهذه الطريقة غير مقبول، وطلب مني الاعتذار فاعتذرت.

بعكس الوضع في الانتفاضة الثانية، شهدت الانتفاضة الأولى قيام كبار قادة الجيش وهيئة الأركان العامة وقادة المناطق العسكرية وأنا منهم بالتعبير عن رأيهم بشكل واضح. كنا ندرك أننا لا يجب أن نتجاوز كافة الحدود، وكنا نعمل على احتواء النشاط العسكري والحيلولة دون انعدام السيطرة على الأوضاع، وذلك في محاولة منا لخلق واقع نقول فيه رأينا في المستقبل أيضاً. لم يكن من قبيل الصدفة إذن أن شهدت نهاية الانتفاضة بداية تفاوض سياسي. فبعد المواجهة العسكرية أفاق الطرفان وأبديا استعداداً للجلوس إلى مائدة المفاوضات.

كان الضغط الواقع على الجيش من جانب القيادة السياسية إذن ضعيفاً. وقبل أن أترك منصبى قال موشيه أرنس الذي كان في ذلك الوقت وزيراً بدون وزارة إنه "لن يكون من الممكن إنهاء الانتفاضة طالما ظل متسناح قائداً منطقة عسكرية." ولكن وزير الدفاع يتسحاق رابين وقف كما سبق القول كحائط منيع في وجه أي تطاول على الجيش، سواء من جانب وزراء الحكومة أو أعضاء الكنيست. وباعتباره ممثلاً للقيادة السياسية فقد قدم دعماً للجيش، وأجرى مشاورات، وتعامل بشكل مباشر مع قادة المناطق العسكرية - يتسحاق موردهاي في المنطقة الجنوبية وأنا في المنطقة الوسطى - ووفر لهما الحماية وسط الجدل الدائر حول أمور مثل، ما هي التعليمات التي صدرت للجيش؟ وما الذي يجب عمله على وجه التحديد؟ وكيف يجب عمله؟ ومن هنا، ورغم الضغوط التي أوقعها الساسة، فعلى مستوى العلاقات بين القيادتين السياسية والعسكرية كانت هذه فترة وضوح سهل على القيادة العسكرية العليا عملها.

ينطبق هذا الأمر أيضاً على العلاقة مع المستعمرين اليهود والطريقة التي كنا نعمل بها على احتواء سلوكهم. فقد قلل رئيس الأركان دان شومرون ووزير الدفاع يتسحاق رابين من لقاءاتهم مع المستعمرين في الضفة الغربية.

وكانت الرسالة الصادرة لهم واضحة، وهى أنهم ليس لديهم من يلجأون إليه سوى قائد المنطقة العسكرية، وأنهم غير قادرين على التأثير على قرارات القيادة العسكرية باستخدام طرق ملتوية. وإذا قارنا هذا بالواقع السائد الآن، فقد كان هناك نظام ساد فى ذلك الوقت ينظم العلاقات بين القرارات العسكرية الموضوعية التى يصدرها المتخصصون وبين الأمور السياسية. وفى فترة عملى كقائد للمنطقة الوسطى لم يتم بناء أى مستعمرة جديدة، وقد كان هذا أيضاً بتعليمات من القيادة السياسية. وكدليل فإن التعليمات القاطعة التى أصدرها وزير الدفاع رابين كانت تقضى بأن أى نشاط فى مجال البناء حتى لو كان قاصراً على دق مسمار فى منطقة قبر يوسف أو تركيب جهاز تكييف يتطلب تصديقاً من القيادة السياسية.

بالإضافة إلى الضغط الشديد الذى أوقعه الساسة على القيادة العسكرية العليا كان هناك ضغط واقع عليها من الجنود أيضاً. حيث كان الجنود يطالبون بإصدار تعليمات لهم بشأن "كيفية التصرف"، وكانوا يؤكدون فى بعض الأحيان أنهم "سئموا لعبة القط والفأر". وكان رابين - الذى كان يكثر من الزيارات الميدانية - يستمع إلى الجنود، وكان يشعر بإحباط شديد فى نهاية الأمر لأنه لم تكن لديه أدوات العمل المطلوبة. ولكننا كنا نناضل حتى يظل الجيش متمسكاً بالأخلاقيات، وكنا نحرص على أن يلتزم الجنود بقواعد السلوك اللائق فى الوقت الذى كانت القيادة السياسية تضغط علينا فيه حتى نستخدم قوة بطش أكبر، وكان الجنود يضغطون من جهة أخرى للسماح لهم بقدر من الحرية.

بالطبع كان هناك عدد لا يستهان به من الحوادث التى جرى فيها مخالفة القواعد، والتى وصفت بأنها "حالات استثنائية"، ولكننا كنا نقرض الالتزام بالقانون. وعلى سبيل المثال فقد حوكم عقيد فى قيادة المنطقة الوسطى وتم تنزيل رتبته إلى جندي، لأنه خالف التعليمات الصادرة إليه من قيادته ونقلها إلى الجنود محرفة. كما تم إحالة بعض الجنود ومن بينهم نائب قائد كتيبة إلى المحاكمة، فى أعقاب حادث تعدى بالضرب على مواطنين فى نابلس صورته كاميرات التليفزيون.

أعتقد أن الانتفاضة الثانية شهدت استجابة من جانب القيادة السياسية والعسكرية للضغوط الواقعة عليهما من أسفل، من جانب الجنود، فأطلقا لهم العنان، وسمحوا لهم بحرية العمل حتى يشعروا بأنهم أفضل حالاً، وحتى يشعروا بأنهم يردون. ويمكن أن نجد تعبيراً عن ذلك فى كتاب "أداة مرتدة" الذى أصدره رافيف دروكر وعوفر شيلج، وكذلك فى التحقيق الذى نشرته فى هذا الشأن صحيفة معاريف، وتناول المنظمة التى سميت "جنود ضد الصمت". عندما نقرأ الوصف الوارد للموقف فى الحالتين لا يمكن أن نهرب من الشعور بأن القرارات التى يتناولها الكتاب والتحقيق قد صدرت بدافع الانتقام.

وأخيراً فإن القيادة السياسية قد امتنعت على مدى السنين عن إجراء أى مشاورات - سوى مع مجموعة محدودة للغاية من القيادة العسكرية - عند اتخاذ أى قرارات حول القضايا الأساسية التى يدور حولها جدل سياسي. وحتى لو كان من الممكن أن نجد تبريراً لذلك، فلا بد أن يكون هناك تفاعل بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية، إن لم يكن قبل اتخاذ القرارات الأساسية، فعلى الأقل فى التنسيق لتنفيذها. وتبرز ظاهرة عدم التنسيق بين القيادتين أيضاً فى تنفيذ فك الارتباط بين إسرائيل وغزة. لقد توصل رئيس الوزراء شارون إلى قرار سياسى مشروع بالخروج من غزة، وعمل على تنفيذه. ولكنه أصر طوال الطريق إلى التنفيذ على التمسك بمنطق سخيف، وهو أن هذا القرار ليس سياسياً وإنما أمنى، وأنه يهدف إلى تحسين وضع إسرائيل الأمنى. وإذا كان الأمر كذلك فإن هناك محل للسؤال عن السبب فى عدم القيام بهذه الخطوة بالتنسيق والتشاور مع القيادات العسكرية المتخصصة.

مكافحة الإرهاب؛

الحاجة لنموذج جديد للعلاقات بين الجيش والدولة بقلم: عامى أيالون (٢)

سيركز هذا المقال على أمرين، الأول، تحليل موجز بشأن مكافحة الإرهاب فى الفترة ١٩٩٦-٢٠٠٠ التى ترأست فيها جهاز الأمن العام (الشاباك)، والثاني، تصنيف الإرهاب ومكافحة الإرهاب كظاهرة تستوجب تطوير نموذج مختلف للعلاقات بين رجل السياسة ورجل الأمن.

بالنسبة لمكافحة الإرهاب في فترة رئاستي للجهاز، كانت البداية في آخر فبراير ١٩٩٦، في أصعب أسبوعين في تاريخ دولة إسرائيل فيما يتعلق بمكافحة الإرهاب. وكما نذكر كان ٥٥ مدنياً إسرائيلياً قد لقوا مصرعهم وأصيب ٢١٥ آخرون خلال أقل من أسبوعين في سلسلة من العمليات الانتحارية. حيث وقعت عمليتان انتحاريتان، الأولى كانت في بداية الأسبوع يوم الأحد، والثانية بعدها بأسبوع. ثم عملية في خط حافلات رقم ١٨ في القدس، وأخرى في مركز ديزنجوف التجاري في تل أبيب في الأسبوع الأول من شهر مارس ثم عملية أخرى قرب طريق عسقلان. في تلك الفترة وصل مستوى التهديد والشعور بانعدام الأمن إلى مستوى قياسي. وفي مقابل ذلك ففي الفترة ١٩٩٨ - ٢٠٠٠ نجحت إسرائيل في أن تقلل بشدة من مستوى العنف، وفي الشهور الإثنا عشر التي سبقت الانتفاضة الثانية لم يقتل سوى مواطن إسرائيلي واحد في عملية إرهابية. والسؤال المطروح هو، ما الذي حدث؟ وكيف نجحنا في تقليل مستوى العنف إلى هذا الحد؟ يعبر الرد على هذا السؤال إلى حد كبير عن النموذج الذي يجب أتباعه في مكافحة الإرهاب الفلسطيني حتى لو كانت الصدفة قد لعبت دوراً في بلورة هذا النموذج.

عندما كنا نحاول تحليل أحداث تلك الفترة رصدنا تفاعلاً بين بعض العناصر الأساسية التي ليس بينها أي علاقة بديهيّة. العنصر الأول هو الرأي العام الفلسطيني، والثاني هو المتغيرات الأخرى المرتبطة به، وهي السياسة التي اتبعتها حركة حماس في العمليات التي قامت بها والثالث هو سياسة السلطة الفلسطينية في إجهاض النشاط الإرهابي. المتغير الأول والأهم هو الرأي العام الفلسطيني. كنا نقوم بقياس هذا المتغير بشكل دوري. وكان المسئول عن قياسه هو الدكتور خليل شقّاق. وكان التحليل يوضح أنه كلما زاد ميل الرأي العام الفلسطيني لتأييد العملية السياسية كلما تناقصت العمليات الإرهابية. وكان المتغير الثاني وهو سياسة حركة حماس فيما يتعلق بهذه العمليات أحد أسباب ذلك. إذ أن حماس هي المنظمة التي تقود النشاط الإرهابي ضد إسرائيل، ولكنها تستجيب للرأي العام الفلسطيني. وربما يكون هذا هو الموضع المناسب لكي نقول إن إسرائيل تعتبر حماس منظمة إرهابية، ولها الحق في ذلك. ولكن حماس ليست مجرد منظمة إرهابية وحسب. فأحد الدعامات الأساسية التي ارتكزت عليها هذه المنظمة هي التعليم والنشاط الديني. أما الدعامة الثانية فهي الجناح العسكري للحركة، المتمثل في كتائب عز الدين القسام. غير أن إسرائيل تميل إلى النظر لهذه المنظمة من خلال الجناح الإرهابي وحده، أي من خلال كتائب عز الدين القسام. ولكن ارتباط المنظمة بالجمهور من خلال جهازها الديني يجعلها تخضع للعمليات الإرهابية لاتجاهات الرأي العام الفلسطيني. ففي الوقت الذي كانت المنظمة فيه تعتقد أن الشعب الفلسطيني سوف يحقق مطامحه الوطنية من خلال العملية السياسية كانت تتوقف عن اعتبار الإرهاب أمراً مشروعاً.

المتغير الثالث كما سبق أن ذكرنا هو موقف السلطة الفلسطينية من الإرهاب، أو سياستها في مكافحة الإرهاب. فقد كانت أجهزة الأمن الفلسطينية تستجيب هي الأخرى لنبض الشارع الفلسطيني. ولذلك فقد كانت تتصدى لمكافحة إرهاب إخوانها من المسلمين المتطرفين (أتباع حركة حماس)، دون النظر إليها على أنها تتعاون مع إسرائيل. وعندما كنت رئيساً لجهاز الشاباك اعتدت عقد لقاء شهري مع قيادات أجهزة الأمن الفلسطينية للتنسيق بين أجهزة المخابرات. في هذه الاجتماعات زعم جبريل الرجوب ومحمد دحلان وأمين الهندي وغيرهم، أن السبب الوحيد لقيامهم بمكافحة الإرهاب والزج بأتباع حركة حماس في السجن هو اعتقادهم بأن هذا الأمر سيؤدي في النهاية إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة (في فترة معينة كان عدد أعضاء حماس المعتقلين في السجون الفلسطينية يفوق عدد المعتقلين في إسرائيل منهم). وبالإضافة إلى ذلك فقد أضافوا أنهم - مثلهم مثل الجمهور الفلسطيني - في اللحظة التي يفقدوا فيها الثقة في عملية السلام سيتوقفون عن مكافحة الإرهاب.

كانت النتيجة التي توصلت إليها هي أن هذه العناصر الثلاثة مجتمعة ومعها نشاط جهاز الشاباك كانت السبب في القضاء شبه المبرم على الإرهاب في عامي ١٩٩٩-٢٠٠٠. ماذا حدث إذن في صيف عام ٢٠٠٠. لقد حدث تطور يتلخص في فقدان الجمهور الفلسطيني للثقة في عملية السلام. لم يعد الجمهور الفلسطيني يؤمن أن عملية السلام سوف تلبي طلباته أو تستجيب لتطلعاته إلى الاستقلال السياسي وإنهاء الاحتلال والإذلال، وإلى تحسين الاقتصاد والقضاء على الفساد الاقتصادي والعنف وما شابه ذلك. وأدى التغير الذي حدث لدى الجمهور الفلسطيني بعد أن فقد الأمل إلى تغيير في سلوك حركة حماس وفي سياسة إجهاض العمليات الإرهابية التي كانت السلطة الفلسطينية تتبعها.

ما هي الصلة بين كل ما قلته حتى الآن، وبين القيادة السياسية والقيادة العسكرية والأمنية في إسرائيل؟ سنجد الرد على هذا السؤال في نموذج العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية والحاجة إلى إعادة تنظيم هذه العلاقة حسب طبيعة المواجهة التي تخوضها إسرائيل. لقد أكد فون كلاوزفيتش في بداية القرن التاسع عشر في كتابه "عن الحرب" أن جوهر النصر هو خلق واقع سياسي أفضل. وعلى ضوء هذا الكلام فإن الهدف المشترك للقيادتين العسكرية والسياسية هو بناء نموذج للعلاقات بينهما يسمح للشعب بتحقيق النصر حسب هذا الوصف،

متمثلاً في تحقيق إنجاز سياسي. وأعتقد أن هناك حاجة لتغيير في طبيعة العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية لتناسب مع نوع الحرب التي من المفترض فيهما التعاون في مواجهتها.

النوع الأول هو حرب تستخدم فيها القوة المفرطة. ويكون السلاح المستخدم فيها سلاحاً تقليدياً. والهدف من هذه الحرب هو التدمير الكامل للطرف الآخر. والفيصل في هذه الحرب هو الردع، وهو الهدف الحقيقي لهذا النوع من أنواع الحرب إلى حد كبير. ورغم أن هذا النوع سوف يشغل الجمهور الإسرائيلي في السنوات القادمة إلا أننا لن نتحدث عنه هنا.

النوع الآخر من أنواع الحرب الذى شهدناه فى العقود الأخيرة هو الحرب باستخدام قوة محدودة. وهو ما يمكن تسميته بالحرب المتكافئة. والسمات الأساسية لهذه الحرب هى استخدام قوة عسكرية محدودة والتكافؤ بين الطرفين المتحاربين. وحيث أن الإرهاب، وهو النوع الثالث من أنواع الحرب، هو الذى سنتناوله هنا، فلا بد لنا أن نتوسع فى الحديث عن المدة الزمنية والأهداف والمصطلحات المرتبطة به.

لا يهدف الطرف الآخر- الذي يلجأ إلى الإرهاب- إلى حسم المعركة، وإنما يسعى للبقاء، أى لعدم الاستسلام. وقد اهتمت الأجهزة الأمنية كثيراً بمدى تناسبية الأسلحة المستخدمة ضد الإرهاب، ولكنها لم تراجع أبداً مدى ملائمة الأهداف الموضوعة لهذه الحرب (الحسم مقابل عدم الحسم) والمغزى المترتب عليها.

لقد أخفق النظام الإسرائيلي في مواجهة الإرهاب لأنه استخدم في ذلك مفاهيم الحرب التقليدية. لم يعد هناك محل لاستخدام مصطلح الحسم في مواجهة عدو لا يهدف لشيء سوى لعدم الاستسلام (وهذا هو مستوى تناسبية الأهداف الذي لا يتحدث عنه أحد في إسرائيل). كما أن مصطلح الردع قد سقط في مواجهة مجتمع يعتقد أنه ليس لديه ما يخسره. وكبديل لهذه المصطلحات فإن مصطلحات الاحتواء والتشكيل التي لم يعد لها وجود لأبد أن تحتل مكان الصدارة من الجدل حول الإرهاب ومكافحته.

يصف تمرى عملية بلورة نظرية الأمن بأنها عملية تتظير طويلة. وتسمح عملية إعداد المصطلحات فيها بتفسير المعلومات المتاحة لنا والواقع الذى نراه بشكل مختلف. إنها عملية مستمرة قائمة على الدراسة المشتركة. وحسب رأى تمرى فلا يوجد ارتباط بين حدود فهمنا وبين المعلومات المتاحة لنا، ولكن هناك ارتباط بين فهمنا وبين عالم المصطلحات الذى نستخدمه. فليس هناك نقص فى المعلومات بصفة عامة فى عالم اليوم. ولكن هناك نقص فى القدرة على التظير الذى يهدف إلى تفسير المعلومات بالشكل السليم. ولذلك فإن الانتقال من الأنباء إلى المعلومات ومن المعلومات إلى الذكاء يتطلب بناء عالم من المصطلحات. وهناك أهمية بالغة لهذا الزعم فى الحوار حول العلاقة بين القيادتين السياسية والعسكرية، إذ أن هناك افتراض بأن هذه العملية أكثر أهمية من نتائجها العملية. إن عملية

التفاهم والدراسة واللقاء والحوار التي تسهم في بناء عالم المصطلحات أكثر أهمية من نتائجها العملية، لأنها في نهاية الأمر عملية تشكيل وجهات نظر ومصطلحات المشاركين فيها من الساسة والعسكريين. من جهة أخرى فإن ديناميكية هذه العملية تتطلب استمرارها طوال الوقت، حيث أن النتائج العملية التي نتوصل إليها اليوم لن يكون لها محل غدا.

كانت النتيجة التي ترتبت على هذا التوجه هي أن النموذج المناسب للعلاقات بين القيادتين السياسية والعسكرية يختلف بشدة عما جرت عليه العادة حتى اليوم. فقد اختلف هذا النموذج عن النموذج الذي دعا إليه كلاوزفيتش منذ نحو مائتي عام، وعن النموذج الذي دعا إليه ريمون آرون في كتابه، وهما النموذجان اللذان انتشرت الأفكار الواردة فيهما منذ منتصف القرن العشرين. ففي النموذج الذي يظهر من وصف كلاوزفيتش للحرب يحدد رجل السياسة الأهداف السياسية ويستخدم الوسائل العسكرية المتاحة له لتحقيقها. ويقوم هذا النموذج على التسلسل القيادي. ومعنى هذا أن النموذج المذكور ليس فيه سوى حالتين إما الحرب أو السلام. كما أن التسلسل القيادي فيه واضح. فالقيادة السياسية هي التي تحدد الأهداف السياسية للقيادة العسكرية. أما ريمون آرون فقد اقترح في كتابه "عن الحرب والسلام" نظاماً موازياً لنظام التسلسل القيادي، ولكنه يتسم بالمرونة. فرجل السياسة في رأيه هو شخص يمسك في إحدى يديه بالوسائل الدبلوماسية وفي اليد الأخرى بالوسائل العسكرية، ويقوم باستخدام الوسيلتين لتحقيق أهدافه السياسية، ولكن بشكل تدريجي. ويتضمن هذا النموذج تفاعلاً بين التوجيهات السياسية والنشاط الدبلوماسي والقوة العسكرية. ورغم هذا يظل هذا النموذج قائماً على التسلسل القيادي، وإن كان يشتمل في الواقع على نوع من الحلول الوسط يسمح باستخدام الوسائل الدبلوماسية والعسكرية في نفس الوقت في قنوات متعددة. وهذا النموذج الذي طرحه آرون هو الذي يصلح إلى حد كبير للواقع العسكري والعلاقات بين الدول في النوع الثاني من الحروب الذي يقوم على استخدام القوة العسكرية (وهو الحرب التقليدية).

في نموذج تمرى في مقابل ذلك، يجتاز القادة السياسيين والعسكريين عملية تعلم مشتركة غير قائمة على التسلسل القيادي بنفس القدر. حيث يجلس الطرفان إلى مائدة مستديرة ويركزان على المضمون الذي سيتناولانه في حوارهما. ويحق لكل طرف من الأطراف أن يطرح موضوعاً للنقاش. وبذلك لا يكون في استطاعة أي منهما أن يلقي بالمسؤولية على الآخر إذا لم يتم الحوار بينهما. وإذا جرت الأمور على هذا النحو فلن تستطيع القيادة العسكرية اتهام القيادة السياسية بأنها لم تحدد لها السياسة التي تريد منها إتباعها. ويكاد هذا الزعم يكون اتهاماً تكرر طوال السنوات الماضية. وفي إطار هذا النموذج - ولا سيما عندما يكون الأمر متعلقاً بالإرهاب، الذي تفرض في إطار مقاومته قيود مشددة على استخدام القوة - لا يوجد محل لفرض الرأي. فمهمة القيادة السياسية ليس إملاء السياسة وإنما بلورتها. أما مهمة العسكريين فهي ملأ الفراغ الناتج، ليس بغرض السيطرة عليه، وإنما بهدف الوصول لإجراء حوار مشترك.

وهنا يثور السؤال، إلى أي حد يتناسب هذا النموذج مع ثقافة الإدارة الإسرائيلية. من تجربتي الشخصية لا يوجد تفاهم من هذا النوع، ولكن لا بد أن أؤكد أن هذا هو النموذج الوحيد الذي يجب أن تتبناه إسرائيل الآن. فالقيادة السياسية في ظل الواقع الحالي غير قادرة على تحديد الأهداف السياسية لأن الظروف السياسية - التي ليس هذا هو الموضع المناسب للحديث عنها - تقيدتها. فمن يتوقع إذن الالتزام بالنظام التقليدي القائم على التسلسل القيادي - الذي يحدد فيه رجل السياسة الأهداف السياسية - سيخيّب توقعه. وهناك خوف من أن الفراغ الذي نشأ قد يجذب الجيش في نهاية الأمر، فيقلب الآلة، ويدير القتال بناءً على فهمه القائم على احتياجات العملية نتيجة لشعوره بالتفوق الناتج عن الجهل. هنا سيصبح المستوى العملي هو الهدف وستصبح الدائرة المفرغة الناتجة عن التصعيد وفقدان السيطرة هي الغاية.

بناءً على ما سبق، لا بد أن يقوم الجدل الأساسي بشأن النوع الثالث من أنواع الحرب، الذي يتسم بالتناسبية على التعاون بين القيادتين العسكرية والسياسية، ولذلك فهناك حاجة إلى تبني أسلوب الحوار المستمر متعدد الأطراف. وبالطبع فإن القيادة السياسية في هذا النموذج تحدد أهدافها في كل مرحلة زمنية من خلال تفهم حدود القوة وحدود الصراع. وأقصد هنا حدود استخدام القوة بغض النظر عن مستوى المعدات الحربية المتاحة، وهي حدود تأتي نتيجة لتزايد مستويات التغطية الإعلامية، ونتيجة للاستجابة لقيود المسموح والممنوع بموجب القانون الإسرائيلي والقانون الدولي، ولأشياء أخرى لم تكن القيادة السياسية تهتم بها في الحروب السابقة. ولن يكون من الممكن مواجهة تحديات الواقع الجديد سوى بالتفاعل بين القيادتين بما يقلل إلى حد كبير من وضوح التسلسل القيادي.

أود أن أؤكد أن الواقع الذي عرفته أثناء عملي لم يشهد وجود مثل هذا النموذج على الإطلاق. وحتى عندما طرحت مشكلة التناسبية كان الاتجاه السائد يقضي بالتركيز على التناسبية بين الأسلحة المستخدمة، أو التناسبية التنظيمية (جيش في مواجهة منظمة منتشرة وشبه مدنية مثل حماس أو تنظيم مثل تنظيم القاعدة). ولم تجر مناقشة

الجانب الهام المتعلق بالتناسبية الفكرية، التي تترتب عليها التناسبية في تحديد أهداف الحرب، وحتى لو جرت مناقشته فإن هذا لم يحدث بالقدر الكافي. وقد قام ريمون آرون الذي يهتم كثيراً بهذا الجانب (على ضوء الحرب الفرنسية الجزائرية) ببحث التناسب بين الهدف والاستراتيجية. أما بالنسبة لنا هنا فما يهمنا هو مفهوم الانتصار. فهذا المفهوم يؤدي إلى تناسبية. فإذا كان أحد الطرفين يسعى لتحقيق النصر، بينما كان الهدف الذي حدده الجانب الآخر لنفسه هو عدم الهزيمة، فسينشأ انعدام في التناسبية بين الأهداف. فالانتصار يتطلب استخدام استراتيجية الحسم. وعنصر الوقت هو عنصر أساسي لتحقيقه، حيث أن الطرف الذي يسعى للانتصار يسعى لحسم الحرب. وفي مقابل ذلك يسعى المنافس لعدم الانهزام. ويسعى لإثبات أنه رغم التفوق التكتيكي للخضم، فإنه لن يتمكن من إلحاق هزيمة استراتيجية به. ذلك أن استراتيجية الطرف الذي يسعى لعدم الهزيمة هي ما يطلقون عليه باللغة العربية "الصمود".

إذا لم يكن العمى قد أصابنا، فإن ما نواجهه منذ سنين هو مجتمع أعلن منذ سنوات عن تمسكه باستراتيجية الصمود. ولكننا نحن الذين نسمح لرجال الأمن بالسيطرة على عالم مصطلحاتنا وعلى مضامينه لا زلنا نعيش في عصر الحرب غير الصحيحة التي يعد الحسم فيها هو الهدف الأسمى، واستخدام القوة هو الوسيلة الوحيدة المعروفة لنا. لقد طرحت مسألة انعدام التناسبية بين الاستراتيجيات في كتاب "الحرب والاستراتيجية" الذي ألفه يهوشباط هاركفي، الذي تناول فيه مشكلة الانتصار التكتيكي الذي يتسبب في انسحاب ويتسبب أحياناً في فشل استراتيجي. من بين سمات هذا الواقع الذي يتمثل في الشعور بالنجاح التكتيكي وبالفشل الاستراتيجي، أن يشعر العسكريون بأنهم قد تعرضوا لخيانة. في مثل هذا الموقف يتزايد الشعور المشترك بالإحباط، لدى العسكريين الذين لا يفهمون كيف لا يمكن ترجمة النجاح العسكري إلى انتصار، ولدى الساسة الذين يتوقع بعضهم أن يكون الحل عسكرياً، ويهتمون الجيش بالتراخي. ويكاد يكون هذا بالتحديد هو وضع العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية في إسرائيل. ففي بداية الانتفاضة اتهم رئيس الوزراء شارون الجيش بالتراخي، بينما كان العسكريون يعتبرون وزارة الخارجية خائنة. وكان السبب في ذلك أن الخارجية كانت تجري حواراً مع الفلسطينيين بهدف احتواء العنف، بعلم من رئيس الوزراء وبدعم من جانبه. وهذه ليست ظاهرة جديدة، ولم تكن إسرائيل هي التي اخترعتها. فقد كتب عن ذلك منذ ثلاثين أو أربعين عاماً، ولكن هل قرأنا ما كتب وفهمناه؟

يمكننا أن ننظر إلى اغتيال رائد كرمي على أنه مثال على ما ذكرناه هنا. تم اغتيال رائد كرمي زعيم كتائب شهداء الأقصى بتاريخ ١٤ يناير ٢٠٠٢. وجدير بنا أن نلفت إلى أن عملية الاغتيال جرت بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، في الفترة التي لم يكن من الممكن فيها التعامل مع الإرهاب، وبعد خطاب وزير الخارجية الأمريكي الذي تحدث فيه عن حلم الدولتين - دولة فلسطين وإلى جانبها دولة إسرائيل - والذي اعتبره عرفات رسالة تعبر عن الأمل السياسي، مما جعله يدعو في خطابه بتاريخ ١٦ ديسمبر ٢٠٠١ إلى وقف الانتفاضة، فخدمت الانتفاضة فجأة وتحقق الهدوء. كان رائد كرمي يريد مواصلة القيام بعمليات ضد إسرائيل، وتوجه إلى مروان البرغوثي رئيس التنظيم وأمين حركة فتح في الضفة ليأخذ موافقته على ذلك. ورفض البرغوثي ذلك لأن عرفات قال إنه لن يجري تنفيذ أي عمليات في هذه المرحلة. واستسلم كرمي لهذه التوجيهات، وبعدها بثلاثة أيام اغتالته إسرائيل في طولكرم. ولم يكن لهذه المعلومة التي عرفت بها المخابرات العسكرية الإسرائيلية وعرف بها جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) تأثير على قرار اغتياله، حيث جرت العملية قبل أيام قليلة من زيارة كان وزير الخارجية الأمريكي بول يخطط للقيام بها إلى المنطقة. واعتبرت حركة فتح أن هذا الاغتيال مؤامرة إسرائيلية فأسقطت كافة القيود التي ألزمت بها نفسها. وانضمت إلى حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية وإلى حركة حماس في تنظيم عمليات داخل حدود الخط الأخضر، وسرعان ما حدث الاعتداء على فندق بارك عشية عيد الفصح في مارس ٢٠٠٢. كان هذا الحادث هو المثال الذي يشير إلى ثغرة تتمثل في عدم وجود حوار بين القيادات. فالقيادة العسكرية التي تعتبر العمليات هي غاية المراد كانت تريد تنفيذ عملية الاغتيال بأي ثمن. أما القيادة السياسية فلم يكن لها هدف سياسي واضح، وكانت لا تدرك أن استخدام مصطلحات مثل الحسم ليس له أي فائدة، وبالتالي فقد كانت تسير أسيرة خلف الجيش في عملياته. وبذلك أنسقنا إلى دوامة العنف.

وأخيراً فقد جرت العادة في البحرية على أن يقولوا إن القبطان لو لم يكن يعرف إلى أين يريد الذهاب فلن يجد أي رياح في العالم تساعد على الوصول إلى وجهته. ولا تزال هذه القاعدة صحيحة حتى الآن. وهي ليست قاصرة على البحرية. فهناك شعور بأننا في مركب يسير في البحر، وأن القبطان - وهو رئيس الوزراء - لا يعرف وجهته، أو قرر الاحتفاظ بوجهته سراً، وأن مساعد القبطان - وهو وزير الدفاع - لا يعرف ما هي التوجيهات التي يجب أن يعطيها للبحارة. في ظل هذا الواقع تكون السيطرة لكبير البحارة، وهو رئيس الأركان. فهو الذي يعطي التعليمات للبحارة - وهما الجيش في هذه الحالة - دون أن نعرف نحن أصحاب المركب إلى أين تبصر.

التغير في العلاقة بين القيادتين في ظل انتفاضة الأقصى عوفر شيلح (٣)

لا شك أن السؤال الرئيسي المطروح للبحث الآن هو: ما الذي تغير في العلاقة بين القيادتين العسكرية والسياسية منذ عام ٢٠٠٠ حتى الآن. وكيف أثرت العلاقة بين القيادتين على مواجهتنا للحرب التي تجرى باستخدام قوة محدودة ٩٠٠ (٤) للرد على هذا السؤال لا بد من بحث المواقف المختلفة التي اتخذتها القيادات حتى في الفترة السابقة على اندلاع الحرب، في تلك المواجهة التي تجرى باستخدام قوة محدودة بين إسرائيل والفلسطينيين منذ سبتمبر ٢٠٠٠، والتي يطلق عليها اسم "انتفاضة الأقصى".

سبق اندلاع هذه الانتفاضة مواجهة أخرى جرت باستخدام قوة محدودة، وهي حرب لبنان، التي أثرت كثيراً على العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية في فترة الانتفاضة. منذ عام ١٩٨٥ وحتى الانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٠ كانت المواجهة تجرى باستخدام مجموعة محدودة للغاية تقدر ببضع مئات من الجنود النظاميين الذين يخدمون في المنطقة الشمالية وقادتهم بالإضافة إلى رئيس الأركان والقيادة السياسية. ولكن الجيش تعرض لمشكلات في هذا الإطار المحدود، وسأذكر ثلاث منها. كانت المشكلة الأولى هي عدم وضوح درجات القيادة، والثانية التداخل في القرارات بين القيادتين، والثالثة أسلوب الانسحاب من لبنان في مايو ٢٠٠٠.

بالنسبة للمشكلة الأولى وهي عدم وضوح درجات القيادة، في مواجهة تجرى باستخدام قوة محدودة كهذه المواجهة التي كانت تجرى في لبنان يشعر وزير الدفاع أن حكم الجمهور على أدائه كوزير للدفاع يأتي بناء على أداء أحد جندي في لبنان. وقد وصلت الأمور إلى حد أن وزير الدفاع يتسحاق مورديخاي تدخل في موقع برج حراسة - أثناء زيارة قام بها لجنوب لبنان بعد قصف تعرض له موقع عسكري - فأمر بنقله من أحد جانبي الطريق إلى الجانب الآخر. في هذا الموضع تم طمس الحدود بين سلطات القيادات، فلا أهمية لرئيس الأركان ولا لقائد المنطقة العسكرية ولا للقادة الميدانيين، والمهم هو رأي وزير الدفاع فقط الذي يرى تغيير موقع برج الحراسة. وقد حدث نفس الشيء في المراحل الأولى للانتفاضة، عندما كان إيهود باراك رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع. كان الرأي السائد في مكتب رئيس الوزراء هو أن الجمهور محتاج إلى التأكد من سيطرة القيادة السياسية على مقاليد الأمور في مثل هذه الحرب المحدودة. وقد قام مكتب رئيس الوزراء بعد عملية جرت في رام الله بتسريب أنباء بشأن اتجاه نية إسرائيل إلى الرد عليها. وقد ورد في الأنباء التي تم تسريبها أن باراك ورئيس الأركان قد اجتمعا وقررا قصف مقر القيادة الفلسطينية التي جرت عندها العملية في رام الله. وقد أفادت الأنباء بأن باراك أمر بإطلاق صاروخين وعدم الاكتفاء بصاروخ واحد. وهذا دليل على أن رئيس الوزراء ووزير الدفاع في دولة إسرائيل خبير في المعدات العسكرية والأسلحة، ويعرف عدد الصواريخ المطلوب إطلاقها لتدمير مبنى.

على الجانب الآخر من الهرم القيادي تبلور مصطلح في الجيش الإسرائيلي، يوصف بأنه "قائد الفصيلة الاستراتيجية". وقد استشرى هذا المصطلح خلال الانتفاضة الحالية. ويقصد به ذلك القائد الذي يمنع مرور وزير فلسطيني من الحاجز، أو القائد الذي أطلق النار على سيارة محمد دحلان عند حاجز إيريز، وبذلك منع اللقاء الذي كان مزمعاً بين دحلان وبين طرف إسرائيلي. وبذلك تنقلب الأوضاع في هذه المواجهات التي تستخدم فيها قوة محدودة. فيتصرف وزير الدفاع كأنه قائد فصيلة ويتصرف قائد الفصيلة كأنه وزير الدفاع. وهذا الوضع ليس جديداً على إسرائيل، ولكنه يتفاقم في هذه النوعية من المواجهات.

تتعلق المشكلة الثانية بالتداخل في القرارات بين القيادتين العسكرية والسياسية، وقد حدث هذا طوال حرب لبنان، ولاسيما في السنوات الأخيرة. فقد كان بنيامين نتنياهو يريد الانسحاب من لبنان. ورغم أنه ليس من الواضح إلى أي حد كان يريد ذلك، فلا يجب أن نتجاهل أنه طرح هذه الفكرة. ولكن الجيش كان السبب في تراجع نتنياهو عن هذا. وكان خوف نتنياهو يرجع إلى عدم وجود اتفاق بين قادة الجيش في هذا الشأن. فقد كان قائد المنطقة الشمالية عميرام لفين ورئيس أركانه شاى أفيطال يؤيدان الانسحاب، بينما كان رئيس المخابرات العسكرية في ذلك الوقت موشيه يعلون يعارض ذلك بشدة. وليس في استطاعة الحكومة الإسرائيلية أن تتخذ قراراً فيما يتعلق بالدفاع والأمن إذا لم يخبرها الجيش بما يجب عليها أن تفعله، باستثناء نوعية معينة من القرارات التي تتخذها دون تشاور مع الجيش، مثل قرار الانسحاب من لبنان وقرار فك الارتباط مع غزة. وعلى سبيل المثال ففي اجتماع عقد لدى وزير الدفاع موفاز قبيل فك الارتباط، لبحث ما إذا كانت هناك حاجة إلى هدم المنازل الموجودة في المستعمرات التي كانت

قائمة في قطاع غزة، قرر ضباط الجيش أنهم ليس لديهم موقف في هذا الشأن. وقد كان الهدف من عقد هذه الجلسة بالكامل هو المحاولة اليائسة من جانب وزير الدفاع لاستيضاح موقف الجيش في هذا الشأن، لأنه لو لم يعرف موقفهم فلن يتمكن من التصريح بموقفه حتى لو كان وزير الدفاع هو موفاز نفسه، الذي كان رئيساً للأركان ويعرف كيف يتخذ القرارات، والذي له مواقف مستقلة. ولكن في هذه الحالة إذا كان موقف وزير الدفاع لا يستند إلى رأي الجيش وإلى المعلومات المتاحة له فلن يعرف كيف يتصرف.

أضف إلى هذا أنه لو كان الجيش هو الذي يحيط القيادة السياسية بالواقع علماً، ففي حالة عدم وجود رأي للجيش لن تعرف القيادة السياسية شيئاً عن الواقع. وعلى سبيل المثال، من الذي حكى لنا ما يحدث منذ سبتمبر ٢٠٠٠ ومن الذي أخبرنا أن عرفات هو الذي كان يحرك الأمور كلها، وأن هذه حرب تجري على مراحل ٩٠٠؟ لقد أخبرنا بهذه الأمور اثنان، نائب رئيس الأركان الأسبق موشى يعلون ورئيس قطاع البحوث في ذلك الوقت عاموس جلعاد. لقد كان هذان الاثنان هما اللذان حددا رؤيتنا للواقع من خلال ما وصفاه بأنه مقاومة لأسلوب الخطاب الحالي، رغم أن أسلوب الخطاب الجديد كان محك خلاف في وزارة الدفاع. وعلى سبيل المثال، فإن يوفال ديسكين الرئيس الحالي لجهاز الأمن العام (الشاباك) - الذي كان نائباً لرئيس الجهاز في ذلك الوقت - كان يعارض بشدة في الرأي القائل بأن كل ما يحدث هو أمر مخطط له. فقد كان يعتقد أن هذه عمليات مرتجلة، مثل الانتفاضة، تحولت بمضى الوقت إلى حرب إرهابية. ولا يكاد يكون لدى القيادة السياسية أي علم بآراء أخرى خلاف الرأي الرسمي. وإذا كان لديها علم بهذه الآراء فإنها لم تكن تهتم بها.

كانت المشكلة الثالثة التي واجهت الجيش الإسرائيلي بعد حرب لبنان هي مشكلة الانسحاب من لبنان. ففي مايو ٢٠٠٠ لم يكتف رئيس الوزراء باراك بإجبار الجيش على الانسحاب من لبنان، ولكنه منع الجيش من تجديد جدار السلك الشائك الموجود على الحدود الدولية. وكان مبرره لذلك أن الانسحاب سيكون بموجب اتفاقية. وبذلك وصل الجيش إلى الأسبوع الأخير من شهر مايو ٢٠٠٠، وانسحب من لبنان بطريقة جعلت كبار الضباط يشعرون بالإذلال. صحيح أن رئيس الأركان موفاز وقائد المنطقة الشمالية جابي إشكنازي كانا يفخران في المؤتمر الصحفي الذي عقد بهذه المناسبة بأن الانسحاب لم يشهد أي إصابة بين جنود الجيش الإسرائيلي، ولكنهما كانا يشعران بالمهانة والإذلال. كانا يشعران بأن الجيش قد انتصر في المعارك في لبنان ولكن القيادة السياسية خذلتهم. وقد وصلت هذه الأزمة إلى ذروتها في ٢٣ مايو ٢٠٠٠. ففي الوقت الذي كانت المنطقة الأمنية فيه تنهار تماماً اجتمع رئيس الوزراء باراك مع موفاز وإشكنازي وسألهم عما إذا كان الجيش يستطيع البقاء هناك حتى شهر يوليو حتى يتم التوصل إلى اتفاقية. وتبادل القائدان العسكريان النظرات، وبدون أن ينطق أحدهما بكلمة توصلتا إلى نتيجة مفادها أن القيادة السياسية لا تفهم ما الذي يجري.

ربما يكون رئيس الأركان موفاز قد استعد للانتفاضة في السنة التي سبقتها، نتيجة للدرس المستفاد من هذا. وقد استعد لها رغم أنف القيادة السياسية ورغم استيائها. وقد كان من القصص التي تم نشرها في هذا الشأن في وقت سابق أن موفاز طلب ميزانية إضافية من أجل الاستعداد، وأن جادي إيزنكوت السكرتير العسكري لرئيس الوزراء في ذلك الوقت، أعطاه قصاصة ورق مكرمشة في المطار على ممر الإقلاع مكتوب فيها بخط كبير كلمة "لا". ورغم ذلك فقد قرر موفاز توجيه ميزانيات من مصادره كرئيس للأركان وقام بالاستعداد للانتفاضة وحده. وجدير بنا أن نشير إلى أن رئيس الوزراء ووزير الدفاع إيهود باراك لم يعقد في الشهور السابقة على سبتمبر ٢٠٠٠ ولو اجتماعاً واحداً مع رئيس الأركان لمناقشة المواجهة المنتظرة مع الفلسطينيين. وكان تفسير باراك الوحيد لهذا أنه لو عقد مثل هذا الاجتماع لتم تفسيره على أن إسرائيل تتأهب للحرب وكان قد اتهم بتخريب المفاوضات، وهذا الأسلوب في تفسير الأمور هو سمة مميزة لإيهود باراك.

في الأيام الأولى للانتفاضة كانت القيادة السياسية غاضبة من فشل مفاوضات كامب ديفيد. وقد تبلورت في ذلك الوقت وجهة نظر ترى أنه "لا يوجد لإسرائيل شريك في المفاوضات" وأنها "عرضنا عليهم كل شيء فرفضوا". (٥) وكان باراك هو الذي قام بصياغة وجهة النظر المذكورة في يوليو ٢٠٠٠. في نفس الوقت لم تستعد القيادة السياسية للمواجهة، بل وواصلت التفاوض مع الفلسطينيين وتقديم مقترحات جديدة لهم لم تكن مقبولة من جانب الجيش. وقد كانت هذه مرحلة نظر فيها الجيش إلى القيادة السياسية على أنها غير مسئولة على الإطلاق. وقد عبر عن ذلك يوم طوف سانيا قائد المنطقة الشمالية في ذلك الوقت خلال الأيام الأولى للانتفاضة عندما قامت مجموعة من أعضاء الكنيسة بزيارة المنطقة لترى ما يفعله الجيش هناك. فقال لهم: "لن يخبرني أحد كيف أنتصر في هذه الحرب".

لقد أبرزت انتفاضة الأقصى الخلل الذي شاب أداء وزير الدفاع. فلم يكن هناك أثر لمنصب وزير الدفاع في ذلك الوقت. صحيح أننا شهدنا وزراء دفاع أقوياء مثل يتسحاق رابين، ولكن القاعدة هي أن وزراء الدفاع كانوا ضعفاء.

وهذا الضعف يظهر في الصراعات التي تستخدم فيها قوة محدودة، والتي لا يكون الاتصال المباشر فيها قاصراً على رئيس الوزراء ورئيس الأركان فحسب، وإنما يكون أيضاً بين رئيس الوزراء وبين قائد سلاح الطيران أو بينه وبين رئيس المخابرات العسكرية أو بينه وبين رئيس قطاع البحوث في المخابرات، أو قد يصل الأمر إلى حد الاتصال بينه وبين القادة الميدانيين.

لقد طلب شارون من كبار الضباط أثناء أول زيارة له إلى قيادة المنطقة الوسطى أن ينزلوا معه إلى الميدان. وقال لهم بخفة ظله المعروفة: "يبدو لي أنكم شديدي الانشغال، ولديكم أمور كثيرة تقومون بها، وأنا أريد الحديث إلى القادة الميدانيين". ثم انصرف إلى الحديث مع قادة الكتائب. وبغض النظر عما قاله شارون في هذا اللقاء مع قادة الكتائب فما جرى هنا كان تجاوزاً للقادة. أما وزير الدفاع بنيامين بن اليعيزر فقد كان يتعرض للسخرية منه من جانب القيادات العليا ومن القيادات الميدانية على حد سواء. وقد أثر هذا على العلاقة بين رئيس الوزراء ورئيس الأركان. فقد عقدت جلسات مشاورات لدى رئيس الوزراء كان رئيس الأركان يجلس فيها وظهره إلى وزير الدفاع. لماذا؟ لأن منصب وزير الدفاع هو منصب ليس له وجود فعلي.

كان أوضح مثال على ذلك هو شاؤول موفاز الذي انتقل أثناء الانتفاضة - بفارق أربعة أشهر - من منصب رئيس الأركان إلى منصب وزير الدفاع. لقد اكتشف موفاز فجأة أن كل النقاط التي كان يعتقد أنها نقاط قوته كرئيس للأركان قد اختفت فجأة مع توليه منصب وزير الدفاع. فقد كان من وجهة نظره رئيساً لموشى يعلون الذي عمل معه نائباً لرئيس الأركان، ولكن يعلون لم يكن ينظر إليه على هذا النحو. وقد أدى هذا إلى عدد لا يستهان به من الخلافات بينهما. وأدى في نهاية الأمر إلى عدم مد خدمة يعلون في منصب رئيس الأركان. لقد وصل موفاز إلى منصب وزير الدفاع من منصب رئيس الأركان الذي كان فيه يعتقد أنه أقوى رجل في دولة إسرائيل، ولاسيما في وقت الحرب. وفجأة انقلبت الأوضاع. فقد ترقى إلى منصب أصبح فيه هو الرجل الضعيف، ولاسيما في وجود شارون رئيساً للوزراء. أضف إلى هذا أن رئيس الوزراء هو الذي يعين وزير الدفاع الذي لا بد أن يكون خادمه الأمين. ولذلك لم يكن مما يدعو للدهشة أن تعاون موفاز مع شارون في فك الارتباط مع غزة.

إن وزير الدفاع مثله مثل الوزراء الآخرين يرتبط بأجهزة الجيش. وفي المشاورات التي تعقد لدى وزير الدفاع يظل الجيش هو الذي يحدد الموقف لأنه الذي تكون لديه المعلومات ولديه أساليب العمل المناسبة، ويحتفظ بهذه الأمور لنفسه. وإذا رغب الوزير في الحصول على معلومات بديلة، ولاسيما فيما يتعلق بمواجهة بهذا التعقيد، فإنه يواجه مشكلة. فمتى يصدر قرار باغتيال أحد القادة؟ وهل هو قرار عسكري أم سياسي؟ وكيف تتجلى انعكاسات هذا القرار؟ يجري اتخاذ هذه القرارات دون أن تعرف الحكومة شيئاً عنها، ومن قبيل المفارقة أن الحكومة تشعر بالارتياح لهذا الوضع. وفي حديث أجريته أنا ورافيف دراكون مع أحد الوزراء السابقين زعم في هذا الصدد أن من الأفضل له ألا يعرف شيئاً. وكان سبب ذلك أنه يعتقد أن رأيه مهم، ولكن ليس لديه معلومات كافية. فلم تكن لديه معلومات على سبيل المثال عما يمكن أن يتسبب فيه اغتيال الشيخ ياسين. وإذا كانت لديه معلومات فقد وصلتته من المخابرات العسكرية.

كيف تبدو جلسة تعقدها الحكومة لمناقشة شئون الدفاع؟ يجتمع الوزراء ويحضر رئيس الأركان ونائبه وقائد المنطقة العسكرية المعنية بالاجتماع ورئيس المخابرات العسكرية ورئيس قطاع البحوث وقائد سلاح الطيران. ويتحدث كل منهم لمدة ربع ساعة. وبالمناسبة فلو كان هناك جانب آخر سيحضر هذه الجلسة مثل جهاز الشاباك فإن رئيس الجهاز يأتي بنفسه. وبعد سماع الكلمات المختلفة يكون الوزراء مترددين. فليس لديهم أي معلومات بديلة، وذلك أيضاً لأنهم ليس لديهم جهة تعرض عليهم البدائل، أو تتولى التعامل مع المعلومات المختلفة، مثل مجلس الأمن القومي. فما الذي يمكنهم عمله سوى الاستسلام وقبول ما يعرض عليهم؟ لقد قال الوزير السابق إيلي سويسا الحقيقة عندما قال: "من الأفضل ألا أعرف".

لقد تحولت الاغتيالات الشخصية التي كانوا في البداية يصفون من يتعرض لها بأنه قنبلة موقوتة، إلى بنية أساسية للإرهاب. إذ أنه في مثل هذه المواجهات أيهما يكون أكثر خطورة، الانتحاري الذي يفجر نفسه، أم الشخص الجالس في المكتب، الذي يقوم بإرساله ويمكنه إرسال عشرات آخرين مثله؟ ومن الذي يقوم بتجريم هذا الرجل؟ ومن الذي يقرر ما إذا كان هذا الرجل خطيراً حقاً؟ إنها المؤسسة العسكرية وحدها. هكذا أصبحت الاغتيالات - حسبما أكد رئيس الأركان يعلون في صيف عام ٢٠٠٣ - أداة سياسية تستخدمها دولة إسرائيل. وبذلك أصبحت دولة إسرائيل أول دولة في العالم تستخدم الاغتيالات كأداة سياسية.

وبنفس الطريقة فقد حدد الجيش الإسرائيلي من جديد من هو العدو، وهو تحديد يمثل مشكلة في مثل هذه المواجهات. على سبيل المثال، هل الشرطي الفلسطيني عدو؟ في الماضي لم يكن الشرطي الفلسطيني يعتبر عدواً،

ولكن في وقت من الأوقات قرر الجيش الإسرائيلي بعد هجوم تعرضت له نقطة تفتيش في "عين عريق" أن الشرطي الفلسطيني عدو. ونتيجة لذلك أمر الجيش الإسرائيلي وحداته الخاصة بالهجوم على نقاط تفتيش كان بها جنود شرطة فلسطينيين لم يطلقوا الرصاص على قواتنا على الإطلاق بدون مناقشة مدى صحة هذا القرار. لقد تغير تحديد العدو في لحظة، كما أصبحت المدة التي يستمر العدو عدواً خلالها في هذه النوعية من المواجهات أقصر بكثير. فقد كان الشيخ ياسين شخصاً يحظر المساس به، ثم فجأة أصبح ذات يوم هدفاً للاغتيال. حتى ذلك اليوم كان الزعم السائد هو أن المساس به قد يؤدي إلى كارثة، وفي اليوم التالي أصبح اغتياله هدفاً لأنه أصبح الشيء الذي لا بد من القيام به.

واليوم تتباكي إسرائيل، بل وأجهزتها الأمنية، على تفكيك الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وقال لي اللواء موسى كابلينسكي نائب رئيس الأركان الحالي عند تركه لمنصب قائد المنطقة الوسطى إن هناك مشكلة الآن. لأنه لا يوجد طرف يمكن أن تعطيه أي مساحة من الأرض. حتى لو أردنا أن نعطي فليس هناك من يأخذ. فقد تفككت كافة الجهات المسؤولة هنا. وسيتطلب إصلاح هذا الوضع شهوراً وربما سنوات. ولكنه نسي شيئاً واحداً أننا نحن الذين قمنا بتفكيك الأجهزة الفلسطينية، بغض النظر عما إذا كان هذا في صالحنا أم لا. لقد اتخذ رئيس الأركان هذا القرار دون التشاور مع أحد، وربما يكون القرار قد اتخذ على مستوى قائد لواء. وبهذه المناسبة فإن قادة الألوية لم يميزوا أبداً بين المنظمات المختلفة وفي هذه الفترة كان قادة الألوية يتصرفون ميدانياً كما يحلو لهم. وبذلك كانوا من الناحية العملية يحددون الاستراتيجية باستخدام الوسائل التكتيكية، بخلاف ما كان يجب أن يحدث.

لقد نشأ الجيل الحالي من قادة الجيش الميدانيين في لبنان وتعلم فيها. وهذا الجيل مذهل في مدى احترافه ودافعه إلى القتال وإصراره وعزمته. فقد جاء قادته إلى المناطق بهدف تحقيق النصر في هذه المواجهة. وكان أول ما فعلوه أنهم أعلنوا أنهم سيدخلون إلى مخيمات اللاجئين. حتى ذلك الوقت كان هناك خوف حقيقي من دخول الجيش إلى مخيمات اللاجئين. وفي مواجهة جرت بين تشيكو تامير وهو القائد السابق للواء جولاني ورئيس العمليات الحالي للمنطقة الوسطى وبين قائد المنطقة العسكرية بحضور رئيس الأركان، قال تشيكو تامير: "إنني أشعر بالخجل لأننا لا ندخل إلى مخيمات اللاجئين". ونتيجة للضغط الميدانية الواردة من أمثال هذا القائد وحدها دخل الجيش إلى مخيمات اللاجئين. ودخل جنود جولاني إلى مخيم طولكرم ودخل المظليون إلى مخيم بلاطة، بعد ذلك تردد أن أقيف كوخافي قال: "لقد تبين أن النمر في مخيم بلاطة لم يكن سوى قطعة". وكما سبق القول فقد كان الخوف هو الذي منع جنود المظلات من دخول مخيمات اللاجئين حتى ذلك الوقت. وبعد دخول بلاطة اتصل وزير الدفاع بكوخافي وهناك على هذا النجاح.

لقد استمدت القيادة السياسية من قادة الألوية - الذين يتصرفون في الشؤون الاستراتيجية - الشعور بأننا قادرين على القيام بما كنا نخشاه في المراحل الأولى. كان لذلك تأثير شديد على التجاهل المطلق، والمقصود إلى حد كبير للفرصة التي لاحت في يناير ٢٠٠٢، التي يعتبرها كثيرون أكبر فرصة أضاعتها إسرائيل لتغيير ملامح هذه المواجهة وإنهائها مبكراً بما يوفر كثيراً من القتلى، وربما كان هذا سيوفر علينا المذبحة الكبيرة التي شهدتها أشهر فبراير- مارس ٢٠٠٢. وليس في هذا اتهام لإسرائيل بشيء. وبالطبع فإن الفلسطينيين أيضاً مسئولين، ولكننا هنا نركز على أسلوب اتخاذ القرار في إسرائيل.

كانت نهاية كل هذا بالطبع هو خطة فك الارتباط مع غزة. فقد قال رئيس الأركان موسى يعلون إنه سمع عن خطة فك الارتباط للمرة الأولى في مؤتمر هرتسليا، ولكنه علم بأن النية تتجه للانسحاب من غزة في المرة الأولى من يوثيل ماركوس في صحيفة هآرتس. وهذا الزعم قريب جداً من الحقيقة، ويوضح أن تنفيذ خطة فك الارتباط جرى بينما كانت هناك قطيعة تامة ومقصودة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية. ففي مرحلة معينة منع موسى يعلون ضباط الجيش من المشاركة في اجتماعات لدى مستشار رئيس الوزراء فايسجلاس بمبرر رسمي، وهو أن وزير الدفاع ورئيس الوزراء والحكومة يرأسون هيئة الأركان. أما مستشار وزير الدفاع ومستشار رئيس الأركان فليسوا قادة لي، ولذلك لن يشارك ضباطي في هذه اللقاءات.

بالطبع لم تكن هذه الخطة في البداية خاصة بالجيش وإنما بالقيادة المدنية ولكن لا توجد جهة أخرى مؤثرة سوى الجيش. وقد أجرى الجيش مشاورات قبل تنفيذ الخطة بشأن الانسحاب أو فك الارتباط وعارض الجميع هذه الفكرة. ولكنها فرضت على الجيش الذي تخاذل في مواجهتها.

بعد أن تقرر فك الارتباط تم تعيين جيورا آيلاند مستشار الأمن القومي مسئولاً عن بلورة ملامح الخطة. ولم يكن الحديث يدور عن خطة من جانب واحد وإنما كان يدور عن تعاون مع مصر وعن تبادل أراضي إلى أن كشف رئيس الوزراء ليوئيل ماركوس فجأة أنه تعهد بالانسحاب من غزة. والحق أن رئيس الوزراء كان ينوي إبلاغ المجموعة

البرلمانية لليكود بهذا الأمر أولاً، ولكن يوثيل ماركوس التقى به في ذلك الصباح، قبل ساعتين من اجتماع المجموعة البرلمانية. وباعتباره صحفياً مخضرمًا واعياً فقد أدرك ما يحدث على الفور، وسارع إلى نشر الخبر على الموقع الإلكتروني لصحيفة هآرتس. وهذا هو موجز العلاقات بين القيادة العسكرية والسياسية في المواجهة الحالية.

هوامش:

(♦) هذا المؤتمر عُقد في ذكرى البروفيسور عاموس بيرلوتر (فبراير ٢٠٠٦).
١- اللواء احتياط عمّام متسناح: رئيس مجلس محلي يروحام (المعين). كان عضواً في الكنيست السادس عشر. وكان عضواً في عدة لجان من بينها لجنة الخارجية والأمن ولجنة شئون مراقبة الدولة. خدم في الجيش لمدة ثلاثين عاماً انتهت عام ١٩٩٢، أمضى أغلبها في المدرعات. خدم في ثلاثة مناصب برتبة لواء وهي: مساعد رئيس شعبة العمليات وقائد المنطقة الوسطى ورئيس فرع التخطيط. حصل على وسام الجندي النموذجي (في حرب يونيو ١٩٦٧) وعلى نيشان رئيس الأركان (في حرب أكتوبر ١٩٧٣). تولى رئاسة بلدية حيفا في الفترة من ١٩٩٣ إلى ٢٠٠٢. في نوفمبر ٢٠٠٢ انتخب رئيساً لحزب العمل في الانتخابات التمهيدية. وفي يناير ٢٠٠٣ كان مرشح الحزب لرئاسة الحكومة. وكان من مهندسي مبادرة جنيف. وهو حاصل على ليسانس في الجغرافيا وعلى ماجستير في العلوم السياسية من جامعة حيفا. كما درس في مدرسة الحرب العليا في بن سيلفانيا بالولايات المتحدة، واجتاز دورة للشخصيات العامة القيادية (CFIA) في جامعة هارفارد.

٢- اللواء احتياط عامي أيلون: الرئيس الأسبق لجهاز الأمن العام (الشاباك). أمضى خدمته العسكرية في سلاح البحرية، وخدم فيه في عدة مناصب. بدأ الخدمة مقاتلاً في المجموعة ١٢ قوات خاصة بحرية، إلى أن أصبح قائداً للمجموعة، ثم قائداً للبحرية. حصل أثناء خدمته العسكرية على أعلى وسام في الجيش الإسرائيلي، وهو وسام البطولة. حصل على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة بار إيلان، وعلى درجة الماجستير في الإدارة العامة من جامعة هارفارد. بعد أن أنهى خدمته في الجيش عين رئيساً لجهاز الأمن العام (الشاباك) الذي كان يمر بأزمة شديدة في أعقاب اغتيال رئيس الوزراء يتسحاق رابين. بعد أن أنهى عمله في رئاسة الجهاز تولى رئاسة مجلس إدارة إحدى الشركات. وبما يتواءم مع ذلك إشتراك مع البروفيسور سيري نسيبة في مبادرة الإحصاء القومي، وهي مبادرة إسرائيلية فلسطينية مشتركة. وفي أواخر عام ٢٠٠٠ انضم إلى حزب العمل. حصل على لقب رائد نزاهة الحكم عن عمله في منصب رئيس الشاباك، ولاسيما بفضل ميثاق الشرف المهني الذي أدخله للجهاز واعتماد قانون عمل جهاز الشاباك.

٣- عوفر شيلح: صحفي بصحيفة يديعوت أحرونوت المطبوعة وبموقعها الإلكتروني ynet. صدر كتابه الأخير الذي ألفه بالاشتراك مع رافيف دروكر تحت عنوان "أداة مرتدة" في عام ٢٠٠٥. ويتناول الكتاب العلاقة بين القيادتين السياسية والعسكرية في إسرائيل أثناء الانتفاضة الثانية. أما كتابه السابق الذي صدر تحت عنوان "صينية الفضة" فكان يتناول مفهوم جيش الشعب في إسرائيل، بما في ذلك العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية.

٤- يستخدم الكاتب تعبير حرب تجرى بقوة محدودة تحاشياً لاستخدام تعبير قمع الانتفاضة. غير أن الحقيقة هي أنه لا توجد حرب في المناطق، وإنما هناك احتلال إسرائيلي لها. وهناك مقاومة فلسطينية لهذا الاحتلال، وهي مقاومة سواء اتفقنا على الأساليب التي تستخدمها أم اختلفنا. وهناك محاولة إسرائيلية لقمع هذه المقاومة سواء عن طريق اغتيال القيادات العسكرية والسياسية أو عن طريق قتل المدنيين بالجملة أثناء هذه الاغتيالات، أو عن طريق هدم منازل الفلسطينيين الذين يخرج من بينهم مقاومون، أو عن طريق إعدام المقاومين بدون محاكمة من خلال عمليات الاغتيال، التي قد تجرى أحياناً باستخدام قنبلة تزن طناً، وتتسبب في مقتل وإصابة عشرات المدنيين، وكل هذه الممارسات توصف في القانون الدولي بأنها جرائم حرب.

٥- تبلورت هذه الآراء بناء على ما قام إيهود باراك بتسريبه عن المفاوضات، وقد رددت الدعاية الإسرائيلية ذلك كثيراً، بينما من الناحية العملية لم يعرض باراك على الفلسطينيين أي شيء. فلم يعرض انسحاباً من الأراضي المحتلة، ولم يعرض سيادة فلسطينية، ولم يعرض إقامة دولة فلسطينية ولو ذات حدود مؤقتة، وبعد كل ذلك طلب من عرفات إبلاغ مجلس الأمن بانتهاء النزاع الفلسطيني الإسرائيلي وبأنه لا يحق للفلسطينيين المطالبة بتنفيذ قرارات مجلس الأمن بعد ذلك. وكان هذا شرطه لاستئناف المفاوضات. لذلك كان من الطبيعي أن يرفض عرفات ذلك.

◆ دراسات ◆

٤

الجامعة العبرية بالقدس نظرة جديدة لحرب عيد الفطران ندوة بمناسبة مرور يوبيل على حرب أكتوبر ١٩٧٣ الجلسة الثانية: النظرية والمفاجأة

بقلم: اللواء احتياط تسفى زامير (١)

في الفترة القصيرة المخصصة لي لن أتمكن من الرد بالتفصيل على السؤال الموجه لي من مقرر الجلسة، وهو: هل كان من الممكن منع حدوث مفاجأة في حرب أكتوبر ٦٠٠٠ ورغم هذا فسيظهر ردي على ذلك من خلال حديثي المختصر. من الناحية العملية، ردت لجنة أجزانات (٢) على هذا السؤال من خلال المادة التي نشرتها على الجمهور، وسوف استعرض ما قالته في هذا الشأن خلال حديثي.

تتكون المخابرات بشكل مبدئي من جهازين. جهاز يتولى جمع المعلومات، وتقتصر مهمته على جمع المعلومات عن المجالات التي يطلب منه جمع معلومات المتعلقة بها، وإرسالها إلى الجهة المسئولة عن تقييم المعلومات وفحصها واستخلاص النتائج منها، وهي الجهة المسئولة عن تقدير الموقف (ولم تكن هناك سوى جهة واحدة مسئولة عن تقدير الموقف عشية حرب أكتوبر). وأنا أمثل الجهاز المسئول عن جميع المعلومات، وهو الموساد الذي كان مسئولاً عن هذا الجانب بالكامل. وسيكون كل ما سأعرضه عليكم هنا مأخوذاً بالكامل من مادة نشرتها لجنة أجزانات. وليس لدى أي مادة أخرى يمكن أن أقول إنني أخذتها معي عندما تركت العمل في الموساد. ولن أسقط في مصيدة الكشف عن أشياء من الأفضل لها أن تظل سرا.

سوف أبدأ حديثي بالحديث عن ثلاثة تصريحات. في جلسة هيئة الأركان العامة التي انعقدت في أول أكتوبر ١٩٧٣ (وهذا الكلام مرة أخرى مأخوذ مما نشرته لجنة أجزانات) قال رئيس المخابرات العسكرية: "أبلغتنا عدة مصادر أن هذه المناورة ليست مناورة، وأن الحرب وشيكة. غير أننا لا نعتقد أن هذا صحيح على الإطلاق رغم أن المصادر موثوق بها". وفي الخامس من أكتوبر، قبل الحرب بيوم، اجتمع بعض وزراء الحكومة للتشاور. ونقلت لجنة أجزانات مما دار في الاجتماع ما يلي: "يقول وزير الدفاع إن الفترة الماضية شهدت ورود أنباء عديدة ووجود أدلة ميدانية تفيد بدفع تعزيزات للجبهتين المصرية والسورية. وخلال الليلة الماضية، أو خلال الأربعة وعشرين ساعة الماضية، وردت معلومات أخرى أدت إلى حد معين إلى تغيير التقييم السلبي لهذه المعلومات، ولا أقول إنها أصبحت إيجابية، ولكنها أصبحت إيجابية بالقدر الكافي لاستدعائكم هنا" (والخطاب موجه للوزراء المشاركين في الجلسة).

في تلك الجلسة قال رئيس المخابرات العسكرية: "لا زلنا نعتقد أن هناك احتمال كبير لأن يكون تحرك المصريين والسوريين ناتجاً عن خوفهم منا، وهناك احتمال أقل لأن تكون نيتهم الحقيقية تتجه إلى القيام بهجوم محدود". يظهر من هذا الكلام أن الأمر لم يعد مجرد مناورة، وإنما هجوم مصري سوري (مع العلم بأنني لم أشارك في هذه الجلسة).

أعتقد أن لجنة أجزانات قامت بالتحقيق الجذري فيما يتعلق بدور أجهزة المخابرات، ولا توجد أي مادة تتعلق بهذا الدور

لم تعرض على اللجنة. وقد شهد آخرون غيرى من رجال الموساد أمام اللجنة، وأعتقد أنها قد اطلعت على كافة الحقائق. وسأنقل لكم هنا جزءاً مما ورد في تقرير اللجنة، في المجلد الأول ص ١٤٠: "في الأيام التي سبقت اندلاع الحرب في أكتوبر ١٩٧٣ كان لدى المخابرات العسكرية معلومات غزيرة تحذر من ذلك. ونعتقد أن هذه المعلومات كان لابد أن تؤدي إلى تقدير موقف حذر، يحذر من أن احتمالات اندلاع الحرب قد زادت بشدة".

وورد في التقرير في موضع لاحق ما يلي: "نود أن نؤكد في هذا الموضع أن وحدة جمع المعلومات في المخابرات العسكرية والجهات الأخرى التي سبق أن أشرنا إليها والمسئولة عن جمع المعلومات في الدولة، قد قامت بعملها في جمع المعلومات على الوجه الأكمل، بما يبرر السمعة الطيبة التي تتمتع بها أجهزة المخابرات لدينا".

وقد أضاف موردخاي جازيت في كلمته تحليلاً جديداً لنظرية عمل المخابرات - ولا بد أن أقول إنني أسمع هذا التحليل اليوم لأول مرة - فقد قال جازيت إن النظرية لم تكن نظريتنا نحن، وإنما كانت نظرية مصرية، أو لنقل نظرية تضليل مصرية.

ذكر موردخاي جازيت مصدراً واحداً محدداً. ومن الصعوبة بمكان بالنسبة لي أن أتحدث عن المصادر. ولكنني أود أن أقول فقط إن المعلومات التي كانت لدينا بشأن الشروط المصرية لشن الحرب تبين صحتها من الناحية الفعلية. فلم يكن الجنرالات المصريون على استعداد للحرب دون الوفاء بعدة شروط عرضوها على الرئيس السادات، وكانت الشروط الأساسية فيها هي: أولاً: وجود صواريخ أرض-جو لاستخدامها في الدفاع الفعال ضد القوات الجوية الإسرائيلية. وثانياً: وجود جسور تسمح بنقل القوات المطلوبة إلى الضفة الشرقية للقناة خلال الوقت الذي يحدده. ويمكن التحقق من صحة هذا من خلال ما ينشروه اليوم، ومن خلال ما يكتبه الجنرالات المصريون الذين كانوا يخدمون في الجيش في ذلك الوقت. فقد كانوا يخافون بشدة من رد سلاح الطيران الإسرائيلي. وكانوا يتذكرون جيداً الصدمة التي تركتها لديهم هجمات سلاح الطيران الإسرائيلي على مصر، وكان شرط السادات وجنرالاته لبدء الحرب هو وجود وسيلة للدفاع ضد الطيران عند شاطئ القناة. وقد تم تدبير الوسيلة الدفاعية المطلوبة التي حصدت الكثير من دمائنا. غير أننا كنا نعلم قبل ذلك أن توفرها شرط لبدء الهجوم المصري. وكنا نعلم أيضاً متى وصلت الصواريخ إلى مصر بكميات مرضية بالنسبة لهم. كان لدى المصريون نظرية تقول: سنهاجم بجيشين في منطقة القناة. وكان الشرط المطلوب للقيام بذلك هو توفير دفاع جوي ضد الطيران وجسور لعبور القناة. وكانوا يقولون إنه عندما تصبح هذه الأشياء لديهم، سيقوم جيشان من المشاة بعبور القناة. كنا نعلم أن الهدف من جيوش المشاة - وفقاً للنظرية السوفيتية - هو عبور القناة واحتلال مواقع دفاعية. وكنا نعلم أن كل جيش من الجيشين لديه لواء دبابات، وأن لديهم صواريخ الهدف منها هو احتواء الهجوم المضاد. وكنا نعلم أنه بعد استكمال هذه الجيوش لمهمتها، سيتم اتخاذ القرار بشأن إمكانية عبور ألوية المدرعات من غرب القناة إلى شرقها. كنا نعلم كل هذا من مصادر مختلفة تابعة للموساد. ويبدو أننا كنا نعرف ذلك من عناصر أخرى تقوم بجمع المعلومات.

وردت هذه المعلومات إلينا في وقت مناسب. وأنا مضطر لإبلاغكم بغضبي الشديد مما أقرؤه ومما أسمعه، حيث تعرض الجهاز الذي كنت أترأسه لافتراءات غير مسئولة وللعديد من القصص المختلفة. وأقر وأعترف لكم بأنني غير قادر على الدفاع عن هذا الجهاز، لأنني حتى لو كانت لدى مادة تفيد في ذلك ما كنت لأنشرها. للأسف الشديد فإن التعامل مع معلوماتنا بكافة تفاصيلها كان غير مرضٍ. ويرجع السبب في ذلك إلى تقديرات المخابرات العسكرية.

قبل أن أقرأ لكم فقرة أخرى مقتبسة أود أن أؤكد أنني عندما أتحدث عن أعمال المخابرات أقصد ما يتعلق منها بجمع المعلومات فقط، وهو القطاع الذي أمثله. ولا بد لنا من التمييز بين جمع المعلومات وتقدير الموقف، فهذان شيان مختلفان تماماً.

بعد حرب أكتوبر قال إسرائيل طل - نائب رئيس الأركان في حينه - ما يلي (نقلًا عن كتاب "الأسطورة في مواجهة الواقع" الذي نشره إيلي زعيرا): "لقد تلقينا قبل حرب عيد الغفران إنذاراً كاملاً سواء فيما يتعلق بنوايا الطرف الآخر أو فيما يتعلق بالتهديدات المحتملة، للمرة الأولى في تاريخنا. وكنا نعرف نوايا الطرف الآخر قبل وقت كافٍ من وقوع الحرب، وكانت معلوماتنا عن هذه النوايا متواصلة، وليست قاصرة على تحذير أو اثنين. كانت التحذيرات متواصلة بدأت في بداية الربيع، في شهر مارس تقريباً، واستمرت حتى الصباح الذي بدأ فيه الهجوم. كنا نتلقى طوال الوقت معلومات عن النوايا وعن خطط الهجوم. وبالتالي فلم يكن الإخفاق الذي تعرضنا له في الحرب إخفاق مخابرات. لقد أخبرتنا المخابرات بكل شيء. وأفترض أن نائب رئيس الأركان كان يقصد بحديثه الأخبار وليس المعلومات، وألا فإن هذا الأمر يثير أسئلة أخرى ليس هذا محلها.

لقد كان ما حدث لدينا هو تزايد نفوذ الجيش ومكانته بصفة عامة، وتزايد نفوذ ومكانة وزير الدفاع بصفة خاصة بين الجمهور وداخل الحكومة بعد حرب ١٩٦٧، وسوف أتناول هذا الأمر من خلال التحليل وليس نقلاً عن أحد. ويمكنني أن أقول عن يقين إنني لا أعرف أي قرار سواء في المجال العسكري والأمني أو في المجال السياسي تم اتخاذه بدون موافقة

موشى ديان عليه.

كانت نتيجة ذلك إذن أن تقدير المخابرات للموقف لم يعد قاصراً على رأى المخابرات العسكرية. فقد اعتادت الحكومة أن تبدأ جلساتها بالاستماع إلى آراء أجهزة المخابرات، التي أعترفت أنها كانت تضم بعض أفضل الشخصيات. وبالطبع فإن القضايا المطروحة على الحكومة كانت تدفع المخابرات العسكرية إلى مزيد من الاندفاع نحو التقديرات السياسية، التي من المفترض في الدول الطبيعية أن تكون من اختصاص وزارة الخارجية. وبالتالي فقد نشأ وضع كانت السيطرة الظاهرية في المجال السياسى والعسكرى فيه لوزير الدفاع ووزارته ولتقديرات أجهزة المخابرات. وأعتقد أن هذا الأمر جاء على حساب جهود المخابرات في المجال العسكري، التي تتمثل في توفير المعلومات للقوات المقاتلة. ولم يبدأ هذا الأمر في فترة رئاسة إيلى زعيرا للمخابرات العسكرية، وإنما في وقت سابق.

بالنسبة لأغلب وزراء الحكومة، فإنهم لم يجادلوا على الإطلاق عند عرض تقديرات المخابرات عليهم، وفضلاً عن هذا فلم يكن لدى أى منهم الأدوات المناسبة التي تعينه على التحقق من صحة هذه التقديرات.

شارك الراحل حاييم برليف في جلسة للحكومة تحدثت عنها لجنة أجرانات، وطرح في هذه الجلسة السؤال التالي: "أخبروني منذ متى تعرفون هذا؟" وكان السبب أن برليف لم يكن في الصورة ولم يكن يعرف من أين أتت هذه المعلومات.

حدثت مباحثات عديدة بينى وبين رئيسة الوزراء جولدا ميثير فيما يتعلق بالجلسات التي كانت تعقدها مع قيادات الجيش. فقد كنت أرى أن من الخطأ ألا يشارك الموساد في هذه الجلسات، نظراً لأن الموساد كان عنصر جمع المعلومات الوحيد الذي لا يخضع في التسلسل القيادي للجيش ولوزير الدفاع. ولم أقصد أن أكون مشاركاً بشكل شخصي، لأنى كنت أبقي خارج إسرائيل لفترات طويلة، وصدقوني إذا قلت لكم إن جولدا قالت لي بالنص ما يلي: "اسمع يا تسفيكا، أنا لا أعرف أساساً عن أى شيء يتحدثون. وما يحدث هو أن موشى يتصل بى تليفونياً ويقول "جولدا أريد الحضور للحديث معك". فماذا تريدنى أن أقول له؟"

لقد كان وزير الدفاع بنفسه يقوم بعرض تقدير المخابرات للموقف، وفي حضور رئيس الأركان ورئيس المخابرات العسكرية، وكان ذلك يمثل أساساً للتوصيات السياسية أو العسكرية. وقد رفض أى محاولة من الموساد للمشاركة في هذه الجلسات.

عندما كنت رئيساً للموساد اعتدت أن يوزع مكتبى مادة كانت تذهب لأربعة. هؤلاء الأربعة هم رئيس المخابرات العسكرية ورئيس الأركان ووزير الدفاع ورئيس الوزراء. وقد كان هذا بالطبع بالإضافة إلى التوزيع المعتاد لهذه المادة حيث أن النظام قائم على أن أى معلومات ترد إلينا يتم إرسالها لقطاع البحوث. ولكن بعد حديث مع رئيس المخابرات العسكرية الأسبق أهارون ياريف توقفت عن إرسال هذه المادة إلى وزير الدفاع وإلى رئيس الأركان بناءً على طلبه. كان ياريف يعتقد أن المادة المعلوماتية تتخذ لدى من يطالعها قيمة أكبر من قيمتها الحقيقية، وقد كنت متفقاً معه في هذا. وبناءً على ذلك فقد كان من المحبذ أن يقوم المسئولون عن البحوث بتقييم هذه المعلومات أولاً من خلال مقارنتها بمصادر أخرى.

اتفقنا إذن على أن أكتفى بإرسال هذه المادة المعلوماتية إليه كرئيس للمخابرات العسكرية وإلى رئيسة الوزراء. ولكن بعد يوم واحد من هذا حدثى وزير الدفاع موشى ديان وقال لي: "قل لي. لقد علمت من جولدا أنها تلقت مادة معينة، فلماذا لم ترسلها لى أنا أيضاً؟" فأخبرته بما طلبه منى رئيس المخابرات العسكرية. فقال لى ديان بأسلوبه المعروف ما يعنى أن المخابرات أصابته بالملل وما إلى ذلك، وطلب منى إرسال المادة فأرسلتها إليه. وقد التقيت بديان بعد ذلك عدة مرات. وفى أغلب المرات التي انتقدت فيها استهانة قطاع البحوث في المخابرات العسكرية بالمادة كان وزير الدفاع لا يتفق معى، وكان يقول إنه موافق على تقديرات المخابرات العسكرية. وخلاصة القول أن جولدا كانت تخبر وزير الدفاع بكل ما يرد إليها من معلومات أياً كان مصدرها، حتى التي تتلقاها منى. وبالنسبة لى، أود أن أوضح شيئاً بالنسبة لحكاية الملك حسين. قد يعتقد البعض نتيجة لما يقرأ في الصحف أن الملك حسين كان عميلاً للمخابرات الإسرائيلية. وهذا مخالف للحقيقة. لقد أكد الملك حسين في لقاءاته مع رئيسة الوزراء ووزير الدفاع في اللقاءات التي سبقت أعوام ١٩٦٨-١٩٦٩، أن عدم حدوث تحرك سياسى سوف يؤدي في النهاية إلى مواجهة عسكرية. وكان الدافع لخوفه من الحرب هو الحرص على المصالح الأردنية. ولكنه لم يكن يعرف متى ستقع الحرب. وإنما كان يعرف ما نعرفه جميعاً، ولم يكشف لنا عن أى معلومات جديدة. ولكن جولدا أخبرت موشى ديان حتى بهذه الحكاية.

كان من يتلقى المادة المعلوماتية التي نرسلها يطالعها وينبهر بما فيها، وكان يعطيها أحياناً أهمية تفوق أهميتها الحقيقية. ولكن المادة القادمة من البحوث كانت دائماً تأتي بعدها لتضع الأمور في نصابها.

وأخيراً يبدو لى أن الوضع اليوم قد اختلف وإن أسلوب عمل المخابرات قد اختلف. صحيح أنه لم يتم بعد تعيين مستشار لرئيس الوزراء لشئون المخابرات، ولم يتم بعد تنفيذ كافة توصيات لجنة أجرانات. ولكن آلية العمل في الجهاز تضمن اتخاذ القرارات المتعلقة بالحرب والسلام وكذلك القرارات الهامة الأخرى على النحو السليم. ولم يعد في استطاعة مجلس الوزراء

المصغر للشئون الأمنية أن يلقي باللائمة على أجهزة المخابرات لأن المادة المعلوماتية أصبحت ترد إليه من عدة عناصر، منها وحدة البحوث الصغيرة الموجودة في الموساد ومنها وزارة الخارجية. وأعتقد أن هناك تغييراً قد حدث، وأتمنى أن يكون كل شيء أصبح منظماً ومنسقاً وسليماً.

النظرية والمفاجأة بقلم: اللواء إيلي زعيرا (٣)

نظراً لأنني سمعت من كثيرين أنني أنا الذي اخترعت نظرية العمل، فأود أن أخبركم كيف عرفت أن هناك نظرية. تسلمت العمل في المخابرات العسكرية في أكتوبر عام ١٩٧٢ بعد عامين قضيتهما في الولايات المتحدة. في ذلك الوقت جاءني كثيرون من المطلعين على الأسرار الدفينة وقالوا لي: "اسمع، إن لدينا سر دفين. لدينا مصدر يعمل معنا منذ نحو ثلاث أو أربع سنوات ويأتينا بمعلومات شديدة الأهمية. ورغم أنها معلومات سياسية في الأساس عما يحدث في القيادة المصرية، إلا أن أهم ما أتانا به هذا المصدر هو ما نطلق عليه (نظرية السادات)". وأريد أنؤكد على قولهم إن هذه نظرية السادات. وسألتهم: "وما هي هذه النظرية؟" وكان ردهم أن هذه النظرية تشتمل على بندين فحسب.

يقول البند الأول من النظرية: إذا لم تتسحب إسرائيل من سيناء فإننا سوف نحاربها ونستعيد سيناء. ويقول البند الثاني: لدينا شرطان مسبقان حتى نحارب. الشرط الأول، لا بد أن نحصل من الاتحاد السوفيتي على طائرات مقاتلة تكون قادرة على الطيران على ارتفاع منخفض والوصول إلى مطارات إسرائيل وقصفها حتى يمكن تحييد القوات الجوية الإسرائيلية. والشرط الثاني، لا بد أن نحصل من الاتحاد السوفيتي على صواريخ سكاد حتى نتمكن من ردع إسرائيل عن قصف العمق المصري.

أضاف رؤساء قطاع البحوث في المخابرات العسكرية أن لدينا تأكيدات من مصادر متعددة شديدة السرية بشأن الاتصالات بين المصريين والروس. وعرضوا على مثاليين. الأول جرى في عام ١٩٧٠. وسوف أقرأ لكم من المصدر: أكد الرئيس السادات مرة أخرى أنه يريد من الاتحاد السوفيتي مقاتلات قاذفة، حيث لا يسمح مدى مقاتلاتنا بالوصول إلى عمق إسرائيل، التي تقصف عمق مصر بطائرات الفانتوم". أما المثال الثاني، فكان قبل الحرب بنحو سنة وشهر، حيث سافر أنور السادات إلى الاتحاد السوفيتي للقاء بريجنيف. وقال بعدها: "في محادثاتنا المتتالية مع بريجنيف أكدت له أننا نريد أن يكون لدينا سلاح ردع يجعل العدو يتردد في مهاجمة العمق المصري. وقد كان ولا زال من الواضح أننا بدون سلاح رادع لن نتمكن مطلقاً من القيام بعمل عسكري".

عندما أخبرني رجال المخابرات بهذه المعلومة المثيرة للاهتمام سألتهم: كيف يتم توزيع هذه المعلومات؟ فقالوا إنها ترسل إلى جولدا ميثير أولاً ونحن نعلم أنها تعطئها بعد ذلك لمستشارها إسرائيل جاليلي، وأنها ترسل إلى موشيه ديان ومنه إلى المخابرات العسكرية. سألت: وماذا عن رئيس الأركان؟ قالوا لي: نحن لا نرسلها إليه. فقلت لهم: أرسلوا له نسخة اعتباراً من الغد. وبالفعل بدأ رئيس الأركان يتلقى نسخة هو الآخر. والحق أن ديان على الأقل كان يقرأ هذه المعلومات باهتمام شديد، إلى حد أنه كان يتصل بي في الصباح قبل أن أراه ويسألني: ما رأيك في هذا البند؟ وما رأيك في هذه المعلومة؟ وكنت أقول له إنني لم ألق هذه المعلومات بعد. وهناك أهمية شديدة لمعرفة رأي ديان في هذه المعلومات. وأود هنا أن أؤكد اتفاقاً مع تسفيكا ومع غيره ممن تحدثوا هنا في أن ديان كان شخصية رئيسية، وربما كان أهم شخصية في مجال الأمن الإسرائيلي. وبالطبع فإنكم تعرفون أن الساسة لا يقولون الحقيقة دائماً. ولكن في بعض الأحيان نسمعها منهم من خلال اعترافاتهم. وقد أدلى موشى ديان في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٦ باعتراف بشرط ألا يتم نشره، وبالفعل لم يتم نشره إلى أن وافته المنية. وبعد أن مات توجه البعض إلى ابنته ياعيل وسألوها: "هل توافقين على نشر هذا الاعتراف؟" فقالت: "نظراً لأهميته الشديدة فإنني أوافق". وكما هو الحال مع أشياء أخرى كثيرة يتم نشرها، فإن الناس لا تلتفت حتى لمضامين الكتب. ورغم ذلك أود أن أقرأ عليكم اعتراف موشى ديان بشأن النظرية. وهل هناك شيء أفضل من الاعتراف عندما يأتي من شخص يعرف أنه لن ينشر؟ سوف أقرأ عليكم بعض فقرات الاعتراف فحسب، لأن الاعتراف طويل جداً.

يقول ديان للشخص الذي كان يسجل حديثه: "اسمع، في حرب عيد الغفران ارتكبت أنا ورئيس الحكومة ووزير الدفاع والحكومة كلها وهيئة الأركان ورئيس الأركان والمخابرات العسكرية عدة أخطاء. وبشكل إجمالي يمكن أن أقول إننا تقبلنا ما جرى العرف على وصفه بأنه نظرية العمل".

كانت النظرية ترى أن مصر وسوريا لن تبدأ الحرب - وأنا أؤكد على هذا الكلام إلى أقصى الحدود - إذا لم يتم

الوفاء بشروط معينة يمكن أن تحدث توازناً مع تفوقنا العسكري. حتى أكتوبر ١٩٧٢ لم يكن تم الوفاء بهذه الشروط. ولذلك كان تقديرنا أن احتمال اندلاع الحرب في هذا الموعد محدود". وعندما يقول ديان تقديرنا فإنه يقصد الحكومة والجيش. ويواصل قائلاً: "أود أن أؤكد لك أن هذه النظرية لم تكن اختراعاً اخترعه عبقري مجنون في المخابرات العسكرية أو حتى رئيس المخابرات العسكرية أو وزير الدفاع. لقد تبلورت هذه النظرية بناءً على مادة معلوماتية مؤكدة للغاية، كنا نعتقد أنها أفضل ما يمكن الحصول عليه من معلومات".

ويقول ديان في موضع لاحق: "ما أريد أن أقوله إذن هو أننا طالما كنا نقبل هذه النظرية فلم يكن هناك بد من أن نقول إن احتمال اندلاع الحرب في أكتوبر ١٩٧٢ أو في أي موعد آخر هو احتمال محدود طالما لم يتم الوفاء بالشروط التي تحدثت عنها".

وأضاف ديان قائلاً: "لقد كان في استطاعتي أن أثبت أنني كثيراً ما حذرت رئيس الأركان قبل الحرب وطالبته بالاستعداد للحرب، ولكن لن يكون هذا الأمر منصفاً". وهنا أود أن أذكركم بأن موسى ديان قد دافع عن نفسه أمام لجنة أجرانات بالدفاع الذي قال في اعترافه إنه لن يكون منصفاً. لماذا؟ لأنه قال: "لأنني من الناحية المبدئية قبلت افتراض المخابرات العسكرية بأن احتمال اندلاع الحرب محدود طالما لم يتم الوفاء بالشروط".

سأواصل تلاوة الاعتراف لكم وسيكون مسلياً في الفقرة التالية: "هنا أقول إنني أخطأت ولكنني قمت بواجبي. فقد تلقيت المادة التي كانت لدى المخابرات العسكرية وقرأتها، ووافقت على تقديرهم. ورغم أنهم هم المسؤولون عن الخطأ، إلا أنني كنت أتفق معهم في الرأي، لذلك يمكن أن تصفني بأنني غبي، ولكنني قمت بواجبي".

ثم يقول: "إلى جانب هذا أود أن أقول شيئاً عن الحرب. في أي شيء أخطأ الجيش؟ لقد أخطأ في التخطيط للعمليات في حالة اندلاع الحرب، وذلك لأن التخطيط لا بد أن يكون موجوداً بغض النظر عن احتمالات الحرب".

يقول ديان في موضع لاحق من اعترافه: "إن الشيء الذي قد لا تفهمه، والذي لم يفهمه الجمهور ولم تفهمه لجنة أجرانات أيضاً هو أن ما وصفوه بأنه تقصير مخابراتي وركزوا عليه لم يكن له وجود على الإطلاق، فقد كان هناك خطأ ولم يكن هناك تقصير. لقد راجعت اللجنة العمليات العسكرية التي جرت في الأيام الأولى للحرب، ولكنها لم تلتفت إلى السؤال الأكثر أهمية وهو: هل كان التخطيط للعمليات من الجودة بحيث يلبي احتياجاتنا؟" انتهت الفقرة هنا.

سأقول لكم لمن قال ديان هذا. في عام ١٩٧٦ حاول ديان إصدار صحيفة ظلت تصدر لمدة ثلاثة شهور. وكان من بين العاملين بالصحيفة شاب في نحو العشرين، كان يساعده في إصدار الصحيفة. وقد أصبح هذا الشاب صحفياً الآن، غير أنه لم يكن كذلك في ذلك الوقت. وقد جلس الاثنان وتحدثا، ويبدو أن الشاب نجح في كسب ثقة ديان، الذي تحدث معه، وسجل هو حديثه كلمة بكلمة. وقد قرأت لكم نحو الربع من مساحة أسئلة تحتل صفحتين، بينما يمتد الاعتراف على أكثر من عشرين صفحة. ومن اللافت للنظر أن كثيراً مما قلته لكم قد نشر في الصحف، ولكن دون أن يلتفت إليه أحد.

ما الذي يحدث هنا؟ إن ديان يشهد على نفسه وعلى شركائه في السر الدفين داخل الحكومة، الذين تلقوا ما وصفه تسفيكا بأنه مادة معلوماتية. فلم يرق المقدم يونا بنديمان رئيس فرع مصر في المخابرات العسكرية أو أي شخص آخر بتفسير هذه المادة بأي طريقة. فقد تلقوا المادة المعلوماتية الخام، وقرأوا الوثائق التي كانت أساساً عبارة عن مادة سياسية وليس عسكرية، وكانت لديهم كافة الأدوات المطلوبة والخبرة والتأهيل الكافي لتقييم هذه المادة السياسية باعتبارهم من الساسة المخضرمين. وكانوا أكثر تأهيلاً من العسكريين فيما يتعلق بتحليل الموضوعات السياسية.

وبذلك فإن هذه النظرية كانت موجودة في دولة إسرائيل قبل أن أتولى منصب رئيس المخابرات العسكرية بثلاث سنوات. ولكنني قبلتها وآمنت بها وأتحمّل كافة المسؤولية عن ذلك. وكما صدقها ديان وجولدا فقد صدقتها أنا الآخر. فقد كنت أعتقد أن هذا المصدر موثوق به، وأن ما ورد في الوثائق التي قدمها لنا حقيقي.

ولكن لا يمكن للمرء أن يتجادل مع الحقائق. لقد صدقت النظرية وآمنت بها، وارتكبت خطأ فادحاً بأن أعطيت لها وزناً أكثر مما تستحق، وأكثر من المعلومات التي وردت إلينا عن الوضع الميداني. وسوف أتوسع في الحديث عن ذلك في موضع لاحق.

لقد أزعجني هذا الأمر بشدة بعد الحرب. فكيف كانت هناك هذه النظرية وكيف آمنّا بها من ناحية، بينما من ناحية أخرى عندما اندلعت الحرب لم تكن لدى مصر الطائرات ولا الصواريخ التي كانت تريدها كشرط للحرب. صحيح أنهم كانوا قد حصلوا على هذه المعدات ولكنها لم تكن قد دخلت الخدمة لأن إعداد أطقم مصرية لتشغيلها كان يتطلب أربعة أشهر أخرى من التدريب على أقل تقدير.

لقد ظللت أبحث هذا الموضوع لسنين طويلة. وفي عام ١٩٨٠ صدر حكم بالإعدام على الفريق الشاذلي الذي كان رئيساً لأركان الجيش المصري في حرب أكتوبر. ولماذا؟ إن الحكم بالإعدام على رئيس أركان ليس أمراً هيناً. لقد كان السبب شديد

الوضوح. فقد نشر دون تصريح كتاباً عن الفترة التي سبقت الحرب ووصف فيه ما حدث في تلك الفترة وما حدث في الحرب نفسها.

لقد هرب الشاذلي إلى البرتغال أولاً، وبعدها ذهب إلى الجزائر. ويبدو أنه حصل على عفو في النهاية. ولكن هذه ليست النقطة التي أريد الحديث عنها. عندما يتم الحكم على رئيس أركان بالإعدام لأنه ألف كتاباً، فلا بد أن تكون الأمور التي وردت في هذا الكتاب صحيحة. قرأت الكتاب باهتمام شديد. وقارنت بين المعلومات الواردة فيه وبين المعلومات التي جاءت من "المصدر" والتي صدقتها. لقد وردت من هذا المصدر الاستثنائي معلومة تفيد بأن الحرب توشك أن تندلع في ديسمبر ١٩٧٢. ولم تقع الحرب. ثم وردت معلومة من هذا المصدر الموثوق به، والذي صدقته تفيد بأن الحرب سوف تقع في أبريل ١٩٧٣. ولم تقع الحرب.

قرأت كتاب الشاذلي وكتاباً آخر نشره الفريق الجمسي، الذي كان رئيس العمليات في فترة الحرب. وأدركت من الكتابين شيئين، الأول أنه حتى أبريل ١٩٧٣ لم يتحدث أحد عن الحرب. وأقصد لم يتحدث أحد بجدية، فقد كانت هناك أحاديث، ولكن لم يكن هناك تاريخ محدد، وكانت هذه الأحاديث مجرد طموح.

كانت أول مرة تتلقى هيئة الأركان العامة المصرية أمراً ببحث إمكانية الحرب في تاريخ محدد في أبريل ١٩٧٣. فقد كتب الفريق الجمسي أنه لم يبدأ الاستعداد سوى في أبريل ١٩٧٣. فبدأ في عرض تواريخ ممكنة للحرب. وهنا قال له السادات: "لن نبدأ الحرب دون تنسيق مع السوريين. شكلوا لجنة للتنسيق". تم تشكيل اللجنة واجتمعت للمرة الأولى في الإسكندرية بشكل سري في الفترة ٢١-٢٣ أغسطس ١٩٧٣، قبل اندلاع الحرب بشهر ونصف. وهذا يعني أنه حتى قبل اندلاع الحرب بشهر ونصف لم يكن هناك من حدد أي تاريخ للحرب. وقد حددت اللجنة تاريخين، أحدهما في آخر سبتمبر والثاني في السادس من أكتوبر.

ولأسباب كثيرة لن أخوض فيها الآن اتفقت اللجنة على السادس من أكتوبر. لا بد إذن أن أذكر أننا تلقينا من أفضل مصادرها معلومة بأن الحرب توشك أن تنشب في ديسمبر ١٩٧٢، ثم في أبريل ١٩٧٣. ولم تحدث أي حروب. وهذا ما جعلنا نقول لأنفسنا أن النظرية صحيحة، فمن ناحية هناك مصادر عديدة ومنها أفضل مصادرها تحكي لنا عن تواريخ محددة للحرب، ومن ناحية أخرى يتضح لنا أمران، أولاً، أن الحرب لم تقع، وثانياً، أن الشروط التي تحدثت عنها النظرية لم تكتمل بعد. ورغم ذلك اندلعت الحرب في أكتوبر ١٩٧٣ بعد شهر ونصف فقط من اتفاق المصريين والسوريين على تاريخ الحرب.

قبل اندلاع الحرب بعام كانت لدينا خطة الحرب المصرية بكافة تفاصيلها، ولكن بدون تاريخ. وأثناء الحرب أمسكت بيدي الكتيب الذي أعدته المخابرات العسكرية في ٤٠ صفحة، وتبين لي أن عبور القناة تم حسب الخطة بنسبة ٩٩٪. كانت الخطة تتحدث عن مرحلتين. المرحلة الأولى مرحلة عبور القناة. والمرحلة الثانية مرحلة تطوير الهجوم إلى الممرات. وقد حكى الشاذلي في كتابه أنهم لم يدخلوا على الخطة سوى تعديل واحد صغير، وهو إلغاء المرحلة الثانية. فقد قرروا عدم تجاوز المسافة التي تحميهم فيها مظلة الصواريخ. وكان هذا قراراً ذكياً للغاية.

هنا سأحاول المقارنة بين ما كنا نعرفه وما لم تكن نعرفه. كنا نعرف خطة الحرب المصرية منذ عام ١٩٧٢. ووصلت الخطة إلى رئيس الأركان ووزير الدفاع وقائد المنطقة الجنوبية ورئيس عمليات الجيش. حيث أرسلناها إليهم في كتيب غير عادي ثبت أثناء الحرب أنه كان شديد الدقة.

بفضل الصور الجوية والتصنت رصدنا مكان كل دبابة وكل مدفع تقريباً على الجبهة المصرية. وكانت معلوماتنا عن انتشار الجيش المصري على امتداد الجبهة شديدة الدقة. وكان رجالنا يجلسون أمام الصور الجوية ويقومون برصد كل دبابة وكل مدفع يظهر فيها. وبمعنى آخر لم يكن لدينا أي نقص في المعلومات.

في الجبهة السورية لم تكن المعلومات بهذا القدر. ولكن في أبريل ١٩٧٣ وردت لنا معلومات أكدت أن الجهد الأساسي الذي سيبذله الجيش السوري لاستعادة هضبة الجولان سوف يجري في القطاع الجنوبي من الجبهة. وبالفعل فقد تصرف الجيش السوري أثناء الحرب على النحو المذكور.

في أبريل ١٩٧٣ عقد اجتماع لدى يتسحاق حوفي قائد الجبهة الشمالية في ذلك الحين حضره رئيس الأركان، وقال ضابط المخابرات بالمنطقة الشمالية في هذا الاجتماع ما يلي (وسوف أقرأ من ملحق تقرير لجنة أجزانات): "حتى شهر أبريل ١٩٧٣ كنا نعتقد أن الجهد السوري الأساسي سيكون في منطقة القنيطرة، أو أنه ستكون هناك جهود في منطقة القنيطرة وفي منطقة رفيد على حد سواء، وذلك استناداً إلى تقديراتنا وحدها. ولكن بعد ورود معلومات محددة طرحت إمكانية أن تتركز الجهود السورية في منطقة القطاع الجنوبي في رفيد". ومعنى هذا أن ضابط مخابرات القيادة الشمالية قال في أبريل ١٩٧٣ إننا كنا نعتقد كذا وكذا حسب التقديرات، أما الآن فإن لدينا معلومات تفيد بأن الجهد الأساسي سيكون في القطاع الجنوبي من الهضبة.

في تلك الجلسة التي انعقدت في ٢٦ أبريل ١٩٧٣ قال رئيس الأركان ما يلي: "قبل أن نقوم بتعبئة الاحتياط أو بأي خطوة

أخرى لابد أن يكون فوق الهضبة مائة دبابة. فإذا حان وقت الحرب وكانت لدينا مائة دبابة فوق الهضبة، كان الله في عون السوريين. كان رئيس الأركان يعتقد حسبما أشار موردخاي جازيت أن القوات النظامية وحدها ستكون كافية لاحتواء الهجوم السوري إلى حين استدعاء قوات الاحتياط، وهناك دعم لهذا الكلام من مصادر أخرى. واعتقد أن حوفي أيضاً كان يعتقد هذا، ولكنني هنا أنقل ما قاله رئيس الأركان.

ما الذي لم تكن نعرفه؟ وأنا مسؤل عن هذا الكلام. لم تكن نعرف أن السادات قد تخلى عن نظريته. واعتقد أنه تخلى عنها في أبريل ١٩٧٣ أو قبل ذلك. لم تكن نعرف أن السادات قد حدد هدف الحرب بأنه العبور فقط، ولذلك لم يتجاوز المساحة التي تكفل لقواته حماية مظلة الصواريخ. لم تكن نعلم أن المناورة المصرية كانت تهدف للتغطية على الحرب الوشيكة. ولم تكن نعرف تاريخ الحرب. ومن وجهة نظري كان أخطر ما في الأمور أننا لم تكن نعرف أننا لا نعرف. إذ أن أحد أسوأ الأشياء التي يمكن أن تواجه رئيس المخابرات العسكرية أن يكون لا يعرف ويظن أنه يعرف، ولا يعرف إلى أي حد ليس لديه معلومات. وبسبب هذا المصدر الذي كنا نثق به بشدة - وعندما أقول نثق أقصد جولدا وديان ورئيس الأركان وأنا - كنا نعتقد أننا سوف نعرف لو غير السادات رأيه. ويمكن أن أقول الكثير في هذا الشأن، ولكن هناك موضوع آخر أريد أن أتحدث فيه، وهو المفاجأة، وسوف أتحدث عنه باختصار.

أعتقد أن الكلام الذي سأقوله شديد الأهمية. ورغم أن لجنة أبحاث قد أخفته عن الجمهور بشكل منهجي إلا أنه لابد من معرفة الحقيقة في هذا الشأن. ففي الثالث من أكتوبر، قبل الحرب بثلاثة أيام، تحدث آرييه شاليف رئيس وحدة البحوث في المخابرات العسكرية أمام مجموعة من الوزراء الذين كانوا يعرفون سر "المصدر"، والذين كانوا يتلقون المعلومات الخاصة، وقال لهم ثلاثة أشياء سأقولها لكم باختصار. كان أول شيء قاله إن الجيش المصري والجيش السوري أصبحا جاهزين ومتأهبين للهجوم والدفاع، وبناء على النظرية العسكرية السوفيتية فإن هذا هو الوضع الذي ينطلقون منه لشن الهجوم. وكان الشيء الثاني أنه يعتقد أن مصر تقوم بمناورة، والشيء الثالث أنه يعتقد أن احتمالات اندلاع الحرب قليلة.

وفقاً لما قاله آرييه شاليف فإن المصريين والسوريين كانوا متأهبين وجاهزين على مستوى الانتشار الميداني للقيام بالهجوم في أي لحظة. ولكنه يعتقد أن احتمالات الهجوم قليلة. ولم يناقشه أحد في رأيه. وقبل الجميع هذا الرأي. لماذا؟ لأن الجميع كانوا شركاء في معرفة سر "النظرية". وكانوا يعرفون أن الشروط لم تتحقق بعد.

لم يتوجه أحد بسؤال لآرييه عن سبب اعتقاده أن احتمال اندلاع الحرب قليل. وقد كان كل هذا صحيح حتى الخامس من أكتوبر قبل يوم من الحرب. هنا حدث التحول الكبير في الليلة التي بين الخامس والسادس من أكتوبر. فقد تلقيت خلال الليل اتصالات هاتفية أبلغتني باختصار شديد بوجود حركة غير عادية لدى الروس في سوريا، حيث بدأوا في ترحيل نساءهم وأطفالهم من هناك.

في غضون ذلك سمعنا أن هناك طائرات قادمة من أوديسا إلى سوريا عن طريق رومانيا. كانت هذه تحركات غير عادية. وفي الصباح استدعيت قيادات وحدة البحوث في المخابرات العسكرية وسألتهم عن تفسير ذلك، فقالوا إنهم لا يعرفون وفسروا الأمر على أوجه متعددة. ولكنهم لم يكونوا يعرفون. والنتيجة أننا لم يكن لدينا أي تفسير لهذه الظاهرة.

في الساعة التاسعة عقدت جلسة لدى ديان. وسألني ديان عن سبب مغادرة الروس لسوريا. فقلت له إنني ليس لدي تفسير مؤكد ولكن هناك ترجيح مقبول وهو أن الروس إذا كانوا يقومون بترحيل أسرهم فهذا يعني أنهم يعتقدون أن هناك حرب وشيكة. وإذا كانوا يعتقدون ذلك فمعنى هذا شيء من اثنين، إما أنهم يعتقدون أننا سوف نبدأ هذه الحرب أو أنهم يعتقدون أن العرب هم الذي سيبدأونها. ولو كانوا يعتقدون أننا نحن الذين سنبدأ لهرولوا إلى الأمريكيين منذ مدة طويلة، ولهرول الأمريكيون إلينا.

فكر ديان في هذا الكلام (وهو مسجل في محضر الجلسة) وقال: "قد تكون المناورة التي تجري مجرد غطاء للحرب. وبذلك تكون احتمالات الحرب مرتفعة الآن. واعتقد أن هناك احتمال كبير لأن يكون هناك تخطيط لشن هجوم مصري سوري مفاجئ وأن هذه المناورة قد أتت للتمويه. وسوف أبعث برسالة إلى العرب". وقال إنها رسالة تحذير. تقول الرسالة إننا لن نهاجمكم. ونحن نعلم أنكم تخططون لهجوم مفاجئ. واعلموا أنكم لو قمتم بهجومكم المفاجئ فلن يكون مفاجئاً. وبعد أن قال لنا هذا بدأت مناقشة مثيرة للاهتمام بينه وبين رئيس الأركان حول كيفية تعبئة الاحتياط لو اندلعت حرب يوم السبت في عيد الغفران. وقال دادو رئيس الأركان: "كيف سنقوم بتعبئة الاحتياط. الإذاعة لا تعمل". وسأله ديان: "وماذا تقترح؟". فرد عليه بقوله: "أقترح تشغيل الإذاعة العسكرية وإذاعة تلاوة المزامير فيها". فقال ديان: "ولكن لابد أن تطلب من الجميع الاستماع إليها. وعندها سيتساءل الجميع، ولماذا تديعون تلاوة المزامير، وسيثير هذا الأمر الفزع".

لن أخوض هنا في مسألة إذاعة تلاوة المزامير أو غيرها، ولكني أؤكد أن هناك نقاش جاد حول الحرب التي ستقع يوم السبت وحول كيفية تعبئة الاحتياط قد جرى يوم الجمعة قبل الظهيرة. واللافت للنظر بشدة أن ديان طلب من دادو عدم تحريك القوات إلا إذا بدأت الحرب بالفعل. وهذا يعني حسبما قال موردخاي جازيت أن الفكرة التي كانت سائدة هي أننا في

يوم الجمعة لا نقوم بتعبئة الاحتياط! ولا بتحريك القوات طالما لم تبدأ الحرب. وقد كانت هذه فكرة ديان. بعد ذلك بساعتين عقدت جلسة للحكومة. وشارك في هذه الجلسة أربعة أو خمسة من رؤساء الأركان السابقين. كان الخامس من وجهة نظري هو يسرائيل جاليلي الذي كان رئيس أركان منظمة الهاجاناه، وهو لا يقل في نظري عن أي رئيس أركان. وبدأ نقاش عرضت فيه كافة المعلومات المتاحة. وشرحت كافة المعلومات التي تعزز رأيي وأكدت أن جيوش مصر وسوريا أصبحت جاهزة ومستعدة للهجوم. ولكنني لا زلت أقول إنه حسب النظرية لا يزال احتمال الهجوم في رأيي احتمال منخفض.

ولكن ديان الذي كان يعتقد أن هناك هجوم مفاجئ وشيك طلب تصديقاً من رئيسة الوزراء على إرسال رسالة تحذير إلى مصر عن طريق الولايات المتحدة. وفي وقت لاحق بحثت الحكومة كيفية التصرف إذا وقعت حرب في عيد الغفران. وقال يسرائيل جاليلي إن الأمر يتطلب قراراً حكومياً. واتخذت الحكومة قراراً بأنه في حالة اندلاع حرب في عيد الغفران فإن هناك تفويض لجولدا وديان لبدء عمليات حربية. فتخيلوا أنه في يوم الجمعة السابق على الحرب، كان هناك خوف محدد من وقوع حرب. وقال ديان إن هناك احتمال لهجوم مفاجئ، وقلت أنا إنهم قد يهاجمون في أي لحظة. وكان قرار الحكومة رداً على ذلك أنه في حالة اندلاع الحرب هناك تفويض لجولدا وديان بالتصرف.

قال ديان في تلك الجلسة التي عقدتها الحكومة (وسأقرأ لكم من محضر الجلسة) ما يلي: "بالنسبة لاستعدادات الطرف الآخر وتسليحه، فإن لديهم القدرة على بدء الهجوم خلال بضع ساعات. فهم بجوار القناة وعند هضبة الجولان ويمكن أن يصدر إنذار مبكر. ولكن إلى أن يصلنا هذا الإنذار سيكون الهجوم قد بدأ".

معنى هذا أن الحكومة قد اجتمعت بمشاركة وزير الدفاع. وأن وزير الدفاع قال إنهم من الممكن أن يشنوا هجوماً مفاجئاً، وأن احتمال الهجوم كبير، وسوف أرسل لهم تحذيراً. وأن الحرب قد تبدأ غداً. فتعالوا نقرر أنكم تعطونني أنا وجولدا تفويضاً بالحرب. ولكن أحداً من المشاركين لم يقترح تعبئة قوات الاحتياط.

أعتقد أنني عرضت صورة واضحة من عدة جوانب. فقد أوضحت أولاً مصدر النظرية، وثانياً قلت إنني كنت أصدق هذه النظرية حتى آخر لحظة. وثالثاً توقف ديان عن تصديق هذه النظرية اعتباراً من يوم الجمعة. وكان واضحاً أن هناك احتمال لحدوث هجوم مفاجئ. وقام في نفس اليوم ببحث إمكانية استدعاء الاحتياط في عيد الغفران. وقررت الحكومة إعطاء تفويض بالحرب في عيد الغفران لדיان وجولدا. والخلاصة، أين حدث أكبر خطأ في رأيي. لم يكن الخطأ في إيماني بالنظرية، ولكن كان في عدم الالتفات إلي ما يحدث ميدانياً بالقدر الكافي، والالتفات بدلاً من ذلك لتقدير الموقف فيما يتعلق بالنوايا حتى لو كانت المعلومات عن هذه النوايا واردة من مصدر يعتبر موثقاً به للغاية.

ماذا يمكن أن نتعلم من حرب أكتوبر فيما يتعلق بالإنذار الاستراتيجي؟ ما الذي نتعلمه من إستراتيجية القرن الماضي فيما يتعلق بالمفاجأة الاستراتيجية؟

يبدو أن هناك حروب كثيرة قد بدأت فجأة خلال القرن الماضي، ولم تفشل المفاجأة في أي مرة. وتشهد تجربة الجيش الإسرائيلي في المرتين اللتين بدأ فيهما الحرب فجأة في حرب سيناء ١٩٥٦ وفي حرب ١٩٦٧ على أن تحقيق عنصر المفاجأة في الحرب ليس أمراً صعباً.

من هنا فلن يكون عملياً الاعتماد على الإنذار الإستراتيجي. أضف إلى هذا أنه لا توجد سابقة تحقق فيها النجاح نتيجة للاعتماد على الإنذار الاستراتيجي. وسيكون من الخطورة بمكان بناء نظرية الأمن على إنذار استراتيجي بشأن النية الحربية.

إن الحل العملي ليس في البحث عن وسيلة للحيلولة دون حدوث مفاجأة عن طريق ضمان وجود إنذار مبكر قبل الحرب ببضعة أيام؛ يسمح باستدعاء الاحتياط ودفعه للجبهة. وألحل العملي هو أن يعتمد الدفاع عن الدولة أثناء مراحل الحرب الأولى على الجيش النظامي وحده، دون تغيير في حجمه. ولتحقيق ذلك لابد من إحداث تغيير جذري في تكوين وتجهيز الجيش النظامي. حيث تتيح لنا المعدات العسكرية الحديثة تجهيز جيش نظامي يكون في استطاعته احتواء هجوم مفاجئ، ولا سيما طالما ظلت إسرائيل تواجه خطر الحرب في الجبهة الشرقية وحدها.

الهوامش:

- ١- اللواء احتياط تسفى زامير: الرئيس الأسبق لجهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد).
- ٢- اللجنة التي تولت التحقيق فيما عرف في إسرائيل باسم التقصير، وهو الاسم الذي أطلقه الإسرائيليون على الهزيمة التي لحقت بهم في حرب أكتوبر، ويكاد يكون مماثلاً لاسم النكسة الذي أطلقه المصريون على الهزيمة في حرب يونيو ١٩٦٧.
- ٣- اللواء إيلي زعيرا: رئيس المخابرات العسكرية الأسبق في إسرائيل.

نص خطاب رئيس الحكومة الإسرائيلية "يهود أولمرت" في الذكرى السنوية لوفاة "دافيد بن جوريون"

المصدر: صحيفة هآرتس ٢٧/١١/٢٠٠٦

لقد مدد بن جوريون يد السلام للشعوب العربية، عند خروج دولة إسرائيل إلى النور.. صنعنا أن اليد عادت خالية آنذاك، إلا أنها لازالت ممدودة.. إنتى أمد يد السلام لجيراننا الفلسطينيين، على أمل ألا تعود خالية.

يجب على كل حكومة في إسرائيل أن تسعى للسلام، ذلك ما قاله بن جوريون، وهو ما أتضامن معه فيه من أعماق قلبي: كنت سأعتبر ذلك إثماً كبيراً، ليس في حق جيلنا وإنما في حق الأجيال القادمة، لو لم نبذل من جانبنا كل ما في وسعنا من أجل التوصل لتفاهم متبادل مع جيراننا العرب، ولكان من حق الأجيال القادمة أن تتهم حكومة إسرائيل بأنها أضاعت فرصة السلام...

لم تكن هذه أيام سهلة بالنسبة لدولة إسرائيل ولشعب إسرائيل. ومن الطبيعي أن تأتي في هذا اليوم إلى هذا المكان الذي يرقد فيه أبو أمتنا المتجددة، من أجل أن نستمد الوحي منه.

لو كنت أستطيع اليوم أن أطلب نصيحة بن جوريون، أعتقد أنه كان سيطلب مني أن أقول ما كنت أود قوله اليوم لجيراننا الفلسطينيين.

أنتم أيها الشعب الفلسطيني، في الجنوب والشرق، في قطاع غزة، في يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، تقفون الآن أمام منعطف تاريخي... الإرهاب، العنف، القتل والهجوم المستمر على مواطني دولة إسرائيل، قد يؤدون إلى تصريتنا من موجة جديدة ومؤلمة من العنف الفظيع.. التعصب الأعمى من جانب تنظيماتكم الإرهابية: حماس، الجهاد، كتائب شهداء الأقصى وتنظيمات أخرى، لم يقريكم من تحقيق الهدف الذي أقتنع بأن الكثيرين منكم يتطلعون إلى تحقيقه، وهو إقامة دولة فلسطينية تضمن لكم المستقبل والازدهار، وتعيش في حسن جوار إلى جانب دولة إسرائيل. واليوم، ونحن على شفا اتخاذ قرارات قد تقودنا إلى

سيادة رئيس الدولة، سيدتي رئيسة الكنيست، السيدة داليا إيتسيك، أعضاء حكومة إسرائيل، أعضاء الكنيست، مقاتلو إسرائيل على مر الأجيال، قادة دولة إسرائيل، عائلة بن جوريون... الجمهور المحترم،

قبل ثلاث سنوات ألقى هنا كلمة بصفتي القائم بأعمال رئيس الحكومة آنذاك، آريئيل شارون، واقتبست من خطاب دافيد بن جوريون، الذي ألقاه عام ١٩٤٩ خلال نقاش بالكنيست حول اتفاقات وقف إطلاق النار، وجاء فيه: "...عندما واجهنا مسألة أرض إسرائيل الكاملة دون الدولة اليهودية، أو دولة يهودية دون الأرض الكاملة، اخترنا دولة يهودية وتخلينا عن فكرة الأرض الكاملة".

كان هذا الاختيار التاريخي لبن جوريون في نهاية حرب الاستقلال (حرب ١٩٤٨) مؤلماً، لكنه شجاع.. يمزق القلب، لكنه واعٍ.. فقد ظلت أجزاء غالية من الوطن، مهد تاريخنا، وراء الحدود، غير أنه تم ضمان أغلبية يهودية في دولة إسرائيل.

لقد مر الوقت، وتمخض عن العداء والإرهاب العربي حروب أخرى. وقبل أربعين عاماً واجهت إسرائيل مرة أخرى خياراً صعباً: أناس كثيرون وأخياراً لئولاً بلواء أرض إسرائيل الكاملة. وفي ذلك الوقت، قرر بن جوريون، كسياسي متقاعد، أنه ينبغي على إسرائيل التنازل عن معظم الأراضي التي احتلتها في حرب الأيام الستة (حرب ١٩٦٧) مقابل سلام حقيقي. ومنذ ذلك الحين، تدفقت مياه كثيرة، وظهرت حقائق على أرض الواقع، وتم التوقيع على اتفاقيات، وتغيرت الساحتين الدولية والإقليمية تماماً.

لم ينته الصراع الدموي مع الفلسطينيين عند هذه النقطة، وظلت وجهة نظر بن جوريون سارية، وكانت توجه - مع إدخال بعض التعديلات الضرورية - موقف حكومات إسرائيل، حتى في سياستها السلمية الآن.

مواجهة مؤلمة ومستمرة، أتوجه إليكم من هنا، بجوار مرقد دافيد بن جوريون، وأعرض عليكم السير في طريق آخر.. طريق يعرض فرصة لمستقبل مختلف، لكم ولنا.

لقد بدأنا ذلك أول أمس.. بدأنا هذا الطريق، وأتمنى أن يقودنا إلى إحراز تقدم نحو الهدف الذي ننشده جميعاً - السلام والهدوء والثقة المتبادلة. إننا على استعداد للسير في هذا الطريق، بل ونرغب في ذلك ونود مواصلة السير فيه، حتى نصل إلى الحل المنشود.

لو تشكلت لديكم حكومة جديدة تكون ملتزمة بتطبيق مبادئ اللجنة الرباعية، حكومة تطبق بنود خريطة الطريق وتخرج عن جلعاد شاليط، سأقترح على أبو مازن اللقاء الفوري بهدف إجراء حوار حقيقي، مفتوح، صادق وجاد بيننا وبينكم.

في إطار هذا الحوار، وبموجب خريطة الطريق، يمكننا إقامة دولة فلسطينية مستقلة، دائمة ذات امتداد إقليمي في يهودا والسامرة (الضفة الغربية).. دولة تكون ذات سيادة كاملة وحدود واضحة.

في إطار ذلك، سيتم ترسيم حدود دولة إسرائيل، بموجب ما ذكره الرئيس بوش في خطابه الموجه لرئيس الحكومة أريئيل شارون، والذي أرسله يوم الرابع عشر من أبريل ٢٠٠٤.

إنني أدرك مدى اهتمام مجتمعكم الفلسطيني بقضية السجناء، وأعلن أنه مع الإفراج عن جلعاد شاليط سليماً معافى، وعودته إلى عائلته، فإن حكومة إسرائيل ستكون على استعداد للإفراج عن سجناء فلسطينيين كثيرين، حتى من حكم عليهم بالسجن لفترات طويلة.. وذلك من أجل زيادة الثقة بيننا، وحتى نثبت أننا نمد أيدينا فعلاً بالسلام الحقيقي.

لقد قلت ذلك قبل اختطاف جلعاد شاليط، ولم أغير رأيي. إنني أدرك أن الكثير من الأسر الفلسطينية تنتظر اللحظة التي سيعود فيها أبنائهم إلى ديارهم.. بالإمكان أن يكون ذلك اليوم قريب للغاية.

إنني واثق من أن الكثيرين منكم قد تعبوا من الثمن البشع الذي تدفعونه بسبب التعصب العنيف من جانب التنظيمات الإرهابية التي تبسط نفوذها على شوارعكم.

إنني واثق من أن الكثيرين منكم يأملون في فتح صفحة جديدة في التاريخ الدموي للعلاقات بيننا. إن وقف الإرهاب والعنف سوف يتيح لنا أن نعرض عليكم سلسلة طويلة من الخطوات التي سيتم تنفيذها بالتسويق المتبادل، من أجل التخفيف على الجمهور الفلسطيني، ومن أجل تحسين مستوى معيشتهم، الذي تضرر بسبب حاجتنا لإتباع وسائل دفاعية في مواجهة الإرهاب القادم من جهتكم.

سوف نقل عدد كبير من الحواجز، وسوف نزيد من حرية الحركة في المناطق (الفلسطينية)، وسنخفف القيود المفروضة على حركة الأشخاص والبضائع في الاتجاهين،

وسنعمل على تحسين ظروف تشغيل المعابر الحدودية المؤدية لقطاع غزة، وسوف نفرج عن أموالكم المجمدة لدينا، حتى نخفف من وطأة الأزمة الإنسانية التي تثقل كاهل الكثيرين منكم.

يمكننا مساعدتكم في وضع خطة للإصلاح الاقتصادي في قطاع غزة وبعض أنحاء يهودا والسامرة (الضفة الغربية). يمكننا مساعدتكم في إقامة مناطق صناعية بالتعاون مع المجتمع الدولي توفر فرص عمل ودخل، وتحقيق العيش بكرامة، دون الاستمرار في الارتباط بالبنى التحتية داخل حدود إسرائيل. وسوف نستعين من أجل تحقيق هذا الهدف بالدول العربية المجاورة التي تسعى لحل الصراع بيننا بطرق سلمية، ومن بينها: الأردن، مصر، السعودية وباقي دول الخليج، وذلك من أجل دعم المفاوضات المباشرة بيننا والاستفادة من خبراتهم في هذه المفاوضات.

إن الأصوات التي سمعناها من تلك الدول التي تنادي بضرورة الاعتراف بدولة إسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها، على سبيل المثال، ما ورد في أجزاء من المبادرة السعودية، تعتبر إيجابية، ونعتزم بذل جهود كبيرة من أجل توطيد العلاقات مع هذه الدول وتقوية مساندتها للمفاوضات الثنائية المباشرة بيننا وبين الفلسطينيين.

إنني أتابع بتقدير شديد المحاولات الجادة من جانب تلك الدول من أجل وقف العنف في المنطقة، واحترام رغبتها الصادقة في خلق مناخ جديد بيننا وبينهم، بهدف المساعدة في حل الصراع. ولعل الظروف الدولية التي نشأت، الآن في هذا التوقيت تحديداً، تتيح لكم ولنا أيضاً اتخاذ خطوة جريئة تتعلق بحلول وسط مؤلمة، والتخلي عن الأحلام التي كانت تغذي أساطيرنا القومية لسنوات طويلة، وبداية فصل جديد مليء بالأمل في حياة جيدة لنا جميعاً.

نحن دولة إسرائيل نوافق على إخلاء أراض كثيرة والبلدات التي أقمناها عليها. وهذا أمر صعب للغاية علينا يمزق قلوبنا، لكننا سننجزه مقابل سلام حقيقي.

يجب عليكم الالتزام بوقف العنف والإرهاب والرغبة في المساس بمواطني دولة إسرائيل في الجنوب، والوسط والشمال، والاعتراف بحقنا في العيش بسلام وأمن بجواركم، والتخلي عن المطالب الخاصة بتطبيق حق العودة. وهذا هدف سليم وهدف طبيعي.

لو أبدتكم الإصرار والعزيمة على فعل ذلك، ستجدوننا على أهبة الاستعداد. إن دولة إسرائيل هي دولة قوية.. لا تسمحوا للخلافات في الرأي والخصومات السياسية والجو الكئيب الذي نشيعه أحياناً أن يضللكم.

سوف نتولى هذا النضال العنيف، حتى لو طال وحصد أرواح ضحايا كثيرين.. حتى لو كان يتعلق بتنازلات بشأن الحياة والمستوى المعيشي، فقد أثبتت دولة إسرائيل قوتها في السابق، وهي على استعداد لإثباتها اليوم أيضاً.

لا تضعوننا أمام محك آخر يسبب لكم، ولآلاف

الضحايا، الدمار، ويقودنا إلى أزمة وحالة من اليأس. لا يمكننا تغيير الماضي، ولا يمكننا إعادة ضحايا الصراع من الطرفين.. لن تجدى الخطابات، كما أن تبادل الاتهامات هو مجرد لعبة كلامية بلا غاية ولا أمل. إننا لن نسوى الحسابات التاريخية ولن نمحو الواقع الذي ترسخ.

كل ما يمكننا فعله اليوم هو الحيلولة دون وقوع مآسى جديدة، وأن نورث الجيل الشاب أفق واضح وأمل في حياة أخرى.. دعونا نستبدل العداء وشحن أنصال السيوف

بالاعتراف والاحترام المتبادلين وبالحوار المباشر. من هنا، من أقصى مكان في هذا الجرف الذي يطل على الطبيعة القديمة لوادي تسيون (صهيون) - المكان الذي اختار بن جوريون وزوجته بولا أن يرقدا فيه للأبد - تملأ بصوت حازم وواضح دعوة دولة إسرائيل للسلام.. لعلها تجد صدى ورداً إيجابياً. ليكن ذكرى دافيد وبولا بن جوريون مباركة.

تعليق على خطاب أولمرت: أفق سياسي واضح

افتتاحية هآرتس ٢٨/١١/٢٠٠٦

"جلعاد شاليت" .. وفقط عندما يتم تلبية هذه الشروط، سأعرض على أبي مازن الالتقاء على الفور بهدف إجراء حوار".

الواقع أن "خطاب ساديه بوكير" يضع مجدداً تسوية النزاع مع الفلسطينيين على رأس جدول الأعمال القومي لإسرائيل. يستحق أولمرت كل الإشادة على قراره إطلاق مبادرة سياسية، استكمالاً لوقف إطلاق النار الذي تم الإعلان عنه نهاية الأسبوع في قطاع غزة. الاتجاه الذي رسمه هو تعبير عن آمنيات أغلبية كبيرة بين أوساط الشعبين - هكذا يتضح من استطلاعات رأى وبحوث عديدة.

أظهر "أولمرت" أمس، أن إدخال أفنجدور ليبيرمان إلى حكومته لم يسدل الستار على استئناف المسيرة السياسية. وسيخفف استعداداته لأخذ زمام المبادرة أيضاً الصعق على إسرائيل كي تقبل بمبادرة سياسية مفروضة من الخارج. هذا هو الوقت لدعوة الفلسطينيين ولؤيديهم في العالم العربي للاستجابة للتحدي الذي وضعه أمامهم رئيس الحكومة، والقدوم إلى طاولة التفاوض. صحيح أن عروض أولمرت ما تزال بعيدة عن المطالب الفلسطينية، وصحيح أيضاً أن أولمرت حافظ على غموض مقصود في مسألة القدس وفي قضايا أخرى من قضايا التسوية الدائمة. لكن هذه هي طبيعة المساومة الدبلوماسية، التي تبدأ من مواقف بعيدة وتحاول التوفيق بينها.

إن البديل الذي وصفه رئيس الحكومة، من تجديد للعنف الذي سيوقع العديد من الضحايا، سيضر فقط بالطرفين وسيبعدهما مرة أخرى عن فرصة العيش بشكل طبيعي. ومن ثم، سيكون من الخسارة الكبيرة أن تضيع الفرصة الجديدة للتسوية، التي نشأت مع وقف إطلاق النار وخطاب "ساديه بوكير".

بعد فترة من الظلمة وافتقاد السبيل في أعقاب الحرب في لبنان، أبدى رئيس الحكومة، "يهود أولمرت"، أمس خطأ سياسياً واضحاً وصافياً. ففي خطاب ألقاه في "ساديه بوكير"، في الذكرى الرسمية لـ "دافيد بن جوريون"، عاد "أولمرت" إلى الموقف الذي عرضه مع تشكيل حكومته، والذي مفاده أن الانسحاب من الشق الأكبر من المناطق (الفلسطينية)، وإخلاء معظم المستعمرات وإقامة دولة فلسطينية مستقلة أمور حيوية لوجود دولة إسرائيل على المدى الطويل، أو هي، كما قال في الماضي، "طوق النجاة للصهيونية".

في حديثه للشعب الفلسطيني، عرض "أولمرت" إجراء مفاوضات حول إقامة دولة فلسطينية ذات تواصل جغرافي في الضفة الغربية، لتحديد حدودها طبقاً لـ "خطاب بوش" إلى آريئيل شارون في شهر أبريل عام ٢٠٠٤. صحيح أن الخطاب الرئاسي الأمريكي صيغ بلغة غامضة، ولكن طبقاً للتفسير الإسرائيلي، فإنه يعترف بضم الكتل الاستيطانية الكبرى لإسرائيل، ويرسم الحدود تقريباً طبقاً لمخطط الجدار الفاصل.. كما وعد "أولمرت" بإخلاء مناطق عديدة وتجمعات سكانية أقمنا فيها، وبإطلاق سراح أسرى حكم عليهم بفترات سجن طويلة وباتخاذ سلسلة من الخطوات التي تبني الثقة مثل فتح معابر، إزالة حواجز والإفراج عن أموال. وتحدث "أولمرت" عن دور الدول العربية في مواكبة المفاوضات، وأثنى على "أجزاء إيجابية" في مبادرة السلام السعودية.

عرض "أولمرت" على الفلسطينيين مجموعة من الشروط لبدء المفاوضات: تشكيل حكومة جديدة في السلطة، تكون ملتزمة بمبادئ الرباعية، وعلى رأسها الاعتراف بإسرائيل، وتطبيق "خريطة الطريق"، التي تدعو إلى نزع سلاح المنظمات الإرهابية، وإطلاق سراح الجندي

شهادات

شفرة رابين

بقلم: إيلان نيجف - ترجمة وإعداد: مدحت الغريابي - يديعوت أحرونوت ٢٠٠٦/١١/٢

نوعاً ما . يتناول جولدشتاين في كتابه الجوانب الشخصية لرئيس الوزراء الراحل، ويقول: "اكتشفت أن رابين كان طفولياً، ضيق الصدر. ولم يقتصر ضيق صدره على كراهية الأغبياء والحمقى، بل كان لا يحب أيضاً الآراء التي لا تتفق مع رأيه. وخلافاً للانطباع المأخوذ عن شمعون بيريس باعتباره مخادعاً بينما رابين هو السياسي الذي يُغلب المصلحة العامة على أي اعتبارات شخصية، يتضح أن رابين كان مخادعاً كبيراً. لقد أحببت رابين جداً، ومازلت أحبه، ولكن لدى مأخذ عليه في كل المجالات، سواء فيما يتعلق بشخصيته أو أدائه لمهام منصبه".

♦♦ في ظل روزا:

"من وقت لآخر، كانت روزا تخرج في رحلات علاجية في أماكن مختلفة بإسرائيل، بما في ذلك المنتجعات، ولكن بلا فائدة. السيدة الصغيرة ابنة الثامنة والأربعين استسلمت لمرض السرطان. قبل وفاتها، قال نحميا (نحميا رويبتشف هو والد إسحاق رابين) لإسحاق - الذي استدعى على عجل إلى مستشفى "هداسا" في تل أبيب - أن والدته تعاني من آلام قاسية، ولذا فالموت سيريحها من العذاب. ولكن لم يكن في ذلك ما يواسي رابين".

(موت روزا رابين، من كتاب "رابين- سيرة ذاتية")

اختار البروفيسور جولدشتاين أن يبدأ قصة حياة رابين بـ "روزا الحمراء" - والدة إسحاق رابين، التي سُميت بهذا الاسم نظراً لإيمانها الراسخ بالاشتراكية السوفيتية - وذلك لأنها كانت على ما يبدو أكثر الشخصيات التي تركت أثراً في حياة رابين.. فقد كانت "روزا الحمراء" امرأة متناقضة، مهندسة في تخصصها، ونشأت في بيت حسيدي، إلا أنها تحولت

ثلاثة أعيرة نارية في الرابع من نوفمبر ١٩٩٥، كلّفت رئيس الوزراء "إسحاق رابين" حياته، وغيّرت وجهة أمة بأسرها. ورغم ذلك، فقد كان لها تأثير إيجابي، حيث إنها خلّدت رابين في الوعي الجمعي كزعيم صاحب ميراث حافل يكاد يصل إلى مرتبة المقدسات القومية.

ولكن المؤرخ يوسى جولدشتاين، الذي سينشر الشهر القادم كتاب جديد يتناول السيرة الذاتية لرابين (١) بشكل موسع، لديه رأي آخر. ويحدد البروفيسور جولدشتاين في كتابه أن "صورة رابين قد تعرضت للتحريف خلال الأعوام الأحد عشر التي تلت مقتله، حيث يتم تصويره كالشمس المضيئة للشعوب، الرجل الذي جعل من إسرائيل دولة أخرى، الرجل الذي أدخل قيماً جديدة في الثقافة السياسية، والذي لديه تراث ينبغي السير على ضوئه. ولكن بالنسبة لي، هذه ليست الحقيقة. فلا يوجد ميراث حافل لرابين، وكل ما في الأمر أنه أسهم بنصيبه بشكل لا يزيد عن أي من رؤساء الحكومات السابقين الذين سقطوا في دائرة النسيان. وربما تكون النهاية المأساوية لرابين هي التي أكسبته الصورة التي أصبح عليها الآن. المجتمع الإسرائيلي، الفارق في أحاسيس الذنب تجاه زعيمه الذي قتل على أيدي شخص مقيت من أفرادهم، لم يستطع فعل شيء سوى أن يجعل صورته كاملة دون أي عيوب".

يعترف جولدشتاين - الذي يبلغ من العمر ٥٩ عاماً والخبير في التاريخ الصهيوني والذي كتب السيرة الذاتية لكل من أحاد هعام (٢) وأوسيشكين (٣) وليفي أشكول - أن فكرة كتابه هذا جاءت من منطلق تقديره الكامل لرئيس الوزراء الراحل. وخلافاً لكثير من كتاب السيرة الآخرين، الذين تأثرت كتاباتهم وأبحاثهم بحبهم لرابين الزعيم، جاء كتاب جولدشتاين مختلفاً

إلى معادية للدين، وهاجرت إلى أرض إسرائيل (فلسطين) عام ١٩١٩. وبعد فترة وجيزة، انضمت إلى منظمة "الهجاناه"، والتقت هناك بنحميا روبيتشف (رابين) ووقعت في حبه. يقول جولدشتاين: "كلاهما كانا غريب الأطوار. كما أنهما لم يكونا في سن الشباب عند زواجهما، فهي كانت في الواحدة والثلاثين من عمرها، بينما كان هو في الخامسة والثلاثين".

طفلهما الأول، رابين، وُلد في القدس في الأول من مارس عام ١٩٢٢، وبعد ذلك بثلاث سنوات، وُلدت الطفلة راحيل في تل أبيب. كان نحميا يعمل في شركة الكهرباء، وقد كان رجلاً هادئاً وانطوائياً. أما الزوجة روزا، فقد كانت تعمل مديرة للحسابات، ولكنها كرسَتْ جُل وقتها للنشاطات السياسية. وحتى مرض القلب الذي كانت تعاني منه والنوبات الحادة التي كانت تفزع طفلها، لم يمنعاها من مواصلة نشاطاتها، حتى إنها كانت تنغيب عن المنزل لأيام وساعات طويلة. وقد اضطر إسحاق وراحيل لرعاية أنفسهما منذ سن صغيرة. وقد قالت راحيل رابين ذات مرة أنها وأخيها كثيراً ما كانا يطلبان الطعام من الجيران، لا للحاجة، بل لعدم وجود من يُجهِّز لهما الطعام، كما قالت إنهما كانا يختاران بأنفسهما المدرسة التي يتعلمان فيها.

بالإضافة إلى مرض القلب، أصيبت روزا رابين بسرطان الأمعاء الغليظة. رأى إسحاق وراحيل أهمها وهي تذبل أمام أعينهما. كان إسحاق في الخامسة عشرة من عمره عندما توفيت والدته. كان شاباً منطوياً، حارس مرمى ممتاز وتلميذ متفوق في مدرسة "كادوري" الزراعية. يقول جولدشتاين: "كان موت والدته كارثة قاسية جداً على رابين. لقد كانت بالنسبة له رمزا للقوة والصمود. ورغم أنها كانت تغيب كثيراً عن البيت، فقد كانت تمثل بالنسبة له كل معاني الاستقرار، وقد ورث رابين منها الجانب الاجتماعي (يقصد حبها للنشاط الاجتماعي).. بعد وفاة الزوجة، حاول نحميا ملأ الفراغ الذي تركته في البيت، فكان يغسل ويعد الطعام لطفليه كل يوم، ولكنه كان كثيراً ما يخرج للعب الشطرنج مع أصدقائه، تاركاً طفليه وحدهما في البيت".

لاحظ جولدشتاين في كتابه أن رابين كان يعاني من مشكلة في القراءة، وكان يتلعثم. يقول جولدشتاين: "لم أقرأ عن ذلك في أي مكان، ولكن كان واضحاً لي أن رابين كان يعاني من مشكلة في القراءة. في سنواته الدراسية الأولى، يكاد يكون رابين لم يتعلم شيئاً. لم يكن يستطيع القراءة، وكان فتى غريب الأطوار. ولكنه استطاع بعد ذلك التغلب على هذه المشكلة وبدأ يقرأ الكتب بنهم. وبعد ذلك، ناضل رابين من أجل تعلم

اللغة الإنجليزية، التي أخذ دروساً خصوصية فيها لسنوات طويلة، ولكنه رغم كل ذلك كان يجد صعوبة فيها. خلال السنة الأولى لتوليّه منصب سفير إسرائيل في الولايات المتحدة، كان يرفض المقابلات الصحفية، حتى لا يبدو متلعثماً. ورغم ذلك، فإن الحديث يدور عن إنسان شديد الذكاء ومثقف إلى أبعد درجة وتلميذ موهوب".

أما ليثا، التي تعرف عليها بعد ذلك ببضع سنوات، فيأتي وصفها في الكتاب على أنها كانت: "فتاة فارعة الطول، تلميذة متفوقة جداً، لديها الكثير من المعجبين، تنتمي إلى أسرة ثرية وتتحدث الإنجليزية برصانة". وفي صيف ١٩٤٨، بعد زواج شقيقته بثلاثة أيام فقط، تزوج رابين من ليثا. وكان العريس يريد إقامة حفل زفاف متواضع، غير أن العروس ووالديها حسموا الأمر لصالح احتفال صاخب، ولم يكن أمامه سوى الموافقة.

يقول جولدشتاين في كتابه أن كل المراحل المؤثرة في حياة رابين جاءت صدفة، أي بسبب الظروف وليس من خلال التخطيط: فعندما وضع رابين خطاً عملية لدراسة هندسة المياه في جامعة باركلي بكاليفورنيا - وذلك في إطار المنحة التي حصل عليها من حكومة الانتداب - جاءت الحرب العالمية الثانية، فقرر البقاء والانضمام إلى البالمخ. وبذلك انجذب رابين إلى العمل الأمني الذي أفتى فيه عمره، بدايةً بالبالمخ، مروراً بالجيش الإسرائيلي وانتهاءً برئاسة الحكومة.

يقول جولدشتاين: "كل المناصب العامة التي تولّاها، لم تكن مخصصة له من البداية. سمات رابين الشخصية كانت مختلفة كلية عن السمات المطلوبة في شخص بمنصبه: فقد كان انطوائياً، منعزلاً، متواضعاً ودمت الخلق. فقد مرت اثني عشر عاماً منذ أن وُعد رابين بمنصب رئيس الأركان العامة، وحتى حصوله على هذا المنصب في عام ١٩٦٤. وبعد حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣) انتخب رابين رئيساً للوزراء (الائتلاف السابع عشر عام ١٩٧٤)، ليس من خلال السعي للمنصب، ولكن يمكن القول بأن المنصب هو الذي سعى إليه، وذلك لأنه كان الوحيد من بين قادة حزبه (المعراخ آنذاك) الذي لم يُلطخ جبينه بعار الحرب".

قصة تعاطي رئيس الوزراء مع الأحداث التي سبقت حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧)، كما جاء ذكرها بالتفصيل في هذا الكتاب، تكشف عن وجه واحد في شخصية رابين الإنسان، الذي اشتهر بوصفه الرابع الأكبر من هذه الحرب. ففي تلك الفترة، كان التوتر يسيطر على علاقة إسرائيل بسوريا، وهو

التوتر الذي استمر طوال شهرى أبريل ومايو من عام ١٩٦٧. وفي الفترة نفسها، حشدت مصر قوات كبيرة على الحدود مع إسرائيل. وقد طالب ليفى أشكول، رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك، بالحفاظ على ضبط النفس، غير أن ضباط هيئة الأركان العامة طالبوا بشن حرب وقائية ضد مصر. فوقف رئيس الأركان رابين على الحياد، ولم ينجر وراء موقف رفاقه في قيادة الأركان. يقول جولدشتاين: "توقعت هيئة الأركان أن تسفر الحرب عن كوارث كبيرة، وقد تم التجهيز بالفعل لحفر ١٤ مقبرة جماعية في ميدان "ملاخي إسرائيل" تسع لأربعة عشر ألف جثة. إلا أن رابين توقع ألا يزيد عدد القتلى الإسرائيليين عن ألف جندي، الأمر الذي جعل الضغط عليه يزيد. وقد بدت عليه علامات الإرهاق الجسماني والنفسي، وبالفعل انهار".

حرر كبير الأطباء العسكريين آنذاك شهادة رسمية تقول إن رئيس الأركان، الذي كان يدخن بشراهة، يعاني من "تسمم النيكوتين"، ولكن كان واضحاً أن الأمور أكثر تعقيداً من ذلك. يقول جولدشتاين: "استدعى رابين نائبه، عزرا فايتسمان، وقال له أنه ورط إسرائيل بسبب سلسلة من الأخطاء ارتكبها. وقال رابين مخاطباً فايتسمان: أعتقد أن المخطئ يجب أن يرحل، وأنا مخطئ. وسأله بعد ذلك ما إذا يوافق على تولي رئاسة الأركان. بعد هذه المحادثة، حُقن رابين بحقنة مهدئة وغط في النوم. ومرة ٢٦ ساعة إلى أن استعاد عافيته تماماً وعاد إلى ممارسة عمله كالمعتاد...

"كان هذا الانهيار القصير إشارة إلى الصعوبة التي كان رابين يجدها في مواجهة الضغوط. فكان يحتاج دائماً إلى وسائل خارجية، مثل التدخين بشراهة، الإسراف في احتساء القهوة، بل وشرب الكحوليات في مرحلة متقدمة من حياته - كل ذلك لكي يهدأ. لقد كان يفضل الويسكي والمشروبات التي تحتوى على نسبة عالية من الكحول، والتي كانت تجعله أكثر هدوءاً وتحراً".

◆ هل تصف رابين بأنه كان إنسان منكسر؟

- "إنه لم يكن منكسراً، ولكن كانت لديه نقاط ضعف حاول إخفاءها بطرق متعددة. لقد كان يدخن ويحتسى الكثير من القهوة والكحوليات من أجل التغلب على عدم الثقة والخجل. على أية حال، ورغم أن هذا النوع من الانهيار لم يتكرر بعد ذلك، إلا أنه كان كافياً لبت الرعب في نفس رابين".

◆ أسطورة الليرات العشر:

"ما من شك أن رابين كان على علم بأن زوجته ليثا كانت تنتهك القانون، ولكنه لم يحاول منعها، ربما لأنه

كان يعتقد أن الحساب البنكي لم يتضخم بشكل كبير بعد رحيلهما عن واشنطن، ويُحتمل أيضاً أنه تأثر بنظرة ليثا المستخفة بهذه الفعلة، والتي وصفتها في مذكراتها بأنها مثل "قطع الطريق بينما الإشارة صفراء، على أمل أن أتمكن من المرور قبل أن تتغير الإشارة"... (من وقائع قضية حساب الدولارات البنكي).

في فبراير ١٩٦٨، ترك رابين رئاسة الأركان ليتولى منصب سفير إسرائيل في الولايات المتحدة. وكانت الطائفة اليهودية هناك تحب "رئيس الأركان المنتصر"، كما كانت الإدارة الأمريكية تشعر بالود تجاه السفير الذي نادى بتقديم تنازلات إقليمية رغم السياسة الصقرية التي كانت تنتهجها حكومته. كانت الحفلات التي أقامها رابين وزوجته هناك معروفة بفخامتها وكثرة المدعوين لها، كما أصبح رابين من المحاضرين المرغوبين. يقول جولدشتاين: "كان لدى رابين وكيل يتولى تنظيم المحاضرات له في كل أنحاء الولايات المتحدة. وخلال سنواته الخمس في واشنطن، ربح رابين مبالغ طائلة دخلت في حسابه الخاص، رغم أنه كان يحصل على راتب من الخارجية الإسرائيلية مقابل عمله كسفير في الولايات المتحدة، كما كان يحصل على معاش عن فترة خدمته في الجيش.. لقد صنع ثروة من هذه المحاضرات".

يقول جولدشتاين أن الرأي السائد بأن رابين لم يكن يفهم في المال والحسابات، وأن زوجته ليثا هي التي كانت تعتنى دائماً بأن تضع في جيبه عشر ليرات، ليس إلا نوعاً من السذاجة. فحسب رأي جولدشتاين، كان رابين يقف على أدق التفاصيل المتعلقة بشئونه المالية، وكان محباً لمتع الحياة وعرف كيف يدبر هو وزوجته النفقات اللازمة للحياة الباذخة التي اعتاداها في واشنطن. وفي ذلك يقول جولدشتاين: "طوال حياته، كانت ليثا هي المحرك الرئيسي، وكانت شريكة في كل شيء. شخص مثل رابين، كان بحاجة إلى زوجة مثل ليثا. فرايين كان شديد الانطوائية، وكان بحاجة إلى نموذج مثل ليثا".

◆ كيف تصف توزيع الأدوار بينهما؟

- "إنها مسألة معقدة. للوهلة الأولى، يبدو رابين كشخصية تابعة، وأنه كان يترك القيادة لزوجته، ولكنه كان القائد الفعلي، وليس أحد آخر. ظل رابين على نفس الخجل والتواضع اللذين كان عليهما، بينما ليثا كانت تقوم بالأعمال السوداء لحسابه".

في مارس ١٩٧٢، وبعد العمل لخمس سنوات كسفير في الولايات المتحدة، عاد رابين إلى إسرائيل. وبعد ذلك بعام، عُين وزيراً للعمل في حكومة جولدا مائير. وبعد فترة وجيزة، استقالت جولدا، فقرر رابين

المنافسة على رئاسة حزب العمل (المعراخ آنذاك). كان المرشح المنافس هو شمعون بيريس، الذي أصبح فيما بعد الخصم السياسي الأكثر ضراوة. يقول جولدشتاين: "على نحو يشبه السجائر والكحوليات التي ساعدته في التغلب على طابعه الانطوائي، كانت عداوته لشمعون بيريس عاملاً مساعداً إلى حد كبير على تحريره من قيود طباعه".

يقول جولدشتاين في كتابه أن رابين كان على قناعة أثناء الحملة الانتخابية بأن بيريس وأنصاره هم الذين سربوا للصحافة نبأ المحاضرات التي تربح منها مبالغ طائلة. وكان الرقم الذي ذكرته الصحافة ٩٠ ألف دولار. رابين من جانبه لم ينف، ولكنه ادعى عدم معرفته بخطورة هذه الأفعال من الناحية العامة، كما ادعى أن السفراء السابقين كانوا يفعلون الشيء نفسه.

يضيف جولدشتاين: "في يونيو ١٩٧٤، تولى رابين رئاسة الحكومة، وكانت الفترة الأولى من ولايته ناجحة جداً بالنسبة له، ولكن اتضح بعد ذلك أن رابين ليس هو الشخص المناسب لمنصب رئيس الوزراء. وكانت قضية الفساد التي اتهم بها أفراهام عوفر، وزير الإسكان والصديق الشخصي لرابين، هي أبغ دليلاً على عدم صلاحيته لهذا المنصب، حيث أعلن رابين على الملأ أنه متأكد من براءة عوفر. كانت التحقيقات على وشك الانتهاء، ولكن عندما جاءت شهادة جديدة، قام رابين بإبلاغ عوفر بأنه على وشك الخضوع للتحقيق ثانية. وغداة اليوم التالي، قام عوفر بالانتحار. لقد نسي رابين ببساطة أنه رئيس الحكومة، واعتقد أنه مازال في البالمخ، حيث الصداقة التي تسمو على كل ما عداها. لقد كان ينبغي عليه أن ينأى بنفسه عن عوفر من الناحية العامة، وأن يترك للمحاكم القيام بعملها".

اضطر رابين للاستقالة من رئاسة الحكومة بعد الكشف عن قضية حساباته البنكية هو وزوجته في واشنطن، وهي القضية التي فجرها الصحفي دان مرجليت. كانت إسرائيل تعاني في تلك الفترة من أزمة في العملة الأجنبية، ولذا سنت قانوناً يحظر الاحتفاظ بأموال في الخارج. وكان رابين وزوجته قد فتحا حسابات بنكية أثناء إقامتهما في واشنطن، ولكنهما لم يفلقا هذه الحسابات بعد مغادرتهما للولايات المتحدة، وكانت ليثا تسحب بالتدريج العشرين ألف دولار الذين تبقوا في حسابها هناك. وفي النهاية، مثلت ليثا وحدها أمام القضاء وتم إلزامها بدفع غرامة، بينما أعلن إسحاق رابين استقالته من رئاسة الحكومة.

لكن البروفيسور جولدشتاين يقول في كتابه أنه إذا ألقينا نظرة تاريخية، سنعرف أن الكشف عن قضية

الحسابات البنكية جاء في صالح رابين وليس العكس، فيقول: "كانت هذه القضية بمثابة هدية من السماء لرابين. فقد ظهر بمظهر الفارس الذي يتحمل المسؤولية ويقف إلى جانب زوجته. وقد خرج رابين من هذه القضية رابحاً. صحيح أنه كان إنسان يتحمل المسؤولية، ولكنه كان يعرف أيضاً أن الانتخابات باتت وشيكة، وأن الفشل مؤكد في ظل التضخم الكبير الذي يعاني منه الاقتصاد والأزمات الائتلافية. كانت لديه استطلاعات رأى أجريت قبل الانتخابات بثلاثة أشهر، وكان يعلم جيداً أنه سيخسر، وعندئذ جاءت قضية الدولارات...

"إنني لا أقول أن رابين هو الذي تعمد تسريب نبأ الحسابات البنكية، ولكني أقول أنه خرج من هذه القضية بطريقة أنيقة. لقد فضل الاستقالة لكي يُنسب الفشل في الانتخابات بعد ذلك إلى شمعون بيريس، لا إليه هو.. وبالفعل، فقد سُجل الانقلاب الدراماتيكي في ١٧ مايو ١٩٧٧، الذي صعد اليكود من خلاله إلى السلطة، باسم شمعون بيريس. كم كانت سعادة رابين بهذه الخسارة المريرة التي مئى بها غريمه اللدود.. إن هزيمة ١٩٧٧ كان يجب أن تسجل باسم إسحاق رابين وليس أى أحد آخر".

◆ غريم لا يكل:

لم يتقبل رابين بسهولة خروجه من الساحة السياسية بعد فترة ولاية قصيرة كرئيس للوزراء، كما لم يتقبل في الأساس الأنباء التي تحدثت عن قيام مناحم بيجين بقطف ثمار السلام مع مصر، والتي كان رابين قد زرعها بنفسه. كما يقول الكتاب أن عداوة رابين لبيريس أخذت أبعاداً جديدة، عندما أصبح رابين عضواً بالكنيست في صفوف المعارضة، حيث كان من الواضح له أن بيريس هو المسئول عن الجزء الأكبر من معاناته.

وفي تلك الفترة، ألّف رابين، بالاشتراك مع الصحفي دوف جولدشتاين، كتاب "سجل الخدمة"، والذي قدم بيريس كشخصية لا تكل من التآمر. يقول البروفيسور جولدشتاين في تعليقه على هذا الكتاب: "لم يكن هذا كتاب سيرة ذاتية، وإنما كان محاكمة ميدانية لبيريس. وقد نجح بيريس في جعل هذا الكتاب حرية مرتدة إلى نحر رابين، حيث أظهر بيريس بمظهر الضحية، بينما رابين هو الشخص الحاقق والمنتقم. في نهاية الأمر، تسبب هذا الكتاب في خسائر فادحة لإسحاق رابين، لأن بيريس - على العكس من رابين - كان يجيد فن المناورات السياسية".

◆ ما تفسيرك لهذه العداوة بين رابين وبيريس؟

- تحول رابين وبيريس إلى غريمين منذ عقد

الخمسينيات، عندما كان بيريس يشغل منصب نائب وزير الدفاع، بينما كان رابين لواءً في هيئة الأركان العامة. وقد تطورت العداوة الشخصية بينهما عندما كان رابين يريد تولي منصب رئيس الأركان العامة. وخلافاً لذلك، كان كلاهما مختلفين في الطباع وفي وجهات النظر، إذ إن بيريس كان مناوئاً ولكن بشكل نظيف، بينما كان رابين - المعروف بسلوكه المباشر بشكل عام - قد ضاق ذرعاً بأساليب بيريس.

♦ هل تعتقد أن بيريس هو الذي خرج منتصراً في نهاية المعركة؟

بيريس ينتصر دائماً. كان دائماً يعرف كيف يظهر بمظهر السياسي الذي لا يميل مطلقاً إلى استخدام القوة والعنف، سياسي نقي تماماً لا علاقة له بالأعيب السياسية القذرة، وكان هذا أكثر ما يغضب رابين.

في يونيو ١٩٩٢، وبعد خمسة عشر عاماً من استقالته، انتخب رابين ثانية لرئاسة الحكومة. وكانت علاقته بشمعون بيريس قد شهدت آنذاك تحولات كثيرة، جعلت رابين يقوم بتعيين خصمه اللدود في منصب وزير الخارجية. يقول جولدشتاين: "تولى رابين رئاسة الحكومة للمرة الثانية وهو في سن السبعين، رجل عجوز، أكثر حكمة وحذراً من ذي قبل. لكنه لم يكف عن كراهيته ومقته لبيريس، أما بيريس في المقابل، فقد رضى للمرة الأولى بأن يكون رابين رقم واحد. وكانت هذه الخطوة بداية للانعطاف التي شهدتها علاقة الاثنين ببعضهما بعضاً. فعندما شعر رابين بذلك، زادت ثقته في بيريس ومنحه الصلاحيات الكاملة في مسألة أوسلو".

خلال العامين الأخيرين من حياته، كان رابين يضع في الحسبان احتمالات تعرضه للاغتيال، وذلك بعد توقيعه في واشنطن على اتفاق المبادئ مع منظمة التحرير الفلسطينية في سبتمبر ١٩٩٣، ومصافحته ياسر عرفات. ويشير الكتاب إلى أن رابين شارك عرفات، قبل بضعة أشهر من اغتياله، في مخاوفه هذه، وقال له إن هناك "دعوات في إسرائيل تطالب بقتلي"، ونداءات من قبيل "خائن" و"قاتل"، فضلاً عن الفتوى التي أهدرت دمه، ونوبات الاحتجاج التي نظمها المتظاهرون أمام منزله - كل ذلك جعله يستشعر الخطر.

يقول جولدشتاين: "لم يكن رابين قلقاً على نفسه أو على حياته، بل كان أكثر ما يقلقه هو أنه إذا قتل، فإن الاتفاقات مع الفلسطينيين، التي كانت مصدر الفخر بالنسبة له، قد تذهب سُدى، بينما سيخرج

القاتل وأعوانه رابين".

١- تعود أهمية كتاب البروفيسور يوسى جولدشتاين، "رابين - سيرة ذاتية"، والصادر عن دار نشر شوكين، إلى كونه أول كتاب إسرائيلي يتناول السيرة الذاتية لإسحاق رابين. إذ إن الكتابين السابقين جاءا على أيدي صحفيين أجانب: الكتاب الأول هو "رابين إسرائيل" الذي كتبه الصحفي روبرت سلايتر في عام ١٩٧٧، وتم تحديثه عام ١٩٩٢ تحت عنوان "رابين - مقاتل السلام"، أما الثاني فهو كتاب "جندی السلام" الذي نشره الصحفي دان كروتسمان عام ١٩٩٨.

فتش جولدشتاين في آلاف الوثائق التابعة لأرشفيف الجيش الإسرائيلي، ووزارة الدفاع، والكنيست، وأرشفيف الدولة وأرشفيف الخارجية الأمريكية. كما أطلع على المقابلات التي أجراها مركز تراث رابين مع ٦٤ شخصية من مقربيه في السنوات التي تلت اغتياله، ومن بينها مقابلة مع شقيقته راحيل. كما أنه جمع حوالي ٧٠ حديثاً أجراها رابين طوال حياته، وقرأ كذلك مئات الأحاديث مع الساسة والعسكريين والأشخاص الذين كانت لهم علاقة برابين في مراحل مختلفة من حياته. وقد فضل جولدشتاين ألا يقابل سوى عدد قليل من الأشخاص وأن يطرح عليهم أسئلة محددة، ومن بين هؤلاء روحاما حرمون، رئيسة مكتب رابين طوال حياته.

الشخص الوحيد من أسرة رابين الذي التقى به جولدشتاين، كانت شقيقته راحيل رابين. يقول جولدشتاين: "لا أعرف ما إذا كانت أسرة رابين ستحب هذا الكتاب أم لا، ولكنني أجريت بضعة مكالمات هاتفية مع شقيقته راحيل التي كانت تبدو امرأة حكيمة مثل أخيها، وأتمنى أن تستطيع بحكمتهما الوقوف على الحقيقة التي بين طيات الكتاب".

٢- آحاد هعام: هو اسم الشهرة لأشر جينزبرج، وهو من أهم الكتاب والمفكرين في الأدب العبري الحديث. ولد عام ١٨٥٦ في قرية صغيرة بأوكرانيا، وتوفي عام ١٩٢٧ في تل أبيب. ومن أبرز مؤلفاته كتاب "في مفترق الطرق" الذي يحتوي على كل كتاباته تقريباً.

٣- مناحم أوسيشكين (١٨٦٢-١٩٤١): زعيم صهيوني روسي، ترأس الصندوق القومي اليهودي، وأسس عام ١٨٧١ في جامعة موسكو جماعة صهيونية للهجرة إلى أرض إسرائيل.

◆ افتتاحيات الصحف ◆

١

لماذا نقاط قطر..؟

هاآرتس ٢٠٠٦/١٠/٣٠

الخارجية القطري، بدعوته إسرائيل - بموافقة زعيم قطر - أن يعرض عليها مرحلة جديدة من الشرعية التي كان من شأنها أن تضع دولا عربية وإسلامية أخرى مشاركة في المؤتمر أمام اختبار.

يبدو أن "ليفني" قررت، كما هو واضح، أن جرأة زعماء قطر لا تستحق احتراماً إسرائيلياً. والنتيجة المترتبة ليست فقط خسارة دبلوماسية لإسرائيل، وإنما أيضاً مكسب كامل لحماس، التي أصبح ممثلوها الآن - الذين يعانون مثل إسرائيل من قلة الدعوات إلى الدول العربية - يدركون أن في أيديهم حق فيتو على كل لفظة عربية تجاه إسرائيل. إذ يكفي أن يشارك ممثل حماس في مؤتمر لكي يتسبب في انتقاص نصيب إسرائيل. أعتقد أن زعماء حماس لم يكن يتوقعون مثل هذا الإنجاز الدبلوماسي.. إن الحجة المتزمتة التي تسوقها "ليفني"، والقائلة بأن إسرائيل لن تذهب إلى أماكن تدعى إليها منظمات إرهابية، لا يمكن قبولها في هذه الحالة. إذ يذهب إلى قطر ممثلو دول صديقة لإسرائيل، كما أن هذا المؤتمر يقام تحت رعاية الأمم المتحدة، التي تعد إسرائيل عضواً فيها، والتي تلتزم بالتوصيفات التي تحدد من هي المنظمة الإرهابية.. وهذه هي ذات الدول (يقصد الدول الصديقة لإسرائيل) التي تواصل معظمها مقاطعة حماس لنفس الأسباب التي بسببها بالضبط تقاطعها إسرائيل.

كان من الأفضل لو أن "ليفني" كرست مزيداً من الوقت لإمعان النظر قبل اتخاذها مثل هذا القرار.

اتخذت وزيرة الخارجية "تسبي ليفني" قراراً غريباً، حينما ألغت مشاركتها في المؤتمر السادس للأمم المتحدة حول الديمقراطية الحديثة والمتجددة، الذي يعقد هذا العام في إمارة قطر. سبب الإلغاء: مشاركة برلمانيين من حماس.

من الصعب أن نفهم الاعتبارات التي حكمت قرار الوزيرة، خصوصاً أنها سمحت لممثل رفيع المستوى من الوزارة بالمشاركة في المؤتمر. فهل لا يمثل حضور ممثل وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى جانب برلمانيين من حماس اعترافاً بحماس، فيما مشاركة الوزيرة ذاتها معناها بالضرورة اعتراف بها؟ أم أن هناك اتجاهات عاماً لأن تفرض إسرائيل مقاطعة على قطر علماً بأنها الدولة العربية الوحيدة المستعدة لإقامة علاقات ودية بحق معنا؟ أم أن مقاطعة المؤتمر تأتي من كونه يستضيف ممثلين من إيران، وسوريا ولبنان.. إن القيادة السياسية خانها الصواب في هذا القرار.

لم يُطلب من "ليفني" التحدث مع ممثلي حماس أو مصافحتهم. في المقابل، مورست على قطر مجموعة من الضغوط وتعرضت للسباب في الأيام الأخيرة، عندما عُرف أن دعوة وجهت إلى "ليفني". قرر وزير الخارجية اللبنانية عدم حضور المؤتمر، وأعلن ممثلون آخرون أنهم سيتغيّبون، لكن وزير خارجية قطر، "حمد بن جاسم آل ثان"، لم يتراجع، كما لم يتراجع عن مقابلة ممثلين إسرائيليين في نيويورك وفي أماكن أخرى. ومثلما لم يتوان في التوسط في النزاع مع الفلسطينيين، رغم الفرص الضئيلة في أن تثمر جهوده، فقد أراد وزير

ليبرمان: "يجب الفصل بين اليهود والعرب على غرار التجربة القبرصية"

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٦/١١/٥

اليونان الضعيف. ولم يتوقف الأتراك عند هذا الحد، إنما سيطروا على ثلث الجزيرة الشمالي، مع إجبار ١٨ ألف قبرصى يونانى على الهرب من ديارهم. وفى عام ١٩٨٣ أعلن القبرصيون الأتراك عن إقامة دولة منفصلة، وأطلقوا عليها اسم جمهورية شمال قبرص التركية.

حتى الآن، لازالت تركيا هى الدولة الوحيدة التى اعترفت بهذه الدولة. ومنذ عامين، أجرى استفتاء شعبى فى جزيرة قبرص حول مسألة توحيد شقى الجزيرة، وبينما صوّت سكان الشمال التركى بالتأييد، فإن الجنوب القبرصى تحديداً هو الذى رفض. ومن بين أسباب ذلك هو الخوف من توافد الجماهير الففيرة التركية من الشمال الفقير على الجنوب المزدهر. وبعد فترة قصيرة من ذلك، حصلت قبرص اليونانية على عضوية الاتحاد الأوروبى. ومنذ ذلك الحين، أصبحت مسألة قبرص عائقاً كبيراً جداً فى طريق تركيا للانضمام إلى الاتحاد. ومؤخراً هددت قبرص باستخدام حق الفيتو ضد انضمام تركيا للاتحاد إذا استمر الأتراك فى رفض فتح موانئهم البحرية والجوية للسفن والطائرات القبرصية.

♦ الطيبى: "إنه مهاجر غازي"

أعربت وزيرة التعليم، يولى تامير، عن احتجاجها على تصريحات ليبرمان، بقولها: "يجب على الدولة الديمقراطية بوجه عام، واليهودية بوجه خاص، أن توفر مكاناً للأقليات التى تعيش فيها، ويتعين عليها أن تبذل كل الجهد الممكن لإدماجهم فيها من منطلق مبادئ الشراكة والمساواة".

وقد علق أحمد الطيبى، عضو الكنيست عن كتلة "زعَم - تعال" (القائمة العربية الموحدة والحركة العربية للتغيير)، على تصريحات وزير الشؤون الاستراتيجية قائلًا: "إن تصريحات ليبرمان هى دعوة للتطهير العرقى. فتصريحاته تثبت أن المعنى الفعلى لمصطلح دولة يهودية يحمل معانى تجمع بين التمييز المنهجي وطرده المواطنين العرب. لقد كنا هنا قبل المهاجر ليبرمان، ونحن ملح الأرض، أما هو فليس إلا مهاجر غازي".

كما تطرق رئيس كتلة الاتحاد القومى - المفدال، عضو الكنيست أورى أريئيل، إلى تصريحات ليبرمان، قائلًا: "إن

للمرة الأولى منذ تعيينه كوزير، أجرى "أفيجدور ليبرمان" رئيس حزب "يسرائيل بيتينو" (إسرائيل بيتنا) مقابلة مع الصحافة الأجنبية، أشار فيها إلى أن الفصل التام بين اليهود والعرب - بما فى ذلك عرب إسرائيل - هو السبيل الوحيد لإحراز السلام. وفى المقابلة الصحفية التى نشرت صباح اليوم فى صحيفة "صنداي تليجراف" البريطانية، دعا ليبرمان إلى محاكاة النموذج القبرصى والفصل بين أصحاب القوميات المختلفة.

وأشار الوزير الجديد إلى أن وجود أقلية عربية فى دولة إسرائيل يمثل "مشكلة"، وأنه يجب الفصل بين القوميتين، قائلًا: "لقد أقمنا إسرائيل كدولة يهودية، وإننى أسمى للحفاظ على طابع الدولة كدولة يهودية وصهيونية". وتطرق ليبرمان إلى المستعمرات بقوله إنه لا يعترم تأييد إخلاء مستعمرات. وعلى حد قوله، فإن هدفه هو الحفاظ على المستعمرات حتى يحين الوقت المناسب من أجل الحصول على مقابل: نقل السكان العرب إلى أراضى السلطة الفلسطينية: "سيمثل الأقليات مشكلة فى كل أنحاء العالم للأبد. واعتقد أن الفصل بين الشعبين هو أفضل حل، وقبرص هى أفضل نموذج لذلك. قبل عام ١٩٧٤، كان اليونانيون يعيشون إلى جانب الأتراك، وقد أدى هذا إلى احتكاكات وإراقة دماء وإرهاب. وبعد عام ١٩٧٤ تقرر أن يكون جزءاً من الجزيرة للأتراك والجزء الآخر يوناني. وحالياً، يوجد هناك استقرار وأمن".

وعندما أشار الصحفى الأجنبى الذى أجرى الحوار مع ليبرمان إلى أن هذا التغيير تطلب طرد آلاف البشر من منازلهم بالقوة، أجابه الوزير: "هذا صحيح، ولكن النتيجة النهائية كانت تحسن الأوضاع".

وتناول الوزير ليبرمان الخطر الإيراني بحكم منصبه الجديد كوزير للشؤون الاستراتيجية وقال: "يعلن الرئيس الإيراني، فى كل أسبوع، عن نيته للقضاء علينا. إيران هى مركز محور الشر. فهى تشكل خطراً على العالم كله، وإسرائيل ببساطة تقع فى موقع سيء، حيث إننا على خط المواجهة فى حرب الحضارات التى يوشك العالم الحر على مواجهتها ضد الإسلام المتطرف".

فى عام ١٩٧٤ قامت تركيا بغزو قبرص، وإقصاء حاكم

التصريحات الخاصة بالتهديد الذي يمثله عرب إسرائيل على الوجود المادي للدولة، حقيقية وصادقة. والآن، وبعد أن انضم إلى الحكومة، بقي أمامنا الانتظار لرؤية ماذا سينفذ من خططه للتعاطي مع هذا التهديد".

ومن جانبه، طالب دوف حنين، عضو الكنيست عن حزب حداث (الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة)،

رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، بإقالة الوزير ليبرمان فوراً بسبب تصريحاته. وعلى حد قول حنين فإن: "الدعوة لفصل العرب عن إسرائيل هي عنصرية سافرة، والقول بأن الأقليات يشكلون مشكلة في كل مكان في العالم يندرج تحت بند التصريحات المعادية للسامية التي كانت توجه دائماً ضد اليهود".

٣

الامتناع عن دفع النفقة الزوجية

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٥

ضغط عليه.. هذه القصة، كما أسلفنا، هي واحدة من آلاف القصص.

قبل عامين، تم تشكيل طاقم خاص لبلورة مشروع قانون يعالج موضوع تحصيل النفقة، فاقترح إقامة مركز قطري للتحصيل ومنحه صلاحيات واسعة، مثل منع الخصم الضريبي وإعادة ضرائب إلى من هم مدينون بنفقة، وإلغاء جوازات السفر، وحظر الاشتغال بتصريح حكومي، وتقييد الحسابات البنكية، وسحب بطاقات الائتمان... الخ. واستندت الاقتراحات إلى نماذج من الولايات المتحدة وأستراليا، حيث سلطات الدولة مسئولة عن تحديد المدينين والعثور عليهم، إذ لا يُتوقع من المرأة أن تمشي ومعها أمر توقيف في يدها، أو أن تستدعي الشرطة عندما تعثر على المدين.. ولكن ما حدث أنه تم حفظ تقرير تلك اللجنة وتم تشكيل لجنة أخرى. جدير بالذكر أن صاحب مبادرة اللجنة الجديدة هو وزير العدل "حاييم رامون"، الذي أراد توحيد عملية تحصيل النفقة المقررة من قبل المحاكم وتيسيرها.

من المهم أن نذكر أنه ليس كل الرجال بالفعل قادرين على دفع النفقة المقررة عليهم، ورغم ذلك فإن قضاة مدنيين وشرعيين لا يأخذون في الاعتبار وضعهم الاقتصادي. وفي المقابل، يدعى رجال كثيرون أنهم بلا عمل من أجل أن تعفيهم المحكمة من عبء الإعالة.

إن تكلفة مركز التحصيل، التي تضع نساء آمال على إقامته، ليست أكثر من ١٥ مليون شيكل، وهو مبلغ ضئيل مقارنة بحجم الدين المتراكم.. نأمل ألا ترفض الحكومة الإصلاح المرجو في مجال تحصيل النفقة، وألا تنسى آلاف الأسر التي تعاني من الدين المتضخم.

يقدر الدين المتراكم على رجال إسرائيليين، كنفقة (زوجية) لم يتم دفعها، بنحو ٢٠ مليار شيكل. الممتنعون عن دفع النفقة مدينون بمبلغ نحو ٢,٥ مليار شيكل أخرى إلى التأمين الوطني، وهي الهيئة التي آلت على نفسها دفع رسوم إعالة الأسر التي هجرها المدينون، بشكل جزئي ومخفض، كي تمكنها من العيش في الحد الأدنى.

يتعلق الأمر بنفقة لم تعد موضع خلاف، كتلك التي قررتھا المحاكم، فيما يرفض الآباء دفعها. لو أن الدولة قامت بتحصيل هذه الأموال، لكان باستطاعتها تقليص آمد الفقر لدى أكثر من ثلث الأسر ذات العائل الواحد في الدولة، والتي توصف بأنها فقيرة. لكن جهاز التحصيل لا يعمل، ومن ثم يتحول العبء إلى النساء اللاتي تتعامل مع الابتزازات والتهديدات والعنف والإضرار بالأطفال. هناك ١٠٠ ألف ملف من هذا النوع مفتوح في هيئة تنفيذ الأحكام، وفي كل عام يتم فتح عشرة آلاف ملف جديد. من الواضح أنه ليس هناك شيء أسهل من التهرب من دفع النفقة.

هذا الأسبوع روت إحدى الأمهات قصتها الشخصية لـ"هاآرتس". الحديث يتعلق بأمر لأربعة أبناء من القدس استنفدت جميع السبل المتاحة أمامها في القانون من أجل تحصيل ما تستحقه هي وأطفالها من زوجها السابق. سبق وحصلت الأم على أمر توقيف ضد أبي أبنائها، لكنه هرب عندما استدعت الشرطة. ترفض الشرطة تنفيذ توقيفات من هذا النوع في الأعياد وأيام السبت، وعندما حاولت الحجز على مدخراته، لم تتعاون شركات التأمين معها. أيضاً فشلت محاولتها لسحب رخصة قيادة زوجها السابق من أجل ممارسة

تغيير اتجاه في مواجهة الأسد

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٧

للقيادة السياسية يتمثل في استنفاد السبل الدبلوماسية لمنع الحرب، التي لن تربح إسرائيل منها شيئاً، بل قد تكلف الجانبين قتلى ودماراً هماً في غنى عنه، وفي نهايتها ستتجدد المفاوضات حول "إزالة سبب الحرب" وإعادة الجولان إلى السوريين.

يعبر "أولمرت" منذ صعوده إلى الحكم عن نفور من إجراء مفاوضات مع السوريين والفلسطينيين. لكن رغم تفسيراته، القائلة بأنه "لا يوجد شريك" على الجانب الفلسطيني ولا توجد سلطة مسئولة في الحالة السورية، وأن النظام في "دمشق" ليس ودوداً مع إسرائيل، بل ومقرب من ألد أعدائها (يقصد إيران) - رغم ذلك، فلا ريب في أنه يهيمن على سوريا وينفذ بحرص اتفاق الفصل بين القوات في الجولان. وعلى الرغم من التحالف الاستراتيجي له (يقصد الأسد) مع إيران، فإنه لا يشاطر "محمود أحمدى نجاد" دعواته بإبادة إسرائيل، وإنما يدعو إلى تفاوض وإلى تسوية.

إن رفض عروض السلام السورية، بدون إجراء حتى فحص ونقاش معمقين حولها، رفضاً باتاً، هو عدم مسئولية ودعوة إلى الحرب القادمة. إن ثمن التسوية مع السوريين، أي الانسحاب من الجولان، معروف وصعب على الإسرائيليين أن يهضموه، لكن "أولمرت" لم يفعل حتى الحد الأدنى الحيوى من الفحص الدبلوماسي وعرض المطالب المشروعة لإسرائيل من سوريا، من تسويات تتعلق بالمياه والأمن والتطبيع، مثلما فعل خمسة رؤساء حكومات سابقين أجروا مفاوضات مع "الأسد" الأب.

إن الزيارة الوشيكة لرئيس الحكومة إلى الولايات المتحدة هي فرصة جيدة لتغيير موقفه ولأخذ زمام المبادرة في هذا الشأن، بتنسيق مسبق، بالطبع، مع الإدارة الأمريكية.

سيجتمع رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت"، يوم الاثنين القادم، مع الرئيس الأمريكي، "جورج بوش"، في البيت الأبيض في "واشنطن". سيكون اللقاء فرصة جيدة لأن يعلن "أولمرت"، أنه يدعو الرئيس السوري، "بشار الأسد" إلى الشروع فوراً في محادثات سلام مع إسرائيل.

منذ تم وقف إطلاق النار في لبنان، قبل حوالي ثلاثة أشهر، و"الأسد" يكرر الإعلان عن رغبته في استئناف محادثات السلام مع إسرائيل، بهدف إعادة هضبة الجولان إلى سوريا. ورافقت عروضه تهديدات من "دمشق"، بأن الجولان سيتحرر بالعنف إذا لم يتم التوصل إلى تسوية.. ومن جانبها رفض "أولمرت" كل مناشدات "الأسد" رفضاً باتاً وقدم لذلك جملة من المبررات: أن الجولان ينبغي أن يبقى في حوزة إسرائيل، وأنه لا يؤمن بأن سوريا ستطرد من أراضيها قيادات الإرهاب الفلسطيني أو ستكف عن تسليح "حزب الله"، حتى وإن حصلت على الجولان، وأن إجراء محادثات مع "الأسد" سيسبب نهض ضغوطاً دولياً على إسرائيل كي تتفاوض أيضاً مع حماس، وأنه إذا فشلت المفاوضات - ومن المنطقي أن نفترض أن ذلك سيحدث - فإن خطر الحرب سيزداد.

"أولمرت" ليس الوحيد الذي يتبنى هذا الموقف.. فقد أظهر استطلاع "هاآرتس ديالوج" الذي نشر يوم الجمعة الماضي، أن قلة ضئيلة فقط من الجمهور (١٦٪) تؤيد إجراء محادثات مع السوريين. كذلك الإدارة الأمريكية، التي أبدت في الماضي اهتماماً بالغاً بتحقيق تسوية إسرائيلية سورية، تقاطع اليوم "الأسد".. أضف إلى ذلك أيضاً فرضية يضعها جيش الدفاع الإسرائيلي، تعزز المبررات السابقة، تقول بأن سوريا ستبدأ حرباً مع إسرائيل في الصيف القادم.

من ثم، وفي ظل وضع كهذا، فإن الواجب القومي

مهم يخاف الحاخامات..؟

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٢

فإن كل هذه الهيئة تصبح زائدة (يقصد أنها تصبح عالية على الدولة)، إذ يستطيع المواطنون الإسرائيليون المتدينون الحصول على الخدمات الدينية التي يحتاجونها من السلطات المحلية، وسيكون من الممكن التجادل حول مواقف الشريعة مع بلاط الحاخام "إلياشيف" مباشرة. الخلاصة الثانية، أكثر جوهرية: فكثيراً ما يشكو الجمهور الديني من "المساس بالشكل اليهودي للدولة"، والذي تمثل في نظره، ضمن أمور أخرى، في النسب المتزايدة للزواج المدني، وفي عدم الاحتياج إلى خدمات الحاخامية بشكل عام.

حقاً، هذا القطاع من الجمهور الذي ليس لديه استعداد من ناحية المبدأ لأن تنظم مؤسسة دينية، حتى وإن كانت معتدلة وليبرالية، شئونه الشخصية للغاية، مثل الزواج والطلاق - هذا القطاع آخذ في التزايد. ولكن إذا كانت المؤسسة الدينية ترغب في إقناع ذلك القطاع المريض من الجمهور، على الأقل الذي ليس له مثل هذا الموقف المبدئي، فإنه يتحتم عليها أن توفر حلولاً للمحن الإنسانية التي تتجلى في مشاكل الأحوال الشخصية، وعلى رأسها مشكلة النساء العالقات (اللاتي هجرهن الزوج بدون طلاق) والمحرومات من الطلاق. وإذا لم تفعل ذلك، فإن مصير انفراد المؤسسة الأرثوذكسية بهذه المجالات يكون قد قضى عليه بالزوال من العالم.

من المتوقع إذاً أن يبدو "انتصار" الحاخام "إلياشيف" في إلغاء مؤتمر المحرومات من الطلاق على أنه انتصار باهظ الثمن، فهو سيُقرب فقط نهاية الهيمنة الأرثوذكسية على مجالات الأحوال الشخصية. ومن الممكن منذ اليوم التحدث عن وضع فيه فصل فعلي بين الدين والدولة، بعد أن أصبح بإمكان الناس إيجاد حلول، في معظم الحالات، تلتف على الحاخامية. وما من شك أن خنوع الحاخام الأكبر "عمار" لإملاءات الحاخام "إلياشيف" سيُعجل بتحويل هذه العملية إلى وضع قانوني شرعي.

ثمة مغزى واحد واضح من إلغاء المؤتمر الدولي للحاخامات، الذي كان يعتزم، الأسبوع الماضي، مناقشة مشكلة المحرومات من الطلاق والوسائل الشرعية لحل المشكلة، ألا وهو أن هذه المحنة الإنسانية القاسية، والتي تعاني منها نساء متدينات كثيرات، لا تعنى المؤسسة "الحريدية" (الأرثوذكسية) في شيء، على الأقل طالما أن موقفها يتحدد من خلال توجيهات "مفتي العصر"، الحاخام "يوسف شالوم إلياشيف"، الذي ألقى المؤتمر.

لقد كان هذا المؤتمر على وشك الانعقاد في ظل ظروف مثالية بالنسبة للمؤسسة الدينية: فالدعوة إلى عقده جاءت من الحاخام الأكبر، "شلومو عمار"، وكل المشاركين فيه كانوا حاخامات وقضاة شرعيين أرثوذكسيين، وحُظرت، بناءً على طلب الحاخام "إلياشيف"، مشاركة نساء ومنظمات نسائية فيه. وإذا كانت المؤسسة الدينية عاجزة حتى في مثل هذه الظروف عن الالتئام وبحث الموضوع، فإنه من الواضح إذاً أنه لا ينبغي البحث عن الخلاص في إطارها. ومن ثم، فإن قرار منظمات المحرومات من الطلاق بعقد مؤتمر بديل هو إذاً خطوة في الاتجاه الصحيح، خاصة أن هناك دراسات تشير بوضوح إلى أن ثمة حلولاً شريعية (يقصد حلولاً من الشريعة اليهودية) واضحة لمحنة المحرومات من الطلاق.

ويبدو أن هذه الحلول تخيف الحاخامات الذين عملوا على إلغاء المؤتمر. فهم يفضلون التشدد في هذه المسألة خوفاً من أن تؤدي الضغوط على الزوج إلى اعتبار الطلاق "مصطنعاً"، بدلاً من التشدد في الاهتمام بالكرامة الممتنة للنساء وبضرورة حل محنتهن على وجه السرعة.

لهذه القضية خلاصتان: الأولى على الصعيد التنظيمي، فإذا كان زعماء الحاخامية الكبرى - في هذه الحالة الحاخام "شلومو عمار" - عاجزين عن التصدي لضغوط خارجية، وعن بلورة سياسة مستقلة،

إسرائيل في عقد الانهيار الاجتماعي

هاتسوفيه ٢٠٠٦/١١/١٥

الفرد عام ٢٠٠١ إلى ١٣٣٠١ شيكل، بينما في عام ٢٠٠٧ بلغ ١١٦٧٩ شيكلاً - وهو ما يمثل انخفاضا بنسبة ١٢٪.

وقد حصل رئيس المؤتمر الذي عُرضت فيه نتائج التقرير، عضو الكنيست حاييم أوران، على هذا التقرير اليوم. وبالإضافة إلى أوران، كان هناك عدد قليل من أعضاء الكنيست يشاركون في هذا النقاش المهم، من بينهم يوسى بيلين (حزب ميريتس)، دوف حنين (حزب حداث - الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) وستاس ميسجنيكوف (يسرائيل بيتينو). وقد غاب عن النقاش أعضاء كنيست آخرون يُفترض أنهم ينتمون إلى الأجندة الاجتماعية.

وعقب الأحداث الدموية التي وقعت الصيف الماضي، تطرق التقرير لحرب لبنان الثانية وتداعياتها على الوضع الاقتصادي. وقد صرح الوزير عمير بيرتس مؤخراً أنه رغم أنه يطالب بزيادة ميزانية الدفاع بسبب الحرب، إلا أن هذا لا يعنى المساس التلقائي بالميزانية الاجتماعية. ويعتقد مركز أدفا أن أمنية وزير الدفاع لا تمت بصلة للواقع، حيث تقدر وزارة المالية تكلفة الحرب بـ ١٣-١٤ مليار شيكل، وقد قررت الحكومة أنه سيتم توفير هذا المبلغ عام ٢٠٠٧ عن طريق زيادة الميزانية المرسودة للإنفاق وكذلك عن طريق الاستقطاعات من ميزانية الخدمات الاجتماعية.

نشر بالأمس مركز "أدفا" للمساواة والعدالة الاجتماعية في إسرائيل نتائجها، عقب تحليل الموازنة العامة لإسرائيل، وقد أوضحت النتائج أن "هذا هو العقد الضائع للمجتمع الإسرائيلي".

"لو جمعنا كل الاستقطاعات، يمكننا أن نقر الآن بأن العقد الحالي يبدو كأنه عقد الانهيار الاجتماعي"، هذا هو ما ورد في التقرير السنوي الصادر عن مركز أدفا الذي عرض بالأمس التحليل السنوي لمشروع الموازنة العامة لإسرائيل لعام ٢٠٠٧. يقدم مركز أدفا للبحوث، الذي ينشط في مجال المساواة والعدالة الاجتماعية في إسرائيل، للسنة العاشرة على التوالي، تقريره، الذي تدل نتائجه على انخفاض شديد في الأموال المرسودة لمعالجة المشكلات الاجتماعية، ذلك ما نشرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" كعادتها سنوياً، وقد أجرى مركز أدفا هذا العام مؤتمراً خاصاً لعرض نتائج هذا التقرير.

الادعاء الرئيسي الذي طُرح خلال المؤتمر مفاده أن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين سيُسجّل في التاريخ على أنه "العقد الضائع للمجتمع الإسرائيلي". وهذا الاعتقاد يستند إلى حقيقة أن ميزانية ٢٠٠٧، مع التوقعات الخاصة بميزانية ٢٠٠٨، تقوم على استقطاعات في الخدمات الاجتماعية، وذلك فضلاً عن الاستقطاعات التي حدثت في السنوات ما بين ٢٠٠١ و ٢٠٠٤. فعلى سبيل المثال، وصل معدل إنفاق

لو أن السنة هي ١٩٣٨

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٩

"السنة هي ١٩٣٨، إيران هي ألمانيا، وهاهي على وشك أن تسلح نفسها بسلاح نووي" هكذا قال "بنيامين نتنياهو" .. هذا الكلام، الذي أذيع في كل أرجاء العالم، بدا وكأنه بداية حالة من عدم ضبط النفس (المقصودة) استدعى فيها رئيس حكومة سابق كي يقول ما لا يرغب أن يقوله رئيس حكومة حالي بنفسه. ولكن هل هذا حقاً ما حدث الأسبوع الماضي؟ أم أن "نتنياهو" جهّز خطاباً ثاقباً يعيده إلى الوعي، ويظهر، من خلاله، أنه يدرك خطورة القنبلة الإيرانية أكثر من رئيس الحكومة الذي يشغل المنصب؟

من حق الجمهور أن يحصل على إجابات للأسئلة التالية: ما الذي تفعله الحكومة الإسرائيلية باستثناء الثرثرة حول التهديد الإيراني؟ ومن الذي يعالج الموضوع بالفعل؟ ما الذي حدث لمنتدى رؤساء الحكومات الذي كان من المقرر أن ينعقد بشكل دائم وأن يتشاور بشأن كيفية مواجهة التهديد الآخذ في التبلور على الأرض؟ وهل يتحدث كل من "نتنياهو"، "يهود باراك" و"يهود أولمرت" بوجه عام مع بعضهم بعضاً، أم أن لقاءً واحداً كان كافياً لخلق التأثير الإعلامي، وكل واحد الآن يستخدم الموضوع لأغراضه السياسية وحسب؟

من الصعب أن ننظر بجدية للتهديد الإيراني، ونحن نرى رئيس الحكومة يضع أمر معالجة الموضوع، الذي يصفه بأنه الأهم للغاية على جدول الأعمال الأمني، في يد الشريك الجديد والصغير في الحكومة "أفيجدور ليبرمان". ما الذي يفعله "ليبرمان" بالضبط في وزارة التهديد الاستراتيجي؟ ما هي صلاحياته؟ ولماذا طلب "أولمرت" من مسئولين كبار في إدارة "بوش" الاجتماع مع "ليبرمان"؟ أليس هذا موضوعاً ينبغي على رئيس الحكومة فقط أن يتحدث بشأنه مع الرئيس

الأمريكي؟

الأسبوع الماضي أدلى كل من "إفرايم سينييه"، "أولمرت" و"نتنياهو" بتصريحات ذات لهجة جديدة، واتسمت بنغمة استهدفت إثارة المخاوف والشكوك، حول موضوع كان يُناقش في الماضي في الغرف المغلقة. ذهل الجمهور حينما قرأ تلك التصريحات، فتوقيتها لم ينبع على ما يبدو من تفكير مرتب، وإنما من مجرد تصادف مناسبات ألقيت فيها خطب مؤثرة. الشعور السائد لدى الجمهور هو أنه لا يوجد سياسة في أي مجال، وإنما ردود أفعال فقط.

إن الجمهور لا يرغب في الإطلاع على تفاصيل سياسة الحكومة الإسرائيلية في مواجهة إيران، ولا بالتأكيد على المبادرات العسكرية، إن كانت هناك مبادرات عسكرية، ولكن في الوقت نفسه من حقه أن يعرف إن كانت هناك سياسة في هذا الشأن أم لا، وما هو تقسيم الأدوار؟ ليس من الجدير أن نترك هذا التوضيح (يقصد توضيح هذه الأمور) للجنة تحقيق في اليوم التالي (يقصد بعد أن تحدث إخفاقات مثل تلك التي حدثت في حرب لبنان الأخيرة). ينبغي على من يطلق تصريحات مخيفة أن يأخذ في الاعتبار العواقب التي قد تتجم عنها. فربما تجعل هذه التصريحات من إيران مشكلة يهودية بدلاً من كونها مشكلة عالمية، وربما تجعل من التهديدات الإسرائيلية مصدر قلق متزايداً، خاصة في ظل التصريحات البلاغية المضادة الصادرة عن "طهران".

نأمل، بغض النظر عن استطلاعات الرأي، أن تكون هناك بقايا من المسؤولية والفتنة، لأن اختيار "ليبرمان" وزيراً مسئولاً عن إيران هو علامة على التصلب من هذه المسؤولية.



الاهتمام وليس التدخل

هاآرتس ٢٣/١١/٢٠٠٦

السياسية. والدليل على ذلك، أن جميع التيارات في لبنان ليست مستعدة بعد لقبول مبدأ عمليات الاغتيال كوسيلة مشروعة لتحقيق إنجازات سياسية.

لكن لبنان على ما يبدو لا يستطيع أن يصمد وحده كالسد المنيع، ويحتاج إلى مساعدة دولية فعالة. وقد أوضح رئيس الحكومة "فؤاد السنيورة" أول أمس ما هو نوع المساعدة المطلوبة: تشكيل محكمة دولية على وجه السرعة، تحاكم المشتبه بهم في اغتيال رفيق الحريري وضحايا اغتيالات أخرى. يؤمن "السنيورة" بأن التلكؤ في تشكيل هذه المحكمة قد شجع قتلة "الجميل" على الظن بأن كل شيء ممكن.

ومن ثم، لا يجدر بالمجتمع الدولي أن يظل غير مبالياً تجاه هذا المطلب. وكذلك إسرائيل لا يجب أن تتظاهر باللامبالاة إزاء هذه التطورات في لبنان، وبخاصة عندما يكون من شأن هذه التطورات أن تحدث تغييراً سياسياً في الدولة الجارة وأن تشعل مرة أخرى بؤرة حرب. وإن كان من اللائق إقامة جدار فاصل عال ومحكم بين الاهتمام الحذر تجاه ما يحدث في لبنان وبين التدخل في شؤونه.

هذه لحظة قابلة للانفجار، ينبغي فيها على إسرائيل أن تساعد لبنان على تهدئة أعصابها. ومن شأن وقف الطلعات الجوية الاستفزازية في سماء لبنان، والإعلان عن الاستعداد للتفاوض حول الانسحاب من مزارع شبعا، وحتى الإعلان عن الاستعداد للتفاوض مع "بشار الأسد"، أن يكون إسهماً حقيقياً لتقليل إمكانية تأجج الموقف في لبنان.

يضع اغتيال وزير الصناعة اللبناني، "بيير الجميل"، منظومة القوى السياسية الهشة في لبنان أمام اختبار صعب. ليس فقط لكون الأمر يتعلق باغتيال سياسي - فقد كان هناك العديد من مثل هذه الاغتيالات في تاريخ هذه الدولة - ولكن التخوف هو من إمكانية أن تقرب أية عملية اغتيال جديدة لبنان من تجدد حرب أهلية ستخرج عن نطاق السيطرة.

لقد وقع الاغتيال في الوقت الذي كانت فيه حكومة "فؤاد السنيورة" في وضع من شأنه أن تفقد فيه قدرتها على فرض سلطتها، وبذا يحدث فراغ سياسي - على غرار ذلك القائم في السلطة الفلسطينية وفي العراق.. ولكن لبنان لم تصل بعد إلى مثل هذه المرحلة. فلديها مؤسسات حكم وقوى سياسية مؤثرة، تعترف بقيمة الديمقراطية وتريد مواصلة التمسك بها من أجل إحداث تغييرات. وهي أيضاً نموذج فريد من نوعه في الشرق الأوسط، تمنح فيه الدولة، بمبادرة منها، حقوقاً متساوية لأبناء جميع الطوائف والأديان. وبذا، تستطيع أن تكون نموذجاً يحتذى.

أيضاً دلت ردود أفعال الشخصيات العامة والمواطنين في الشارع على اغتيال "الجميل"، ليس فقط على تخوف من حدوث حرب أهلية، وإنما أيضاً تطلع إلى تحاشيها بأي ثمن. لذا من الممكن أن نفترض، أنه رغم عمليات الاغتيال في الدولة، فإن الخمس عشرة سنة التي مرت منذ نهاية الحرب الأهلية في لبنان قد أرسيت أساساً راسخة من التقدير للعملية الديمقراطية والاستعداد للتعاون الوطيد بين الطوائف والحركات

ترجمات عبرية

١

تداعيات توسيع الائتلاف الحكومي

هاتسوفيه ٢٠/١٠/٢٠٠٦
بقلم: موطى زيفت

بيرتس سيستمر في التأهب

جماهيره، الانسحاب على خلفية مشاكل اجتماعية، وسيكون هناك من سيجدون الفرصة للضغط من أجل ذلك. لقد انتصر "عمير بيرتس" أمس في معركة، لكن المعركة بداخل حزب العمل ما تزال أمامه. ففي الأيام القادمة ستبدأ المناقشات المكثفة حول ميزانية ٢٠٠٧، ولا تتوى "شيلي يحيموفيتش" ولا "أفيشاي برفرمان"، عضوا حزب العمل في لجنة المالية بالكنيست، جعل حياة الائتلاف الحكومي سهلة، على الرغم من أن حزبهما قرر البقاء شريكاً فيه. كما أن "أوفير بينيس" أشار في خطابه أمس إلى أنه ينضم إلى المتنافسين على زعامة حزب العمل.

على أية حال، لقد أزاح قرار أمس صداداً من رأس "أولرت"، الذي استطاع توسيع ائتلافه ليبلغ ٧٨ مقعداً.. لكن ما يجب أن يعيه "عمير بيرتس" هو أنه إذا نام أثناء الحراسة داخل حزبه، فإنه قد يجد نفسه في الخارج.

لم يفاجئ قرار اللجنة المركزية لحزب "العمل" أمس أحداً. فقد أدرك الحزب والقائم على رأسه أن الخروج الآن من الحكومة هو بمثابة ضربة قاصمة لصورة الحزب التي هي أساساً سيئة للغاية، علماً بأنه أيضاً، على الجهة المقابلة، لا يضمن الجلوس المشترك لحزب "العمل" مع "أفيجدور ليبرمان"، حول طاولة واحدة، طول العمر للحكومة.

يكفى أن نذكر الـ"خلل" الذي كان في بداية طريق الحكومة، برئيسها "أولرت"، وزعيم حزب العمل "بيرتس"، خاصة حول مسائل الكرامة، حتى نقدر بأن جلوس "ليبرمان" مع "بيرتس" حول نفس طاولة الحكومة سيزيد من فرص تقصير أيام الحكومة. وربما ما يؤكد ذلك أنه ليس عبثاً أن "بيرتس" قد أوضح في خطابه أمس أن "ليبرمان" لن يكون له موطئ قدم في وزارة الدفاع.

في حزب العمل، من المحبذ، من وجهة نظر

هاتسوفيه ٧/١١/٢٠٠٦
بقلم: نيتسان كيدار

ليبرمان يتحول إلى غير ذي صلة

تبذلوا جهداً وطاقة في الانشغال بهذا الإنسان غير المهم وعديم التأثير.

ومن جانبه، إذا كان "ليبرمان" يعتقد أن هذه هي الوسيلة لكي يتصدر العناوين (في الصحف ووسائل الإعلام)، فهو مؤكد مخطئ.. فالكلام الذي قاله لصحيفة بريطانية هذا الأسبوع والذي مفاده وجوب الفصل التام بين العرب - بما في ذلك عرب إسرائيل - واليهود، حتى يتحقق سلام هنا، يضعه في وضع

قال وزير البنى التحتية، "بنيامين بن اليعيزر" من حزب العمل أمس أن الوزير "أفيجدور ليبرمان" شخصية غير ذات صلة. إذا ما فكرنا جيداً في هذا الكلام سنرى أن الوعي بأنه محق جداً في هذا التحفظ يتسلل شيئاً شيئاً (يقصد يتسلل حتى يصبح قناعة)، فليبرمان يتحول إلى غير ذي صلة. قال "بن اليعيزر" هذا الكلام إلى زملائه في الحزب، خلال جلسة الكتلة التي عقدت أمس بعد الظهر، وأضاف: "أتوسل إليكم ألا

إشكالي، حيث لا أحد يصدق في اليمين، لكونه انضم إلى حكومة "أولمرت" بدلاً من أن يحاربها من الخارج، ولا هناك في اليسار من يؤيد موقفه على كل الأحوال، وحتى رئيس الحكومة سبق وتصل من كلامه.. لذا، يحول "ليبرمان" نفسه بهذا الكلام إلى غير ذي صلة، لأنه يبدو كممثل لليمين، الذي لا يرغب في أن يكون ممثلاً له، في حكومة لا مكان فيها له ولآرائه. كما أن المنصب الذي حصل عليه يبدو مفتعلاً بعض الشيء، خاصة في ضوء حقيقة أن الأمر يتعلق بمنصب ليست له صلاحيات حقيقية.

لقد أثار "ليبرمان" عليه الأغلبية الصامتة، لمجرد أنه يرى من المهم بالنسبة له أن يقول شيئاً في الإعلام العالمي، رغم علمه علم اليقين بأنه ليس ثمة فرصة لأن يتبنى أحد في هذه الحكومة، وكما يبدو أيضاً في الحكومات القادمة، شيئاً من موقفه.

ولكن، كما هو معروف، فإن صنع عناوين (في الصحف ووسائل الإعلام) لا يكلف مالا. ولكن بهذا، فإن الوزير الوحيد الذي يمثل بصورة ما اليمين في الحكومة، وضع نفسه موضع سخرة، وأظهر إلى أي مدى يمكن أن يكون موقفه واهماً.

إن الموقف الذي يعرضه "ليبرمان" تجاه الجمهور العربي جيد فقط من أجل الكلام وليس من أجل تنفيذه

على الأرض. لقد كان دخول "ليبرمان" إلى هذه الحكومة خطأً. الآن هو يفعل كل شيء من أجل أن يسمعه أحد من داخل هذه الحكومة، التي ستفعل كل ما يعارضه هو في نهاية الأمر. فهي لن تغير نظام الحكم مثلما أراد، وستخلى بؤراً استيطانية ولن تصادق على عقد الزواج الجديد المقترح.

إن "ليبرمان"، كما سبق وكتبنا هنا في الماضي، قد دخل الحكومة مقابل ثمن بخس وربما حتى أقل. فليست له وزارة تنفيذية، وسائر رفاقه في الكتلة بقوا في مكانهم وخسروا حتى مناصب في لجان كنيست لا يستطيع أعضاء الائتلاف الحكومي رئاستها.

يبدو أن "ليبرمان" أراد أن يخرج منتصراً، ولكنه خرج، حتى الآن، خاسراً من كل زاوية ننظر إليها. هل سيترك الحكومة؟ ليس هذا خياراً يدرسه. كما أن "أولمرت" على استعداد لأن يسمح له بأن "يشاغب" قليلاً على الحساب، ولكن عندما سيحتاج أصابع حزيه في الكنيست للتصويت على إخلاء بؤر استيطانية، فإنه في هذه اللحظة سيحصل على أصواتهم (يقصد لأنهم قبلوا من البداية الانضمام للائتلاف الحكومي وأن كل شيء له مقابل يجب دفعه) والأهم أنه سيعيد الكتلة الحزبية (التي وصلت الآن إلى ٧٨ عضواً) إلى الانضباط الذي يريده.

فوق الحكومة والكنيست

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٥

بقلم: باروخ كمرلينج

إذا كان الأمر يتعلق فعلاً بسياسة متعمدة وموجهة، فالسؤال المطروح هو من ومتى وكيف صدر قرار بانتهاجها؟ هذا هو السؤال الأكثر أهمية من التحقيق في مختلف جوانب حرب لبنان الثانية، والذي يترتب عليه السؤال: من يحكم إسرائيل فعلياً؟

الانطباع الذي يتكون من ذلك هو أن مركز صناعة القرار لا يوجد في المؤسسات المنتخبة، وإنما يقع في أيدي فئتين منفصلتين لا يتحكم فيهما أحد، وهما اللتان تديران فعلياً السياستين الاجتماعية والأمنية في إسرائيل:

الفئة الأولى تتكون من مسئولى وزارة المالية، وهي مجموعة من خبراء الاقتصاد المحترفين المؤمنين برسالتهم في المجتمع، المتمثلة في الدفع بعجلة التنمية وتحقيق الرخاء الاقتصادي. ليس لديهم مصالح شخصية، ولكن من وراء اعتباراتهم المهنية توجد أيديولوجياً ليبرالية جديدة راسخة، هي التي اغتالت دولة الرفاه.

منذ أشهر، والجيش الإسرائيلي يجتاح أراضى الضفة الغربية والقطاع بشكل منهجي، ويعتقل أو يقتل "مطلوبين"، ويقوم بعمليات عسكرية لا تخلف وراءها سوى مئات القتلى "المسلحين" أو "المدنيين"، فضلاً عن الدمار والخراب الذي يلحق بالبنى التحتية.

إذا كان يمكن بالكاد تبرير هذا القتل والدمار في غزّة بأنه نتيجة لإطلاق صواريخ القسام وعمليات التهريب عند محور فيلادلفي، فإن حملات الاعتقال والقتل في الضفة لا يوجد لها أي مبرر "أمني"، خاصة عقب وقف العمليات الانتحارية.

من الواضح أن السياسة الفعلية التي ينتهجها أولمرت وعمير بيرتس لا تخدم سوى هدفين يترتب كل منهما على الآخر: الأول هو منع الفلسطينيين من إقامة دولة ذات سيادة قادرة على الحياة، وفي الوقت ذاته كسب الوقت لترسيخ وجود المستعمرات. والهدف الثاني هو إشعال نيران الكراهية والرغبة في الانتقام لدى الجانبين، من أجل إثبات النظرية التي تقول "لا يوجد شريك".

وتتغير قوة الفئة الثانية الحاكمة في إسرائيل - المؤسسة الأمنية - بين الحين والآخر، وتتكون هي الأخرى من مجموعة محترفين تحتكر الخبرة والمعرفة. وكلما ضعفت الزعامة المدنية، كلما تزايدت قوة هذه الفئة. ففي حربى لبنان الأولى والثانية، على سبيل المثال، رصد الجيش شدة ضعف القيادة المدنية واستغلها في الدفع بمصالحه الخاصة. ولا داعى للإشارة إلى أن الجيش لديه مصالح متنوعة أكثر من موظفى وزارة المالية، بما فى ذلك احتياجات مادية تمكنه من إقامة جهة بمثابة دولة داخل الدولة. وهناك حاجة لوجود الجيش تتمثل فى الدفاع عن الدولة ومواجهة التهديدات الخارجية، وإذا لم تكن هناك تهديدات واضحة من الممكن اختلاقها، من خلال عقد تحالفات خفية مع جماعات سياسية مدنية - مستعمرين ودينيين قوميين أو يمين علمانى متطرف.

قبل انتخابات ٢٠٠٦ انحرف الحوار العام بعيداً عن القضايا الأمنية ليتركز على القضايا الاجتماعية. وكان هذا الانحراف أمراً لا يحتمل بالنسبة للمؤسسة العسكرية، التى استطاعت بسهولة أسر ساسة متوسطى المستوى وعديمى الخبرة، وقادتهم نحو مغامرة لازالت مستمرة حتى يومنا هذا. لا تتجه النية للحديث هنا عن نظرية المؤامرة، فالأمر يتعلق بنتيجة حتمية لتركيبية مؤسسية فاشلة وبنية تحتية أخلاقية معيبة فى أساسها تساق إسرائيل إليها منذ عقود. والأسئلة التى نطرحها مرة أخرى: مَنْ يحكم إسرائيل فعلياً؟ وكيف؟ وما هى شبكات الاتصال بين النخب الحاكمة المستفيدة من وجود هذا النظام؟ يجب دراستها دراسة وافية.. فكل الأخطاء والجرائم التى رأيناها تتبع مؤخراً من هذه الأسئلة الأساسية.

جايدماك: رئيس الوزراء أم رئيس الأركان؟

هاتسوفيه ٢٢/١١/٢٠٠٦
بقلم: يشعياهو أشيل

ليس جيداً لمن يعتقدون أنفسهم ساسة من الفريق القومى لدينا (يقصد أعضاء الائتلاف الحكومى) أن يكون هناك "سخى شهير"، مثل "أركادى جايدماك"، يُجهز على آمالهم فى الاستحواذ على رأى العام. والأدهى من ذلك شعور الاستمتاع الذى انتاب ناخبهم السابقين، وهم يرون هذا الثرى وهو يجردهم من ملابسهم ويجعلهم عراة، ويبدون كفاشلين ومخطئين دائمين.

لماذا يتساءلون: مَنْ يكون هذا الجايدماك الذى تدخل بوقاحة فى بواطن أمور الحكومة؟ وكيف يستطيع إقامة مدينة مخيمات للاجئين من صواريخ الكاتيوشا ويصرف إجازات استجمام لضحايا القسام على نفقته الخاصة ودون تمويل من الحكومة ودون مناقشات وزارية ومؤتمرات وجلسات، وتعيين مدراء وتشكيل لجان رئيسية ولجان فرعية، وكأنه لا توجد حكومة؟.

إن هذا التصرف يجرى النظام الديموقراطى الوحيد فى الشرق الأوسط، ولا يلحق ضرراً برئيس الوزراء البائس فحسب، وإنما أيضاً بموظف حزب العمل (المقصود بيرتس)، الذى هب فوراً للمطالبة بإجراء تحقيق بمعرفة الشرطة والنيابة لمعرفة من أين له بهذا المال حتى يهدره هكذا بلا حساب.

وهذا يجسد مقولة دان حالوتس، رئيس أركان الطرد (المقصود إخلاء جوش قطيف)، أن هناك من

يقومون بالعمل وهناك من يسقطون بدلاً عنهم.. وهو ما يدعو للتفكير فى إعادة هيكلة حكومية تقوم على "محك اختبار" حقيقي، بشرط ألا يقترب رجل كهذا من منصب وزير دفاع، وبالتالي ألا يصبح رئيساً للوزراء.. ولكن، على العكس، يبدو أن جايدماك هذا يقترب من تلك المناصب المنشودة. وإن لم يكن الأمر كذلك، فإنه على الأقل يقترب من منصب رئيس الأركان. فإذا كان محك الاختبار هو المهارات الأساسية، وبناءً على نتائج اختبار مهارات رئيس أركان الطرد (يقصد أن إخفاق حالوتس فى إدارة حرب لبنان الأخيرة أثبتت أنه بلا مهارات)، ما هو الضرر الذى قد يحدث لو تم استبداله بجايدماك؟. ألا يستحق الأمر التجربة؟. على أية حال لن يكون هناك ما هو أسوأ.

واستكمالا لأوجه القصور والفسل، تنشغل الحكومة والجيش الآن بتبادل الاتهامات بشأن المسئولية عن صواريخ القسام التى مازالت تحلق فوق سماء المنطقة. وسواء هؤلاء أو أولئك، كل منهما رفض فى الوقت الحاسم أن يفهم الحافز من إطلاق صواريخ القسام الذى أفرزته خطة فك الارتباط. ولم يبق الآن سوى حرب العميان فى ساحة يسودها الصمم السياسى ومجموعة متنوعة من الحماقات المتأصلة.

إن إنجازات كهذه (الكاتب يسخر من الحكومة)

تدفع المجنون الجديد في طهران للعمل بجدية ضدنا، حتى إنه من خلال استخفافه بقوة الردع الإسرائيلية، يعطى لنجوم الحكومة درجة "راسب".

إن الأسئلة التي تطرح نفسها بقوة هنا هي: ماذا نفعل وأركادي جايدماك هو الشخص الذي أدهشنا بإنجازاته، والوحيد الذي صمد تماماً أمام محك الاختبار؟.. ماذا عن تخويل هذا الثرى على الأقل

أولمرت ضد الجميع

افتتاحية هاآرتس

٢٠٠٦/١١/٢٢

يقول رئيس الحكومة أن الحكومة ليست ناد للنقاشات المفتوحة، وبذا فإنه يدفن كل مبادرة سياسية يتم طرحها، حتى وإن كان من يطرحها هو وزير الخارجية، التي من المفترض أن جزءاً رئيسياً من مهامها هو رسم السياسات.

إن إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل لا يتوقف، بل على العكس قد يتطور ويصل أيضاً إلى مناطق شمالية أكثر من "سدبروت" و"عسقلان". والمحادثات عن وقف إطلاق النار، أياً ما كان المتحدث، هي ضرورة حتمية. لا يمكن تحصين كل دولة إسرائيل، بيتاً بيتاً، وفصلاً فصلاً، ضد تهديدات من الشمال والجنوب، ولا يمكن ضمان أمن المواطنين عن طريق تطوير وشراء المزيد والمزيد من منظومات السلاح، التي هي في حد ذاتها قد تكون مصدراً لقلق الجمهور.

ونظراً لأن القيام أيضاً بعملية عسكرية واسعة النطاق في غزة، كما توصى المعارضة بشدة، لن يمنع استئناف العمليات العدائية بوسائل جديدة، فإنه ينبغي السعي بلا توقف وبلا كلل نحو وقف إطلاق النار، إذ لا يمكن وقف استخدام السكاكين والانتحاريين، وصواريخ القسام والأنفاق عن طريق سياسة الاغتيالات والدبابات، وإنما عن طريق الاتفاقيات فقط.

ينبغي توافر ما هو أكثر من القدرة على البقاء في المنصب من أجل قيادة دولة إسرائيل. على رئيس الحكومة أن يشكل طاقماً وزارياً يثق فيه ويمنحه وضعاً مميزاً وصلاحيات واسعة. أما حسابات المقربين مع المقربين فليست سياسة.. لقد مر عام، ومضت حرب، ولا يوجد حتى الآن شعور بأن الحكومة تحكم.

لقد سمح "عمير بيرتس" لنفسه، بالمخالفة لقواعد الإدارة السليمة، بأن يتحدث مع رئيس السلطة الفلسطينية حول وقف إطلاق نار في غزة. الحديث هنا يدور عن وزير دفاع دولة إسرائيل، الذي من المفترض أنه منوط بتحقيق الأمن، بما في ذلك وقف إطلاق صواريخ القسام، فكيف يتحدث مع من يهددون هذا الأمن؟.. هكذا يتحدثون داخل الائتلاف.

لقد قوبل الاستعداد الذي أعربت عنه "حماس" لوقف إطلاق النار باستخفاف في إسرائيل، فقط لأنه تمخض عن حديث تليفوني بين "محمود عباس" (أبو مازن) و"بيرتس" بوساطة من "محمد بركة" (عضو كنيسة ومن زعماء عرب إسرائيل).. إن ما يبدو من هذا الخلاف التافه على الصلاحيات حول نجاح لم يولد بعد، يهتم في الأساس بإنقاذ أرواح، يدل على فشل في معالجة موضوعات ملحة مع تركيز مفرط فقط على المكانة، في الوقت الذي نحن فيه في حاجة إلى زعامة متعاونة ومسئولة.

يبدو عدم رضا "إيهود أولمرت" عن المبادرة الذاتية لـ "بيرتس" وكأنه عدم رضا مزمن لرئيس الحكومة عن جميع المحيطين به، بما في ذلك أشخاص عيّنهم هو نفسه في مناصبهم، ومن المفترض أن يدير الدولة بمساعدتهم.. فإذا كان مقدراً أن يتم تغيير وزير الدفاع، فعليه أن يغيره. وإذا كان القائم بأعمال وزير العدل لا يروقه، فقد كان يتعين عليه أن يختار للمنصب شخصاً آخر. وإذا كان "أفيجدور ليبيرمان" ليست له صلاحية في الشؤون الاستراتيجية، كما تم التلميح، فلم يكن ينبغي على الإطلاق وضع الموضوع بين يديه.

■ ما كان يجب عمله في الربيع، لا يمكن عمله في الشتاء

يسجل في سيرته الذاتية ذلك الفوز، ويكفيه أيضاً أن ينظر حوله إلى سيرة الوزير فؤاد بن اليعيزر أو موشيه أرنس ليفهم كم فعل كل منهما حين كان وزيراً للدفاع وما هو حالهما الآن.

لقد أخطأ بيرتس عندما قبل بحقيبة الدفاع، ولكن أولرت كان خطأه لا يقل عن ذلك، عندما وافق على منحه تلك الحقيبة. ومع تشكيل الحكومة تباثت ربما مع كثير من الآخرين بأن وظيفة بيرتس كوزير للدفاع لن تكون سهلة، وهذا ما أظهرته الأيام، وأنه من الأفضل له أن يتخلى عن الدفاع لمصلحة وزارة لها علاقة بالاقتصاد والمجتمع (في المرة الأخيرة كان ذلك في السابع من أكتوبر). الأشخاص الذين دفعوا بيرتس ليأخذ حقيبة الدفاع يفسرون رأيهم الذي تغير، "بعد أن خسرنا في حرب لبنان" وحتى يثبتوا أنهم يسيرون وراء نسب الاستفتاءات الشعبية، والتي بموجبها يعتقد ٧٠ في المائة وحتى ٨٠ في المائة من الإسرائيليين بأن بيرتس ليس أهلاً للوظيفة.

بالنسبة "للخسارة" في لبنان، فإنني سأقتبس من مقال للصحفي ناحوم برنيان نشر مؤخراً في المجلة الأمريكية المعروفة "فورين بوليسي": "إسرائيل لم تنتصر انتصاراً حاسماً في حربها ضد حزب الله، ولكنها أيضاً لم تخسر.. وعلى الرغم من النقد الشديد الذي وُجّه إلى تنفيذ الجيش الإسرائيلي لواجباته، فإن إسرائيل أحرزت بعض الأهداف الأساسية، منها إبعاد أفراد حزب الله من جنوب لبنان وإضعاف تأثيره وقدرته العسكرية العامة. لكن الرأي العام في البلاد كان يتطلع إلى أكثر من ذلك". وماذا الآن؟ التواجد الحالي لعمير بيرتس في وزارة الدفاع انتهى، ومهما كانت خطابهات حول ذلك، فقد انتهى.

إنه يستطيع المكوث أكثر فأكثر لبعض الوقت، وأن يعرج بجناحين مصابين، ولكن هل سيستطيع في هذه الحالة الانتقال إلى وزارة المالية؟ أعقد أنه لا يستطيع. فبالنسبة لكيفية أداء عمله في وزارة الدفاع والتقدير السلبية الكبيرة على أدائه لهذه الوظيفة، لا يوجد الآن أي خيار آخر سوى تعيينه وزيراً للمالية. إن عملية كهذه تعتبر نوعاً من المخاطر الفورية اللازمة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي.

ليس لدى أي شك بأنه لو قبل بوزارة المالية في حينه، قبل ثمانية أشهر، فإنه كان سينجح في أدائه للوظيفة، ولكن الآن فإن ما كان مرغوباً ومطلوباً له لأن يفعله في الربيع، لم يعد مرغوباً ومطلوباً في الشتاء. ثمانية أشهر في السياسة الإسرائيلية تعتبر زمناً طويلاً، وفترة كبيرة جداً. وأولمرت وبيرتس قد تعلم أحدهما من الآخر بأن الطريق إلى ذلك وتحقيق ما يريدانه بات طريقاً صعباً.

أعضاء في حزب العمل ومحللين في الإعلام يطالبون عمير بيرتس بالاستقالة من منصبه كوزير للدفاع، وآخرون يوصونه بالمطالبة بدلاً من الدفاع بحقيبة المالية. وبيرتس، هكذا يكتبون، "اختار منصب الدفاع من أجل الشهرة"، وعليه الآن أن يتركها فوراً.

لقد تذكرتم متأخرين، يا أصدقائي وصديقاتي. فقد كانت وسائل الإعلام تتحدث جميعها تقريباً، إبان تشكيل الائتلاف الحكومي، وبصوت واحد: بيرتس جيد للدفاع، بيرتس سيء للمالية. بل وأن محللين ومختصين توحدوا آنذاك معاً تحت شعار "يجب أن يكون وزير الدفاع شخص مدني"، وشرحوا ذلك لبيرتس وأكدوا بأن حقيبة الدفاع جيدة بالنسبة له. الدفاع، وليس، لا سمح الله، المالية.

والآن، صحف كثيرة تطالب، ومن خلال مقالات وقحة، أن يُقدم بيرتس استقالته. والتبرير الأساسي الذي يساق في هذه المقالات اقتصادية - اجتماعي، مفاده أن عمير بيرتس كوزير للدفاع، هكذا يدعى مؤيدو التعيين، يمكن أن يقلص عشرات المليارات من الشواكل في ميزانية الدفاع وأن يحولها لمحاربة الفقر.

كان لدى رأي مختلف في ذلك، وهو ما كان يوصف برأي الأقلية.. لقد كتبت كثيراً بأن بيرتس لا يصلح لأن يكون وزيراً للدفاع، وسجلت ذلك في الصحيفة حتى بقولي: "هيا، عمير بيرتس تنازل عن وزارة الدفاع وعن الجيش". وحذرت بأن الكثير من المحللين والمعلقين الأصدقاء "يجهزون له مصيدة قد لا يتمكن من الخروج منها"، و"سيبيعونه في سوق لن يقوى على الصمود فيها".

هناك ثلاثة أشخاص، من الذين يقودون توجهها واضحاً في هذه المسألة، هم: محافظ بنك إسرائيل البروفيسور ستانلي فيشر، ومدير بنك هبوعليم شلومو نجما، ورجل الأعمال بنى جيئون - قالوا في محاضرات أكدوا فيها أن بيرتس يمكن أن يكون وزيراً جيداً للمالية، بل ربما يكون جيداً جداً، للمالية نعم، ولكن ليس للدفاع.

لكن بيرتس لم يُرد الإصغاء لأحد، وادعى آنذاك بأن ليس لديه مناص، لأن كادياً لن يتنازل له أبداً عن حقيبة المالية، وأنه كوزير للدفاع ربما يشق طريقاً إلى رئاسة الحكومة. ولكن حقيقة الأمر أن كلا الادعاءين لم يكن يصلحاً للنقاش. فبالنسبة لأولمرت لم يكن لديه مفر إلا من تشكيل حكومة مع حزب العمل، ولو أن عمير بيرتس أصّر على قبول حقيبة المالية كشرط لا يتنازل عنه لهذا الائتلاف، لكان قد فاز بها. أما بالنسبة للادعاء السياسي بأن تلك كانت الطريق لرئاسة الحكومة، فإن هذا الادعاء كان يمكن أن يأخذه ويمر به عن طريق المالية ربما أكثر من طريق الدفاع، ويكفي أن

زيارة أولمرت لواشنطن

المواطنون يشعرون بالقلق

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٤
بقلم: ألوف بن

لهم الفوز في انتخابات التجديد التصفي الأخيرة (الكاتب يريد أن يقول أن أولمرت بهذا التأييد لبقاء القوات الأمريكية في العراق قد انحاز لموقف الجمهوريين على موقف الديموقراطيين، وهو ما قد تكون له آثار سلبية في المستقبل، خاصة إذا فاز الحزب الديموقراطي في انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة).

ويأمل بوش أن يكتفي الديموقراطيون بالفوز الذي حققوه الأسبوع الماضي، ويخففوا الآن من حدة مطالبهم بالخروج من العراق. وقد قال لأولمرت: "لقد فاز حزب المعارضة. والآن هم يدركون أن الفوز يلقي بالمسئولية على كاهلهم". بوش بالطبع يقصد، حسب بسيطة، أن الديموقراطيين سيبدأون الآن الاستعداد لخوض الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨. ولو أنهم أيّدوا الهروب السريع من العراق، ستكون الأزمة التي ستقع هناك من نصيب الرئيس الديموقراطي الذي سيخلف الرئيس بوش. ولذا، فهم يفضلون العمل الآن من أجل التوصل لصيغة تفاهم مع الجمهوريون.

لقد التقى بوش بالأمس مع أعضاء لجنة بيكر المعنية ببلورة استراتيجية جديدة للعراق. وكان من المقرر أن يوفر حلولا لحالة التخبط التي يعانيها، وأن يعرضوا موقف ثنائي يخفف من حدة الخلاف السياسي في أمريكا. وتقيد الأنباء التي تم تسريبها بأن جيمس بيكر سيدعو إلى حوار مع إيران وسوريا، في محاولة للتخفيف من حدة تصرفاتهما المتطرفة، وإن كانت هذه الفكرة مازالت محل خلاف في واشنطن.

وقد كان كبح جماح التهديد الإيراني على رأس جدول أعمال لقاء أولمرت وبوش، حيث صرح رئيس الحكومة كعادته بأنه يشعر بالرضا عن هذه الجزئية

تعهد رئيس الحكومة إيهود أولمرت بأن زيارته لواشنطن لن تسفر عن عناوين كبيرة ومبادرات سياسية جديدة، وقد أوفى بوعده. فلم يقدم لقاءه القصير مع الرئيس جورج بوش، الذي استغرق ٤٥ دقيقة فقط، أكثر من التوضيح بأن رئيس الحكومة إيهود أولمرت ليس وحده الذي يعاني من حالة تخبط، وإنما يشاركه في ذلك الرئيس بوش.

لقد ظهر عنوان مهم خلال اللقاء يتعلق بالأوضاع في العراق. فقد أعلن أولمرت أن الحرب في العراق أدت إلى الاستقرار في المنطقة وأسهمت إسهاما إيجابيا في استقرار الوضع الاستراتيجي لإسرائيل والدول العربية المعتدلة. وينضم شكر أولمرت العلني لبوش على غزوه للعراق إلى دعوته العلنية قبل أيام، والتي عارض فيها الانسحاب الأمريكي السريع من العراق. وهكذا، يكون رئيس الحكومة قد تخطى القيود التي فرضها رئيس الحكومة السابق، آريئيل شارون، على التصريحات الإسرائيلية فيما يتعلق بالأوضاع في العراق، حيث كان شارون دائما ما يخشى أن يتم اتهام إسرائيل وأنصارها اليهود داخل الإدارة الأمريكية بأنهم ورطوا واشنطن في المستقع العراقي من أجل تحقيق مصالح إسرائيلية.

والآن، يقف أولمرت على رأس المعارضين للخروج من العراق.. وموقفه لا يفتقد إلى المنطق، فإسرائيل ومجموعة دول "المحور المعتدل" العربي، تفضل وجود جيش أمريكي في العراق، حتى لو كان منهكاً، على دولة شيعية متطرفة تعمل تحت رعاية إيران، وعلى خروج إرهابيين محنكين إلى كل المنطقة. لكن بمجرد أن صرح بذلك علنية، فإن أولمرت يكون قد انضم إلى جانب بوش في الجدل السياسي الداخلي الدائر في الولايات المتحدة، حيث يعارض الزعماء الديموقراطيين بالكونجرس الحرب في العراق، وهو السبب الذي حقق

من الحديث، وإن لم يكن السبب واضحاً. وفي المؤتمر الصحفي، بدأ الرئيس بوش غير ملتزم عندما أعلن أنه يجب على العالم بأسره التصدي لإيران. وهذا يعني أن مسئولية فرض عزلة وعقوبات اقتصادية على الإيرانيين ملقاة على عاتق الروس وأوروبا، وليس على أمريكا بمفردها.

وفي إحدى الأجزاء المهمة من الحديث، تحدث

الزعيمان عن مشكلاتهما السياسية. فقد أبلغ بوش أولمرت بفوز الديموقراطيين في الكونجرس، بينما تحدث أولمرت عن توسيع الحكومة. وقد طلب أولمرت من كبار مسئولى الإدارة الأمريكية لقاء أفيجدور ليبرمان في زيارته المقبلة لواشنطن الشهر القادم. وقال أولمرت: "لن يقابله الرئيس بوش، ولكن شخصيات أخرى".

بلا أجندة وفخور بذلك

معاريف ٢٠٠٦/١١/١٤

بقلم: باراك رافيد

داخل الجيش".

◆ يبدو أن رئيس الحكومة يؤمن بالفموض المطلق:

لم يكن تقرير دورون هو الشيء الوحيد الذي لم يطلع عليه أولمرت على حد قوله. فهو لم يطلع أيضاً على الحديث الذي أدلى به نائب وزير الدفاع إفرام سينييه لصحيفة "جيروزاليم بوست" وصرح فيه بتصريحات حادة بخصوص الشأن النووي الإيراني، ولا على المقالات الصحفية الأمريكية التي تناولت زيارته لواشنطن. وهناك شيء واحد يتذكره أولمرت: التصريحات التي أدلى بها في المقابلات التي أجراها في الفترة الأخيرة. وبخبرة محامى محترف، كان يقتبس تلك الأقوال ويصحح للصحفيين.

بوجه عام، كان يبدو أن رئيس الحكومة لم يهتم بالحديث عن القضايا السياسية، أو على الأقل الإدلاء بتصريحات جديدة. عندما سأله الصحفيون عن قضايا محل خلاف مع الإدارة الأمريكية، مثل تحليق طائرات الاستطلاع في سماء لبنان، والنشاط العسكري في غزة، كانت إجاباته جاهزة ومقتضبة. وقد قال: "لقد تحدثنا عن فرض حظر على لبنان ومراقبته، وكل ذلك تم في ظل مناخ متفق عليه".

إن الفموض يغلف تصريحات رئيس الحكومة. وقد برز ذلك أيضاً في القضية الفلسطينية، حينما قال أولمرت دون تفسير: "هناك أفكار كثيرة نتحدث فيها مع الأمريكيين بشأن القضية الفلسطينية. إننا على استعداد لبذل جهود كبيرة لدعم القوى المعتدلة داخل السلطة الفلسطينية، لاسيما في ظل حالة التوتر مع حماس.. لدينا أفكار متنوعة، لكننا لم نوضح كل هذه الأفكار".

الشيء المؤكد هو أن رئيس الحكومة إيهود أولمرت يرفض تماماً عقد مؤتمر سلام دولي، وقد أكد على ذلك، قائلاً: "لن يكون هذا بديلاً عن المفاوضات المباشرة مع الفلسطينيين. فلا بديل عن الاتصالات المباشرة، ولا اعتقد أن محاولة مؤتمر مدريد تشجع مثل هذه الأمور في المستقبل. أما إذا كانت هذه مجرد محاولة لتحريك الأمور، فسوف نفكر فيها".

"لا ينبغي النظر إلى كل زيارة لواشنطن بأنها ستسفر عن تطورات دراماتيكية" ذلك ما قاله رئيس الحكومة إيهود أولمرت في المؤتمر الصحفي بعد لقاءه بالرئيس الأمريكي جورج بوش في البيت الأبيض. وبالفعل، فاللقاء مع بوش والزيارة الحالية بوجه عام لم يشهدا أى حادث درامي. والاعتقاد السائد هو أن هذا حادث هامشي ومبالغ فيه، وربما يكون ذلك نتيجة لغياب أجندة سياسية واضحة المعالم. ففي الطائرة المتجهة إلى واشنطن، لم يحاول أولمرت إخفاء ذلك. فقد قال: "لقائي مع الرئيس بوش ليس نتيجة لجدول الأعمال، وإنما كجزء من زيارتي للولايات المتحدة لحضور المؤتمر السنوي للجاليات اليهودية. ولذا، فسوف نلتقى في طريقنا مع الرئيس".

لا يبدو أن هناك ما يقلق أولمرت، لا الجمود السياسي، ولا التمزق المتزايد داخل قيادة الجيش الإسرائيلي. حتى فيما يتعلق بالشأن الإيراني يبدو هادئاً، فقبل ستة أشهر، خلال زيارته الأولى للبيت الأبيض، أكد على مدى رضائه عن الموقف الأمريكي فيما يتعلق بالقضية الإيرانية. ويمكن سماع النغمة ذاتها أيضاً في هذه الزيارة، لكن عندما يُطلب منه تفسير سبب هذه الثقة، يجيب بصورة مقتضبة، حيث صرح أولمرت للصحفيين: "لا أرغب في مواجهة إيران. لقد خرجت بانطباع غريب من لقائي بالرئيس بوش بعد حديث طويل عن الشأن الإيراني".

لقد وصلت الأنباء حول استقالة العميد جال هيرش إلى واشنطن، حيث يوجد رئيس الحكومة إيهود أولمرت. وقد أجاد أولمرت حينما أبلغ الصحفيين عن شجاعة هيرش، وعن التقدير البالغ الذي يكتنه لمن وقف على خط الجبهة في حروب إسرائيل، كما أعرب عن أسفه لاستقالته. لكننا، في الوقت نفسه، لم نسمع موقفه الحقيقي في حروب الجنرالات العسكريين، ولا في الأزمة الطاحنة في الجيش على مستوى القيادة. وقد قال أولمرت: "لا أعلم بأمر التقرير الذي أصدره دورون الموج، واعتقد أن رئيس الأركان يعالج هذه المسألة، وأثق أن الأمور ستنتهي بعد انتهاء المناقشات

أبواب منزلقة في واشنطن

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٦
بقلم: ألوف بن

أولمرت "لا" لأي تغيير في الموقف الأمريكي، محذراً من الانسحاب المتسرع من العراق، ومعارضاً التفاوض مع سوريا، كما طالب بإخافة إيران، ورفض المؤتمر الدولي مُصراً على اعتراف الحكومة الفلسطينية بإسرائيل. هكذا يتصرف التاجر الشاطر: يُخفض الأسعار عندما يكون الطلب منخفضاً، ويرفعها عندما يزداد. ومن ثم، ستلزم المواقف الأولية المتشددة، التي طرحها أولمرت على بوش، الإدارة الأمريكية بالتوصل إلى تفاهم مع إسرائيل على أي تحول في السياسة الأمريكية. وهكذا، يستطيع أولمرت طرح مطالب مضادة، والحصول على مقابل بدلاً من التنازل المسبق.

السيناريو الثاني: الفاشل.. فقد سافر أولمرت في زيارة لا لزوم لها لأمريكا، وهو مضروب وجريح من الحرب في لبنان، فضلاً عن تراجع شعبيته في استطلاعات الرأي، والاتهامات الموجهة إليه بالفساد في الداخل.. على أية حال، كم هو لطيف أن يهرب المرء لعدة أيام من المشاكل الداخلية، كما أنها فرصة لتعزية بوش على هزيمته في انتخابات الكونجرس واللقاء بكبار المتبرعين في الجالية اليهودية.

وخلال رحلته لواشنطن، اتضح لأولمرت أن الإدارة الأمريكية غيرت قواعد اللعبة، حيث تبحث عن سبيل للخروج من المستنقع العراقي ومن الشلل السياسي في الشرق الأوسط. وفي ظل غياب خطة أو أجندة خاصة، باستثناء السعى اليومي للبقاء في الحكم، تشبث أولمرت بمواقف محافظة وطرح قائمة طويلة من اللاءات، وتلخصت مرونته في قوله "نعم، ولكن"، كالتالي: سيسعدني لقاء أبو مازن، ولكن دون الاستجابة لمطالبه.. نعم أؤيد الوصول إلى حل وسط مع إيران، ولكن إذا أخافوها فقط.. نعم سأفاوض مع الأسد، ولكن بعد أن يتغير.

هناك منطق في هذا التوجه، ولكن يجب أن يعلم أولمرت أن أي انحراف أو تحول عنه قد يشعل جدلاً داخلياً ويزعزع الهيكل السياسي الهش الذي يستند إليه نظامه. كما يجب على أولمرت ألا يخاطر بأمور لا داعي لها، حيث لا يزال الأمريكيون يتخبطون فيما يجب عليهم فعله.

مثلما حدث في فيلم "الأبواب المنزلقة" (Sliding- Doors) الذي يتناول تطوراً محتملاً لسيناريو واحد، يمكننا بنفس الطريقة فهم الزيارة القصيرة التي قام بها رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، لواشنطن بطريقتين مختلفتين. وكل ذلك رهن الإجابة على سؤال: كيف نقوم بتقييم أولمرت.. هل هو رجل أعمال حاذق وداهية، أم قائد حائر وتائه..؟

السيناريو الأول: المتحاييل.. على مدار العقود الأربعة الماضية، يتعاطى زعماء إسرائيل مع الزعم بأن تصريحاتهم بشأن السلام هي غطاء زائف للسيطرة على المناطق (الفلسطينية). في الخارج يتحدثون عن حل وسط، وفي الداخل يبنون المزيد من المستعمرات، حتى جاء أولمرت وقال لبوش في شهر مايو الماضي: خذوا ٩٠٪ من الضفة الغربية مجاناً، المهم أن تدعونا ننسحب بهدوء. فانسحاب آريئيل شارون أحادى الجانب من غزة أعطى مصداقية لفكرة الانطواء. ومنذ ذلك الحين، رُفع الضغط عن إسرائيل، حيث قبل "العالم" ادعاء أولمرت بأن حماس ليست شريكاً في أي شيء، وألقيت "الكرة" الشهيرة، المتمثلة في المسؤولية عن الجمود السياسي، في وسط الملعب الفلسطيني.. وتوصل أولمرت حينها إلى "حيلة العمر"، فقد صدق بوش وقادة آخرون على رغبته في إنهاء الاحتلال والانسحاب من المناطق (الفلسطينية)، رغم أنه لم يُخل أي مستعمر، ولم يدفع أيضاً ثمن الانشقاق الداخلي والأزمة السياسية التي رافقت عملية فك الارتباط مع غزة، في الوقت الذي نشطت فيه حركة البناء في الكتل الاستيطانية.

عاد أولمرت هذا الأسبوع إلى واشنطن وهو يشعر برياح التغيير. وكل المؤشرات تشير إلى أن إدارة بوش تبلور سياسة جديدة في الشرق الأوسط، حيث يتحدث الجميع عن التغيير (يقصد التغيير الذي حدث في الكونجرس الأمريكي بفوز الديموقراطيين في انتخابات التجديد النصفية، وهو ما سيؤثر بدوره على السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط)، عن الانسحاب من العراق، عن الحوار الأمريكي مع إيران وسوريا، وعن التدخل الجديد بين إسرائيل والفلسطينيين. وقد قال

قمة الفاشلين

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٧

بقلم: يوثيل ماركوس

الدفاع الأمريكية أدركت مبكراً ما استوعبه الإسرائيليون مؤخراً من أن الجيش الإسرائيلي لم يعد كما كان.

الأمر الأخير الذي يريده البنتاجون هو أن نساعد في مجالات، وفي مناطق لا يعرفون هم أنفسهم كيف يتعاملون معها، ولكن كيف يمكن ذلك ونحن لم نتوصل بعد إلى حلول لمشاكلنا.

لقد جاء أولمرت إلى أمريكا، حاملاً معه الصراع الداخلي في إسرائيل حول مسألة "من الذي يتحمل مسؤولية الفشل في الحرب". لقد أخطأ أولمرت عندما لم يدعم رئيس أركانه، عندما طالبه ضباط كبار وشخصيات عامة بالاستقالة. وكذلك أخطأ مرة أخرى عندما تراجع واتصل برئيس الأركان، وقال له إنه كان هناك سوء فهم وأنه يسأله ويدعم موقفه بشكل تام. وبذلك، فقد ارتكب أولمرت ما هو أفدح من الخطيئة. من المعتاد في عالم الرياضة أنه عندما تمنح إدارة فريق ما دعمها بشكل علني لمدرّب الفريق، فإن ذلك يدل على احتمال إقالته في غضون أيام. لأنه طالما هو على ما يرام وموقفه جيد، فما حاجته إلى الدعم والمساندة.

إن مسؤولية القرار العسكري غير المدروس بالخروج إلى هذه الحرب يتحملها رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان. وفي ظل جو الكآبة الذي يخيم على أوساط الجمهور، فإن السؤال المؤكد ليس فقط حول ما إذا كان وزير الدفاع قد أدرك وفهم إلى أين يقودنا رئيس الأركان، بل حول ما إذا كان رئيس الأركان قد طرح التساؤلات الصحيحة قبل الموافقة على القيام بهذه العملية أم لا.

على أية حال، وعلى الرغم من عدم إمكانية استقالة أولمرت بدون إجراء انتخابات، فإنه يتحمل مسؤولية هذا الفشل كاملاً. وقد يجد نفسه خارج السلطة قبل أن يغادر بوش البيت الأبيض.

لو كان من الممكن أن أطلق اسماً على اللقاء الذي جمع بين بوش وأولمرت، لأطلقت عليه "قمة الفاشلين". فكلاهما متورط في حروب لا مخرج منها، على الرغم من القوة التي تتمتع بها جيوشهما. وكلاهما لديه وزير دفاع يتمتع بالخبرة والثقل (وإن كان هناك تحفظ على قول كاتب المقال بأن وزير الدفاع "عمير بيرتس" يتمتع بخبرة، حيث إن الانتقادات التي طالت بيرتس، خاصة بعد انتهاء الحرب في لبنان، كانت تتركز على عدم خبرته كوزير دفاع في إدارة الحرب). وبينما أطاح بوش بوزير دفاعه، لا يزال إيهود أولمرت يحتفظ بوزير دفاعه كشريك كامل في حكومته. وكلاهما تورط في حروب دون التفكير في النتائج والظمن الذي يتوجب عليهما سداً في مقابل هذه الحروب. كما أن كليهما موقفه صعب وغير جيد في نظر الرأي العام. والدليل على ذلك، أن ٧٢٪ من الجمهور الإسرائيلي يؤيدون الإطاحة بوزير الدفاع ورئيس الأركان، هذا فضلاً عن أن شعبية أولمرت بلغت نسبة متدنية مماثلة.

صحيح لم يتبق أمام بوش سوى عامين كرئيس للولايات المتحدة، ولكن مازال بإمكانه أن يصحح مساره. وكذلك أولمرت لا تزال لديه صلاحيات لا بأس بها، فهو يستطيع أن يغير سياسته، لاسيما إقالة وزراء وموظفين وجنرالات وكل أولئك الذين أشاروا عليه سلباً، وأن يقوم بتعيين من هم أفضل منهم. ولكن أولمرت أراد أن يقوى موقفه في إسرائيل، بأن يخلق انطباعاً بأنه يعمل بالتنسيق مع بوش فيما يتعلق بالموضوعين العراقي والإيراني. وبهذا الشكل، تسبب، بالعكس، في إحراج الإدارة الأمريكية والجمهوريين والجمهور اليهودي أيضاً.

من شبه المؤكد، في ظل "النجاحات" التي حققتها القيادة الأمنية في حرب لبنان وفي بيت حانون، وعدم قدرتها على وقف إطلاق صواريخ القسام (كاتب المقال يسخر من إخفاقات جيش الدفاع الإسرائيلي)، أن وزارة

أولمرت وحالوتس وسكان الشمال (*)

الفترة الأخيرة توصيات بالانسحاب من العراق، بل وقيل له إنه خسر الانتخابات بسبب ما يحدث في العراق. وهاهو ضيف مهذب وذكي يخبره بآخر المستجدات من موقع الحدث. ما الجيد في الاستماع إلى رئيس وزراء ذكي يتمرغ في وحل واشنطن ويبدع في امتداح كل ما يحاول الآخرون إخفاءه..؟

لقد قدحت أمريكا كلها، جمهوريون وديمقراطيون، أذهانها من أجل الخلاص من وادي الموت في العراق: هل نهرب..؟ هل نقوم بزيادة القوات هناك..؟ هل نحدد تاريخاً للانسحاب التدريجي..؟ هل نوافق على تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم تتمتع بالحكم الذاتي تحكم نفسها بنفسها: شيعية وسنية وكردية..؟ هل نعيد قادة النظام السابق في عهد صدام إلى مواقعهم..؟ هل نعيد حزب البعث ونسلمه مستقبل هذه الدولة..؟ هل نتفاوض مع إيران بأن تلتزم بما يسمح ويضمن لأمريكا الفرار..؟ وبينما ترقد أمريكا على فراش المرض، يأتي صانع القبعات من بعيد حاملاً في رأسه الذكي ما يعيد الطمأنينة للقوة العظمى.

سيعود أولمرت إلى إسرائيل نهاية هذا الأسبوع، وقد تجتمع أسرته يوم السبت ليحكي لهم ما قام به في هذه الرحلة. وربما تكون ابنته "دانا" أيضاً موجودة وتردد مرة أخرى أمام والدها استيائها من صمته عشية إجراء مسيرة الشواذ. وهو ما قد يذكره بنائب الرئيس الأمريكي ريتشارد تشيني، الذي التقى به أيضاً في واشنطن في الزيارة الأخيرة، حيث وقف تشيني ذات مرة إلى يمين ابنته الشاذة مع أصدقائها وطالب بإزالة الظلم الواقع على الشواذ وحقوقهم الكاملة (يبدو أن تشيني حكى لأولمرت هذه القصة أثناء لقائه الأخير به، خاصة وأن دانا ابنة أولمرت، مثلها مثل ابنة تشيني، شاذة جنسياً).

لقد قالوا أيضاً عن أولمرت أنه رجل عائلي متفتح، قالوا عنه ذلك مثلما قالوا عنه إنه رجل ذكي (كاتب المقال يسخر من أولمرت، فكما حاول في بداية المقال التأكيد على أنه رجل غير ذكي، يسخر منه أيضاً بشأن موضوع شذوذ ابنته بقوله أنه رجل متفتح).

(*) هذا المقال تحدث فيه يوسى ساريد عن ثلاثة موضوعات: أولمرت وزيارته لواشنطن، رئيس الأركان دان حالوتس وإخفاقه في إدارة حرب لبنان، وأخيراً سكان الشمال والصدمة النفسية التي أصابتهم جراء الحرب الأخيرة في لبنان والدمار الذي لحق بمنطقتهم.. ولكن نظراً لتصنيف المقالات إلى ملفات، أثرنا أن نكتفي بالجزء الخاص بأولمرت وزيارته لواشنطن، خاصة أنه كان يستحوذ على الجزء الأكبر من المقال.

عندما استفاد إيهود أولمرت من الغيبوبة التي راح فيها صديقه وشريكه الأكبر منه (يقصد أريئيل شارون) وتم انتخابه رئيساً للوزراء، طرح السؤال: هل أولمرت مؤهل لشغل منصب رئيس الوزراء..؟ وظل هذا السؤال مطروحاً لحين تحدث أفعاله فقط عن نفسها لصالحه أو ضده، علماً بأن المطلعين بيواطن الأمور أقرروا بأن أولمرت يتمتع بذكاء كبير، كما أنه شخصية مهذبة وسياسي في داخله، مما أضاف لهذا السؤال علامة تعجب في النهاية.

وها هو قد مر عام تقريباً، وبدأ من جديد، خلال الأسابيع الأخيرة، الشك والارتياب في أن لدينا رئيس وزراء مترهل لا يتمتع بالذكاء بما فيه الكفاية، الأمر الذي استدعى السؤال التالي: هل أولمرت رجل أحمق..؟

بدأت تظهر بوادر الشك تجاه أولمرت، خاصة عندما أعلن أن رئيس الوزراء ليس في حاجة على الإطلاق إلى أجنحة يتحرك في إطارها ومن خلالها. فيكفي أن يستيقظ في الصباح ويمر يومه بأي شكل من الأشكال، وأن يأمل فقط في العودة ليلاً إلى منزله بسلام. وتعاضم الشك والريبة تجاه سياسة أولمرت الخارجية أكثر وأكثر، فقد التقى بزعماء العالم، وناقشهم بشكل زائد، وكان يؤكد في كل لقاء معهم على "اتفاق الآراء والرؤى". وأحياناً كان يُخيل لي أن من يُثني عليهم أولمرت أنفسهم، أصابتهم الحيرة والارتباك، حيث إنهم أنفسهم لم يكونوا يعرفون أنهم هكذا، كما وصفهم أولمرت، وكم هو جميل أن يعرفوا ذلك منه.

كانت تصرفات أولمرت في الداخل الإسرائيلي هي الأخرى سبباً في زيادة الشك والارتياب تجاهه، فقد حاول عدة مرات صرف اهتمام الرأي العام الإسرائيلي عن الحرب ونتائجها، وإن كان لم ينجح في ذلك.

وتلقى أولمرت هذا الأسبوع دعوة لزيارة واشنطن فقفز مسرعاً إلى البيت الأبيض لزيارة صديقه هناك. كان من الصعب استيعاب وفهم السبب وراء هذه الزيارة الخاطفة، تحديداً في هذا التوقيت، ولكن أولمرت تصرف بحماقة، حيث قال لمضيفه بوش إن حرب العراق "جلبت الاستقرار للشرق الأوسط"، وتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأمريكا وللرئيس على "العمليات العسكرية في العراق التي أسهمت بشكل كبير وإيجابي في استقرار وتحقيق الأمن في المنطقة". وفي رده على سؤال حول انسحاب أمريكي محتمل من العراق، قال أولمرت: "لم ينم إلى علمي أن واشنطن تدرس الانسحاب من العراق".

بدا بوش نفسه مندهشاً من كل موجات الشكر والثناء التي انهارت عليه من قبل أولمرت. فقد درس بوش نفسه خلال

تداعيات المواجهة بين إسرائيل وحزب الله

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢
بقلم: عاموس هرثيل

النقد يتجاهل إنجازات الفرقة ٩١

أمنون إيشيل) في إحدى المرات، وهو يحكى عن كيفية تهريه من تنفيذ أمر مباشر صدر إليه من هيرش واستجابته لأمر من قائد إحدى الكتائب كان يهيمه أن يفقد قائد الفرقة السيطرة على الأمور.

إلا أنه كلما تقدمت التحقيقات، تتكشف تدريجياً صورة أكثر تعقيداً. وقد توقفت موجة الانتقاد الموجه إلى هيرش قليلاً، والتي يرجع سببها في الأغلب إلى شخصية قائد الفرقة. إلا أن هناك ضباطاً من بينهم يحملون رتبة لواء يدافعون عنه في الاجتماعات الداخلية التي يعقدها الجيش الإسرائيلي في الفترة الأخيرة، حيث يقولون إنه الضابط الوحيد الذي كان يتولى قيادة ثمانية ألوية، فهو الوحيد الذي حارب من بداية الحرب وحتى نهايتها. وكانت آخر مرة يتعرض فيها شخص ما لمثل هذه الانتقادات في عام ١٩٨٢ في حرب لبنان الأولى.

ينزف هيرش الدماء في صمت منذ ثلاثة أشهر، أي منذ أن بدأت الحرب. يتعرض قادة الفرق الأربع التي شاركت في الحرب لانتقادات جماهيرية، بعضها انتقادات حادة، ويحظى هيرش الذي يعتبر أكثرهم شهرة

عندما توجه صباح أول أمس كل من رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان العامة لزيارة قيادة الفرقة ٩١ على الحدود الشمالية، كانت تنتظرهم شاشة عرض إلكترونية تعرض عليهم المعارك التي خاضتها الفرقة أثناء حرب لبنان الثانية. وقد تحدث أحد الحاضرين، مع انتهاء العرض، عن ظهور علامات الدهشة على وجه كل من إيهود أولمرت وعمير بيرتس، حيث تحولت الحرب قلباً وقالباً بشكل مفاجئ. لقد حدثت إخفاقات، إلا أن هناك إنجازات تحققت أيضاً، منها سقوط عشرات من رجال حزب الله قتلى، والدشم التي تم تفجيرها، والوحدات التي سيطرت على المناطق المحدد لها احتلالها، والتقدم حتى ولو كان بشكل متقطع ومتردد، وفقاً لتغييرات المهام التي فُرضت مسبقاً، نحو أهداف محددة.

أصبح العميد جال هيرش، قائد الفرقة، رغماً عنه أحد رموز هذه الحرب الشائكة، حيث سخر المعلقون السياسيون منه واتهموه بتحمل مسؤولية التقصير الذي كان السبب في خطف الجنود في القطاع الخاص به، وطلاب الآباء المكومون بإقالته من منصبه.

لقد تم تصوير قائد اللواء التابع للفرقة ٩١ (العقيد

بأغلبية الانتقادات، إلا أن قاداته منعه من التحدث مع وسائل الإعلام، بدعوى أن التحقيقات لم تنته بعد.

والآن رفع الحظر عنه بعد تقديم النتائج الأولية للتحقيقات. وفي تلك الأثناء يخيم على رأسه وعلى رؤوس رفاقه تهديد آخر، فقد دفعت الانتقادات التي تم توجيهها إلى التعيينات التي لن يتم في إطارها إقالة قادة الفرق وسيتم تعيين هيرش ذاته رئيساً للواء الاستراتيجي في هيئة الأركان العامة، دفعت هذه الانتقادات عمير بيرتس إلى إعادة النظر في مسألة الترقيات. ومثله مثل باقي رفاقه الثلاثة، يعتبر هيرش في الوقت الحالي أيضاً رهينة ميزان الردع الجديد الذي يريد وزير الدفاع أن يرسخ دعائمه أمام دان حالوتس رئيس هيئة الأركان.

قال هيرش أول أمس لرئيس الوزراء: "هناك فجوة، لا أستطيع التغلب عليها، بين شعور القادة في الوحدات المقاتلة فيما يتعلق بما حققناه وبين الحالة المعنوية العامة بشأن نتائج الحرب". وقد قال قادة عدة كتائب لأولمرت كلمات مشابهة: "عندما كنا في لبنان، اعتقدنا أننا سننتصر، ولكن عندما خرجنا من هناك وشاهدنا التلفاز، اكتشفنا العكس".

تمزق هيرش طوال هذه الفترة بين الرغبة في البرهنة على مصداقيته، وبين المخاوف من الانجراف وراء الدخول في حرب لتبادل السباب، حيث أثر التزام الصمت على عكس ما يظهره، وقلل من مسألة اللجوء لأشخاص مقربين ينوبون عنه في التحدث لوسائل الإعلام، كما امتنع عن توجيه الاتهامات للآخرين، حتى عندما قام ضباط يحملون رتبته ذاتها بكيل الاتهامات له. وقد نُشر أن حالوتس كان يوشك على إقالته، إلا أنه لم يرد أي ذكر عن أن هناك ضباطاً تقدموا ليحلوا محله وقتما كان يحارب ضد حزب الله.

عندما عُرضت التحقيقات على حالوتس، كال المديح للفرقة ٩١ بفضل استعداداتها في الشهور التي سبقت الحرب. أما هيرش، الذي هاجموه في الماضي، لأنه "من دعاة الترهيب" بسبب تصريحاته المتوالية حول "اندلاع حرب في الصيف"، فقد حظى بالاعتراف بقيمة التمارين والتدريبات من أجل المواجهة. ويقول المقدم هوشع فريدمان بن شالوم، نائب قائد لواء مشاه في سلاح الاحتياط بالفرقة: "صحيح أن هيرش كان شخصاً متطفلاً للغاية، كان يتدخل في أدق تفاصيل حياتنا، لكن بنظرة إلى الخلف نجده قد أعدنا جيداً من أجل الحرب".

تقوم لجنة برئاسة اللواء (احتياط) دورون الموح بالتحقيق في قضية خطف الجنود، وهي القضية التي تلاحق هيرش. خط دفاع الفرقة يقع في مكان لا يحول تماماً دون منع عمليات الخطف، وذلك في ظل الواقع القائل بأن إسرائيل قد سلّمت بانتشار حزب الله على طول الحدود وفي ضوء تقلص عدد قواتها، خاصة بعد خطف جلعاد شاليط في قطاع غزة.

اندفع هيرش إلى الأمام منذ اللحظة التي بدأت فيها المعارك البرية، وحث القيادة الشمالية وهيئة الأركان العامة على السماح له بالقيام بالمزيد من العمليات الهجومية. وقال بعض التابعين له أن التدافع إلى الأمام أدى إلى سقوط مصابين. علماً بأن المعركتين اللتين شاركت فيهما الفرقة وتكبّدت خلالهما الكثير من الخسائر قد حظيتا بالاهتمام الشديد: معركة مارون الراس والمعركة الأولى في بنت جبيل.

وتوجه التهمة أيضاً اليوم إلى هيرش بأنه خرج على شاشات التلفاز وتفاخر باحتلال البلدة، حيث قال: "إن قواتي تسيطر على بلدة بنت جبيل"، وهو التصريح الذي حظى بالانتقادات، لأنه بعد مرور ١٢ ساعة على

تصريحه، لقي ثمانية من مقاتلي لواء جولاني مصرعهم في البلدة. ويتذكر الجمهور هذا التصريح باعتباره تصريحاً كان يتسم بالغطرسة.

بالنسبة لهيرش، وبالرغم من سقوط مصابين، فالمعركة ذاتها لم تكن إخفاقاً، لأن القوات قتلت عشرات من أفراد حزب الله. وهو ينظر إلى المزاعم القائلة بأن هناك مظلّيون لقوا مصرعهم - لمجرد أن الجيش الإسرائيلي أراد أن يضع راية على أحد المنازل في بلدة بنت جبيل - على أنها مجرد مهاترات. والحقيقة أن المهمة كانت تقضى بالسيطرة على أحد المواقع المهمة، والاحتياج إلى الراية جاء من منطلق التوثيق في الحرب

الإعلامية (وهذا ما يقوله أيضاً قائد لواء المظليين، العقيد حجاجي موردخاي). وحتى عندما هاجم فريق التحقيق، برئاسة اللواء (احتياط) يورام يائير، عدة مظاهر للإخفاق في الفرقة ٩١، ذكر يائير أن هذه المظاهر تنتشر بقدر كبير في الجيش الإسرائيلي كله.

على أية حال، حتى إذا انتقل هيرش من الفرقة ٩١ إلى اللواء الاستراتيجي، كما يخطط حالوتس لذلك، فهو بذلك يكون قد استيقظ متأخراً للدفاع عن سمعته الطيبة. وكما يتراءى الأمر في الوقت الحالي، فإن مكانته في الجيش الإسرائيلي وبين الجمهور تضررت بشكل سيكون من الصعب عليه أن يفيق منه.

استفزاز في سماء لبنان

يجب أن نكون مدركين لأن هناك أزمة سياسية داخلية تتفاعل في لبنان، من الممكن أن تغير شكل الدولة وأن تدفع بحزب الله ومؤيديه إلى الحكم. هذه نتيجة ثمة شك في أن مدبري الحرب (يقصد الإسرائيليون) فكروا فيها عندما قرروا الرد بقوة على خطف الجنديين. من ناحية أخرى، يقول السكان الشيعة، عقب الحرب، أن حكومة "فؤاد السنيورة" قد أهملتهم ولا تسارع إلى إعادة إعمار الجنوب، وبالطبع هذا الادعاء، بأن الحكومة اللبنانية تتصرف بدون إنصاف تجاه الأقلية الأكبر في الدولة، يعزز موقف المعسكر الشيعي، حتى إن نصر الله يطالب الآن، استناداً إلى هذا الادعاء، بإقامة حكومة وحدة وطنية، يكون فيها لـ "حزب الله" ولنظمة "أمل" الشيعية تمثيل لائق، ويريد "نصر الله" أن يضم إليها أيضاً ممثلي "ميشيل عون"، الذي يعد موالياً مثله لسوريا. ومن ثم، سيكون بذلك للكتلة الشيعية حق الفيتو على جميع قرارات الحكومة.

في هذا الوضع الحساس، ثمة شك في أن يكون الاستفزاز الإسرائيلي في سماء بيروت عملاً حكيماً. إن انتهاك السيادة الجوية للبنان هو في حد ذاته مساس باتفاق وقف إطلاق النار. مع ذلك، نحن لا نقول أن تسلم إسرائيل باستمرار بتدفق السلاح من سوريا إلى لبنان. ولكن ما نود قوله أن الطلعات الجوية فوق سماء بيروت هي الآن عنصر مساعد لـ "حزب الله"، وليس العكس. لدى إسرائيل ما يكفي من الوسائل الدبلوماسية لكي تعبر عن احتجاجها.. فلا ينبغي أن تنظر إلى خرق السيادة اللبنانية باعتباره الخيار الأول.

تحلق طائرات سلاح الجو في الأيام الأخيرة، المرة تلو الأخرى، فوق بيروت من أجل التلويح بأن إسرائيل غير راضية عن الوضع السياسي الذي نشأ بعد الحرب ومن عدم تنفيذ القرار الدولي ١٧٠١، الذي توقف بموجبه إطلاق النار في أعقاب قبوله من كل الأطراف.. وربما يعزز الافتراض القائل بأن مثل هذا الاستفزاز في سماء لبنان سوف يدفع مصالح إسرائيل إلى الأمام شيئاً ما - يعزز السياسة الأمنية القائمة منذ سنوات. فقد تحول دوى الطائرات، الذي يخترق حاجز الصوت كنوع من أنواع الإزعاج التهديدي، إلى شبه رسالة استقصائية من المفترض أن تلمح لأن إسرائيل قادرة على ما هو أكثر، لكنها تكتفي في غضون ذلك بالقليل..

لكن حقيقة الأمر، ثمة شك فيما إذا كان ينبغي الاستمرار في التلويح للبنان بماهية قدرات سلاح الجو الإسرائيلي، خاصة بعد أن دُمّر حي الضاحية في بيروت عن آخره. فقد سبق أن فهمت هذه الرسالة (يقصد من اللبنانيين)، ولكن ثمة شك في أنها حققت نتائج مأمولة، بل إنها ربما حققت حتى نتيجة عكسية، تمثلت في تقوية حزب الله كعنصر هام في المعادلة السياسية اللبنانية.

لن تجد إسرائيل في مثل هذه الطلعات الجوية فوق بيروت ما يساعد "حزب الله" على تبرير مواصلة تسليحه في مواجهة إسرائيل. إن خلق وضع دائم من القتال، بدلاً من وضع دائم من وقف إطلاق النار، يجعل الحياة مريحة أكثر لمن هم معنيون بمثل هذا القتال. كما أن تصفية "حسن نصر الله" يمكن أن تعزز موقف "حزب الله" بدلاً من إضعافه.

إسرائيل ولبنان: المعركة الآن على السياحة

بلادهم. هذا، وتشارك ٢٠٠ دولة في هذا المعرض الذي سيستمر لمدة أربعة أيام. ويتضمن الجناح الإسرائيلي، وهو أكبر جناح تحصل إسرائيل عليه منذ بداية مشاركتها في المعرض، منتج "صفا" الذي أقيم على شواطئ البحر الميت ويقدم خدمات عديدة، منها العلاج بالطين والعناية بالوجه ومختلف أنواع المساج.

بالأمس، تم افتتاح سوق السياحة العالمية "World travel market"، الثاني في أهميته ومكانته في العالم في لندن. وقد حظي الجناح الإسرائيلي، الذي روج له وزير السياحة يتسحاق هرتسوج وعارضة الأزياء بار رافائيلي، باهتمام كبير. وعلى بُعد عدة أجنحة من الجناح الإسرائيلي، بذل الجناح اللبناني جهوداً مضنية لإقناع السائحين الأوروبيين بالعودة والاستمتاع في

ويشارك في الجناح مندوبون من وزارة السياحة ومن ٣١ جهة تجارية (شبكات تسويق، فنادق، شركات طيران، مكاتب سياحية وشركات تأجير سيارات)، وهم يمثلون ٨ مواقع سياحية (القدس، تل أبيب، حيفا وشواطئ الكرمل، إيلات، البحر الميت، بحيرة طبرية، نتانيا، الجليل الغربي وعكا).

وقد صرح الوزير هرتسوج بأن "افتتاح المعرض بعد الحرب مباشرة، وفي ضوء الأزمة التي تعرض لها قطاع السياحة بسبب الحرب، جعل لحضورنا في هذا الحدث أهمية أكثر من أي وقت مضى. ولذلك، اخترنا هذا العام التركيز بشكل خاص على عناصر التسويق الجذابة، ونأمل أن ننجح في لفت الأنظار بشدة".

◆ هل تشعر بالسعادة في جناحنا؟◆

فضلاً عن المساج والعناية بالوجه ومنتجع صفا، تمتع زوار الجناح الإسرائيلي بعروض أزياء قدمتها عارضات أزياء بريطانيات بملابس بحر من إنتاج شركة "جوتكس" (gottex models)، وملابس سهرة من تصميم مصمم الأزياء ميخائيل نجارين، وأجريت مسابقات (happy hours) فيها توزيع جوائز تتمثل في قضاء إجازات في إسرائيل. كما كانت هناك مفاجآت أخرى مثل توزيع كرات قدم مطبوع عليها شعار دولة إسرائيل وشعار فريق الأرسنال الإنجليزي، وزجاجات مياه مقدسة من نهر الأردن. كما عُرضت الصور والكليبات والأفلام التسجيلية القصيرة التي أعدت خصيصاً للجمهور البريطاني، على شاشات عملاقة موضوعة في مؤخرة الجناح.

ولكن كما تقدم، كان حضور عارضة الأزياء بار رافائيلي - التي أفرغت وقتها وتركت أعمالها الأخرى وصديقتها ليوناردو دي كابريو، للمساعدة في تسويق المواقع السياحية في الوطن للأجانب - هو أكثر العوامل الجاذبة التي كانت تنتظر زوار الجناح.. وقد تحدثت بار رافائيلي عن البحر والشمس في إسرائيل في مقابلات مع صحف من كافة أنحاء العالم، ومن بينها صحيفتا "الديلي ميل" و"صن" البريطانيان، ودعت مراسلو الصحف لزيارة إسرائيل. وقالت رافائيلي: "إن إسرائيل دولة صغيرة، ولكنها تمتلك الكثير من المواقع السياحية. فلديها شواطئ رائعة، وشمس دافئة، وبحر، وجليد بالشتاء، وبها مدينة تل أبيب وهي ينبوع لا ينضب".

وقد صرح الوزير هرتسوج لصحفيين من جميع أنحاء العالم، قائلاً: "صحيح أن إسرائيل الآن تعيش حالة ما بعد الحرب، ولكن الهدوء يعود رويداً رويداً للمنطقة، عقب تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١". وأضاف الوزير هرتسوج: "إن بار رافائيلي تشرف إسرائيل هنا، وتستطيع إحداث تغيير في طريقة تفكير

ملايين المواطنين من جميع أنحاء العالم. فالمطلوب هو تغيير في الوعي. ومهمتنا هي جعل العالم يدرك أن إسرائيل تستطيع تقديم سياحة عصرية وحرّة، مثل تركيا واليونان والمناطق السياحية الأخرى التي تحظى بإقبال جماهيري". وقد تفقد هرتسوج أجنحة مختلفة، والتقى بوزيري السياحة المصري والأردني.

جدير بالذكر أنه سيقام اليوم حفل استقبال حافل لوزير السياحة الإسرائيلي يتسحاق هرتسوج بإستاد الأرسنال بحضور نجم الفريق المعتزل، لاعب كرة القدم آيان رايت.

◆ على الجانب الآخر من الحدود:

ليست إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تحاول إنعاش قطاع السياحة لديها بعد الحرب، حيث يسعى الجناح اللبناني أيضاً للحد من خسائر الحرب التي تقدر بـ ١٥ مليار دولار. ويحاول اللبنانيون المحافظة على تفاؤلهم، ويأملون في أن يصل هذا العام أيضاً نحو مليون سائح أجنبي لزيارة الدولة، على غرار عدد السائحين في العام الماضي.

وقد قال مندوب شركة الطيران اللبنانية في لندن: "نحن ندرك أن لبنان قادرة على العودة لأن تكون مرة أخرى منطقة سياحية رائدة في الشرق الأوسط، وهذه هي الرسالة التي يجب أن نبثها للعالم". وقد ذكر أمين ناصر، مدير شركة سياحية لبنانية أنه "رغم صور الخراب والدمار التي انتشرت في العالم، من الواضح أن البنى التحتية السياحية في لبنان لم يلحق بها أي خسائر تقريباً. صحيح أن هناك عدة جسور مازالت في مراحل الترميم المختلفة، إلا أن ثمة منطقة سياحية لم تلحق بها أضرار. والمنطقة الوحيدة التي تضررت في بيروت هي الضاحية الجنوبية، ولكن لم تلحق ببقية أنحاء المدينة أي أضرار".

وكانت أول الأفواج السياحية التي ستعود إلى لبنان من مواطني الدول العربية الذين سارعوا بحجز أماكن في الفنادق اللبنانية بمناسبة انتهاء شهر رمضان. ولكن مندوبى الشركات السياحية يعلمون جيداً أن المعركة الحقيقية ستكون معركة الاستحواذ على السائحين الأوروبيين الوافدين من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وسويسرا. وقال ناصر: "عيد الميلاد المجيد والسنة الجديدة على الأبواب، ومن المهم بالنسبة لنا أن نوضح أن لبنان آمن، وأن قطاع السياحة لدينا لم يتأثر. لقد اتصلت بعد الحرب بوزير السياحة، وقلت له إن هذا المعرض يعد فرصة ممتازة لبث الطمأنينة في نفوس الناس، وإخبارهم بأن كل شيء على ما يرام، وأن كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي".

حزب الله أقوى مما كان عليه قبل الحرب

يديعوت أحرونوت

٢٠٠٦/١١/١٢

بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

داخل لبنان. والحكومة السورية مازالت تدعى بأنه من المحتمل أن تكون هناك عمليات تهريب تتم على الحدود، وأن هذه الحدود مخترقة وتصعب رقباتها. واستطرد لارسن قائلاً: "إن الأمم المتحدة ليس لديها أى علم بكمية هذه الأسلحة أو نوعها أو مصدرها".

كان نصر الله قد قال فى المقابلة التى أجرتها معه قناة "النار"، قبل نحو أسبوعين، أنه ثبت بالدليل القاطع أن المقاومة قادرة على دحر إسرائيل: "استراتيجية المقاومة هى الاستراتيجية الصحيحة، ويمكن للمقاومة أن تصمد أمام الجيش الأقوى فى الشرق الأوسط.. إن السبب الذى دعا الولايات المتحدة إلى وقف الحرب هو خوفها من سقوط إسرائيل سقوط مدوي. كلامى لا يعنى أننا كنا نريد ألا تتوقف الحرب - فقد كنا نريدها أن تتوقف فى كل لحظة- ولكن الحقيقة هى أن إسرائيل لم تستطع مواصلة الحرب خوفاً من تبعاتها القاسية على الجيش وعلى الكيان الصهيوني".

وقد زعم نصر الله، خلال المقابلة، أن منظمته أصبحت تمتلك نحو ٣٠ ألف صاروخ يمكنها أن تكفيه للقتال لخمس أشهر متصلة.

نقلت أسبوعية "صنداي تايمز" البريطانية فى عددها الصادر اليوم (الأحد)، عن عدد من كبار المسئولين فى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية قولهم أنه بعد أربعة أشهر من اندلاع الحرب فى لبنان، بات حزب الله أقوى مما كان عليه قبل المواجهة مع إسرائيل. وقد أكد المسئولون الإسرائيليون صحة تصريحات حسن نصر الله التى قال فيها أنه يمتلك الآن صواريخ أكثر مما كان لديه قبل الحرب.

ويقول مصدر إسرائيلي: "منذ وقف إطلاق النار، زاد حزب الله من مخزون السلاح الذى بحوزته، وتزود بشكل كبير بالصواريخ، والأسلحة والعتاد العسكري. لدينا افتراض بأنهم باتوا يمتلكون ما يزيد على ٢٠ ألف صاروخ متفاوتة المدى".

كان تيرى رود لارسن، مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط، قد حذر، قبل نحو أسبوعين، من استمرار عمليات تهريب الأسلحة من سوريا إلى لبنان، وذلك رغم قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ الذى يفرض حظراً على نقل السلاح. وأضاف لارسن: "الممثلون اللبنانيون قالوا علانية وخلال محادثات معنا أنه يتم تهريب أسلحة إلى

الشأن الفلسطيني

فوضى

معاريف ٢٠٠٦/١٠/٣٠
بقلم: عاميت كوهين

إلى حيز التنفيذ قريباً ويعد من "أكبر المشروعات على الإطلاق منذ إقامة السلطة الفلسطينية"، وهو دخول مُشغل خدمة اتصالات محمول جديد للسلطة الفلسطينية باستثمار قيمته مليار دولار. وتوقع هنية أن يُدرّ هذا المشروع على الخزانة الفلسطينية نحو ٣٥٠ مليون دولار خلال أشهر معدودة.

ولكن الواقع في غزة يبعد بسنوات ضوئية عن وعود هنية. وحسب البيانات الصادرة عن صندوق النقد الدولي، فإن النمو الاقتصادي الفلسطيني انخفض في العام الماضي بنسبة ٢٧٪، بينما انخفض مستوى الاستثمارات بنسبة ٦٠٪. فالشركات الأجنبية لا تقترب من قطاع غزة، والمجتمع الدولي لا يقوم بمبادرات تشير إلى أي تراجع في المواقف طالما أن حماس ليس لديها استعداد للعمل وفقاً للخطة الذي ينتهجه أبو مازن. حتى الجمعيات الخيرية الإسلامية في سائر أنحاء العالم تتردد كثيراً قبل قيامها بتحويل أموال للبنوك الفلسطينية، خشية أن تكون هذه الحسابات خاضعة لرقابة دولية وتؤدي إلى اعتبارها عناصر داعمة للإرهاب.

♦ ٩٠٪ فقراء:

المواطن الفلسطيني البسيط هو من يدفع الثمن في المقام الأول: فقد ارتفعت نسبة البطالة في الأشهر الأخيرة من ٢٣٪ إلى ٤٠٪ وفقاً للبيانات الرسمية. ولكن يبدو أن الوضع الحقيقي في قطاع غزة أسوأ بكثير، حتى إذا ما قورن بالوضع في الضفة الغربية، حيث أظهر تقييم استطلاعات الرأي أنه رغم أن الوضع في الضفة ليس جيداً في حد ذاته، إلا أنه أفضل بكثير من الوضع المأساوي في غزة. على سبيل المثال: ٥٥٪ من الأسر في الضفة الغربية تحت خط الفقر، بينما تصل نسبة الأسر التي يوصف وضعها

تبدو المراسم الاحتفالية التي جرت نهاية الأسبوع في قاعة مؤتمرات فاخرة في غزة، تحمل اسم رشاد الشوا، منعزلة تماماً عن الواقع. فقد اعتلى منبر الخطباء رجل حماس ورئيس وزراء السلطة الفلسطينية، إسماعيل هنية، للإعلان عن إقامة منطقة صناعية جديدة في غزة بتمويل من صندوق النقد العربي: "نحن الآن في مراحل متقدمة من البناء" قال هنية ذلك وكأن حكومته لا تواجه أزمة اقتصادية غير مسبوقة، وأضاف: "حكومتنا ستدمج بين تحرير غزة من الاحتلال وإعادة إعمار القطاع. فلا تستطيع أي حكومة إهمال موضوع من أجل موضوع آخر".

ووعده هنية جمهور مستمعيه بتحقيق المعجزات: "الأسر التي دمرت قوات الجيش الإسرائيلي منازلها، ستحصل من حكومة حماس على مساعدة طوارئ بقيمة تتراوح ما بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ دولار للأسرة. وستقوم شركات أجنبية بإصلاح طريق صلاح الدين، الذي يلتف حول قطاع غزة كله، بدءاً من معبر إيريز في الشمال حتى رفح في الجنوب. وسيعاد بناء الجسور التي قصفتها سلاح الطيران الإسرائيلي عقب اختطاف جلعاد شاليط، وسيقوم المصريون ببناء محطة كهرباء جديدة بدلاً من محطة المولدات التي تعرضت للقصف".

رغم أن حماس لا تعترف بإسرائيل، ورغم أنها أعلنت أكثر من مرة أن حكومتها ستحاول التخلص من التبعية الاقتصادية لإسرائيل، لم يخجل هنية من التطرق إلى تغيير مُورد وقود السلطة الفلسطينية - الإسرائيلي بالطبع - بقوله: "إن إلغاء التعامل مع شركة دور والتعامل مع شركة باز سيوفر لنا ثلاثة ملايين شيكل شهرياً. ومعنى ذلك هو توفير ثمانية ملايين دولار سنوياً للخزانة الفلسطينية"، قال هنية ذلك برضاء شديد مشيراً إلى تفاصيل مشروع اقتصادي سيدخل

بأنه "فقر مدقع" في غزة إلى نحو ٩٠٪.

لم تكن غزة أبدا مكاناً سهل العيش فيه، ولكن الفقر المدقع باغت سكانها بشكل مفاجئ.. "في منزلي كان يوجد دائماً كل ما نحتاجه. وكنا نستطيع دائماً السماح لأنفسنا بشراء كل ما نريد.. وفجأة انتهى كل شيء" يقول ماجد، أحد سكان مخيم الشاطئ للاجئين وأحد ناشطي الأجهزة الأمنية الفلسطينية، والذي لم يتقاض راتبه على مدار سبعة أشهر، شأنه شأن باقي العاملين في السلطة الفلسطينية.

وفي شهر رمضان وصل مندوبو الجمعيات الخيرية إلى منزله أيضاً لمساعدة أسرته على المعيشة في هذا الشهر المقدس لدى المسلمين. ويقول ماجد: "لقد جاءوا وأعطوا زوجتي بعض السلع، الأمر الذي دفعني للبكاء. أقسم أنني بكيت. فلم أصدق أنني وصلت إلى هذا الوضع، وأنتى أصبحت فقيراً. وفي الأسبوع الماضي حل عيد الفطر، ولكن أقسم لك بحياة أطفالي أن هذا لم يكن عيداً. فليس هناك فرحة، ولا أمل. كيف يستطيع إنسان أن يأمل وهو لا يملك مالا لإطعام أطفاله؟ ليس لدينا مال لشراء شيء لهم. أحياناً يطلب أحد الأطفال شيكلاً أو نصف شيكل، ولكنني أخجل من أن أقول له إنني لا أملك هذا المبلغ. كيف يمكن أن نوضح لطفل عمره خمس سنوات أنه لا يوجد مال؟".

◆ نكتة عن هنية:

من منزل ماجد نرى منزلاً كبيراً مطلياً باللون الأخضر، وهو اللون المفضل لدى المسلمين. هذا هو منزل إسماعيل هنية، الذي يقيم هو الآخر في مخيم الشاطئ. ولكن القرب المادي من منزل رئيس الوزراء لا يعني تلقى الدعم. فشأنه شأن الكثير من العاملين في السلطة الفلسطينية، يُحمل ماجد أيضاً حكومة حماس مسؤولية الانهيار الاقتصادي. ويقول: "الجميع يلقي بالمسئولية على حماس. ويقولون إنه منذ اللحظة التي جاءوا فيها (يقصد من اللحظة التي وصلوا فيها إلى سدة الحكومة) بدأت كل المشكلات". وتفيد الشائعات الرائجة في غزة بأن أعضاء حماس يتقاضون بالفعل رواتبهم، ولكنهم لا يتحدثون عن ذلك حتى لا يثيرون حالة من الغليان.

وتحاول حماس، التي لديها علم بالنقد الشديد الموجه ضدها، التنصل من مسؤوليتها عن الوضع، متهمه إسرائيل والمجتمع الدولي بفرض حصار اقتصادي على الشعب الفلسطيني. ومن أجل رفع الحالة المعنوية قليلاً، أمر وزير الداخلية سعيد صيام صرف مكافآت لرجال الشرطة قيمتها ٥٠ دولاراً بمناسبة العيد. وقد أثار هذا القرار ردود فعل تجمع بين الغضب والسخرية. "ماذا أفعل بخمسين دولاراً؟

ماذا يمكن فعلاً شراؤه بهذا المبلغ؟ لا يتسائل رامي، وهو أحد رجال الشرطة الفلسطينية.

ترتكز قائمة مشتريات أسرة غزاوية متوسطة على الفول والفلافل من أجل وجبة الإفطار، وفطيرة بالزعتر لوجبة الغداء، والحمص والفول لوجبة العشاء. ويقول رامي: "لقد نسيت طعم الطيور واللحوم والأسماك منذ فترة طويلة".

وقد تمخض عن الوضع الاقتصادي المتردى وحالة الاستياء السائدة في الشارع الفلسطيني من حكومة حماس نكات شديدة السخرية.. فعلى سبيل المثال، تقول إحدى النكات أن إسماعيل هنية سافر مع زوجته وابنه في رحلة جوية للقيام بزيارة رسمية إلى إمارة قطر. وقبل إقلاع الطائرة بلحظة توجه إلى أفراد أسرته، وقال لهم أنه ينوي إلقاء ورقة بمائة دولار من الطائرة حتى تتمتع أسرة فلسطينية واحدة بالعيد. فأوصته زوجته قائلة: "لماذا ورقة واحدة؟ القى ورقتين قيمة كل واحدة خمسين دولاراً، وهكذا ستسعد أسرتين". ويستمتع الابن للحديث وينفجر ضاحكاً ويقول: "أبي، لماذا تسعد أسرتين فقط؟ القى بعشر ورقات قيمة كل واحدة عشرة دولارات، وهكذا ستسعد عشر أسر بالعيد". ومرة دقائق من الحيرة، فقرر أفراد الأسرة الاحتكام إلى رأي الطيار. اقترب هنية من كابينة الطيار وطرح عليه المسألة. فأجاب الطيار، وهو أحد أعضاء فتح بإجابة مقتضبة: "القى بنفسك، وسيسعد الشعب الفلسطيني كله بالعيد".

◆ عمليات اغتيال يومية:

في الواقع هذه النكات لا تضحك أعضاء حماس، الذين يشعرون أساساً طوال الوقت أن حركة فتح ستحاول في أي لحظة القيام بانقلاب في الحكم ضدهم. صحيح أن الفقر مشكلة مزمنة في غزة، ولكن حالة الاحتقان الأخيرة بين الحركتين (حماس وفتح) أدت إلى زيادة معدل الوفيات في قطاع غزة نتيجة عمليات القتل. ففي كل يوم يقتل أعضاء من حماس وفتح في عمليات اغتيال متبادلة. ويومياً تجري محاولات صلح بين الطرفين وتصدر تصريحات إيجابية بشأن "وقف إطلاق النار الداخلي"، ولكن في النهاية لا يظهر أي شيء من هذا على أرض الواقع، التي مازالت تشهد عمليات القتل والاختطاف.

والسبب الرئيسي للاحتقان هو الإضراب العام الذي يديره ١٠٠ ألف شخص من العاملين في السلطة الفلسطينية، احتجاجاً على عدم دفع رواتبهم. وفي حماس يرون في ذلك محاولة لزعزعة استقرار حكمهم. ومن أجل منع هؤلاء المضربين من السيطرة على دواوين الحكومة، أعلنت حماس حالة الاستعداد

القصوى على مستوى أعضاء الحركة.

الغريب في الأمر أن الأمطار كانت هي تحديداً السبب في وقف حدة الاحتقان الأخيرة. فبعد أن هدد المسئولون في حماس بيوم "سبت أسود" إذا حاول أعضاء فتح القيام بشيء، جاءت الأمطار، التي غمرت شوارع المدن نهاية الأسبوع، لتجعل معظم أهالي غزة لا يبرحون منازلهم. وكما يحدث في كل شتاء، وبسبب عدم وجود شبكة صرف مناسبة، فإن هذه المياه حالت دون نشوب مواجهة أخرى دامية. ويقول أحد سكان غزة: "لقد جاء المطر من عند الله، وجعل الناس لا يبرحون منازلهم حتى لا يستطيعون إطلاق النار على بعضهم بعضاً".

ولكن قبل ذلك بيوم، يوم الخميس تحديداً، حدثت عملية اغتيال أخرى: في خان يونس قتل شخص اسمه علاء دالي، كان أحد صقور حركة فتح. في الماضي، كان انتماءه الحركي يكسبه نوع من الحصانة في غزة، وكذلك كانت له هيبة بين مواطني غزة، ولكن في ظل الوضع الراهن في غزة، قامت مجموعة من المسلحين من أسرة معادية في قلب الشارع باغتيال دالي، أخذاً بالثأر منه، حيث كان دالي قد قام منذ ١٥ سنة بقتل أحد أبناء هذه الأسرة بتهمة العمالة لإسرائيل، وانتظر أقاربه سنوات طويلة حتى قاموا بتصفية الحساب معه.

♦ على وشك الانهيار:

آخر ضلع في المثلث الذي يخنق غزة هو المصادمات التي لا تتوقف بين الجيش الإسرائيلي والتنظيمات الإرهابية التي تواصل إطلاق صواريخ القسام على الأراضي الإسرائيلية والتخطيط لعمليات إرهابية. لقد زادت هذه الأنشطة بعد العملية الإرهابية في كيرم

شالوم، التي اختطف فيها جلعاد شاليط. ومنذ ذلك الحين، قام الجيش الإسرائيلي بمجموعة من العمليات البرية في كافة أنحاء القطاع، وفي المقابل واصل كل من سلاح الطيران والمدفعية أنشطتهما العسكرية كل في مجاله.

وحسب البيانات الفلسطينية، فإنه منذ بداية العام، تسببت الأنشطة العسكرية الإسرائيلية شمالي قطاع غزة في خسائر تقدر بـ ١٧ مليون دولار. وقد تركزت العمليات العسكرية على منطقة شمال القطاع، مع مزيد من التركيز على بلدتي بيت حانون وبيت لاهيا، باعتبارهما المنطقتين الأساسيتين التي تستخدمهما التنظيمات الإرهابية في إطلاق الصواريخ على إسرائيل. ويقول الفلسطينيون إن ٤٥ منزلاً هُدمت تماماً، كما أصيب حوالي ١٢٠٠ منزل آخر بأضرار. علاوة على ذلك، تعرض حوالي ٢٥ مصنعاً لخسائر. وما لا يقوله الفلسطينيون هو أن بعض هذه المصانع على أقل تقدير كانت تستخدم في صناعة الصواريخ المزدهرة هناك.

هكذا تبدو غزة بعد تسعة أشهر من فوز حماس بالانتخابات. وتحذر دوائر مقربة من أبي مازن قائلة: "نحن على وشك الانهيار". إن المواطن الفزائي في حاجة لأن يعرف كيف يمكن إنقاذ الوضع، علماً بأن الطريقة التي سيحدث بها ذلك باتت لا تفرق معه، المهم هو أن يحدث تغيير. ويقول ماجد من مخيم الشاطئ: "إننا نريد الطعام قبل أي شيء. حماس.. فتح، لا فارق بالنسبة لنا. إذا كانوا يريدون مصلحة الشعب الفلسطيني، يجب عليهم البحث عن سبل لتحسين الأوضاع".

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٦/١١/٩

كفوا عن إطلاق النار في غزة

الكارثة غير مستبعدة، حتى لو كانت غير مقصودة. كل من يطلق قذائف في اتجاه منازل مواطنين يعلم جيداً أنه قد يصيبهم كلهم دون تمييز. كل ردود أفعال إسرائيل عقب الكارثة - الإعراب عن الأسف على لسان رئيس الحكومة ووزير الدفاع، وعرض مساعدة إنسانية للمصابين، وتشكيل لجنة فحص برئاسة العميد "ميثير كليفي"، ووقف إطلاق نيران المدفعية، أو فتح معبر "رفح" لمدة ٢٤ ساعة - لا تكفي من أجل التغطية على مسئولية إسرائيل عن هذا القتل العبثي المخيف. لذا، لم يعد يكفي الإعراب عن الأسف، وإنما ينبغي استخلاص استنتاجات.

كتب في هذا المكان أمس: "على إسرائيل أن تعلن عن وقف تام لإطلاق النار في غزة لفترة زمنية محددة سلفاً، لا تقوم خلالها بأية عمليات عنيفة، لا تصفيات ولا توغلات. وأن تدعو الفلسطينيين في نفس الوقت إلى وقف إطلاق النار هم أيضاً". ولكن ما خشيناه، وأكثر منه بكثير، حدث للفلسطينيين: فقد قتل ١٩ مواطناً أمس في قصف متواصل لجيش الدفاع الإسرائيلي على بلدة "بيت حانون"، ١١ منهم أفراد أسرة واحدة، من بينهم أطفال ونساء.

لا تستطيع أية ذريعة تبرير هذا العمل البشع: فعندما تصوب المدافع قذائفها قريباً من حي سكني، فإن هذه

الآن، اتضح نهائياً أن إدارة المعركة ضد مطلقى صواريخ "القسام" في غزة لا يمكن تركها في يد جيش الدفاع الإسرائيلي وحده. لقد سبق أن أخفق رئيس الأركان وقائد الفرقة وسائر الضباط الذين يتحملون مسئولية عسكرية وأخلاقية عن الكارثة في حملة "غيوم الخريف"، التي انتهت على ما يبدو منذ أول أمس وزرعت فقط القتل والدمار دون أن تؤدي إلى وقف إطلاق صواريخ القسام، وإنما إلى تزايد فقط... لذا، بدأ إطلاق القذائف أمس وكأنه خطوة انتقامية من جانب جيش الدفاع الإسرائيلي على استمرار إطلاق صواريخ "القسام".

المطلوب الآن من رئيس الحكومة، باعتباره يتحمل المسئولية العامة، أن يصدر أوامره إلى جيش الدفاع الإسرائيلي بوقف إطلاق النار في غزة، وعلى الفور، بكل الوسائل وفي جميع الأحوال. وإذا كانت إسرائيل لا تريد أن تجد نفسها سريعاً في قلب دوامة دموية جديدة وعمليات

انتحارية في قلب المدن، فإن عليها أن تبادر بخطوة دراماتيكية قاطعة، يكون من شأنها، هي فقط، أن تمنع حدوث انتفاضة جديدة. مثل هذه الخطوة ينبغي أن تبدأ بوقف تام لإطلاق النار، حتى وإن كان من جانب واحد، تقطع إسرائيل على نفسها في إطاره ضبطاً تاماً للنفس لفترة زمنية محددة سلفاً، حتى وإن سقطت هنا وهناك بعض صواريخ "القسام". ينبغي تجربة وسيلة مختلفة كل الاختلاف، بدلاً من المزيد من الحملات العسكرية العنيفة، التي لن تؤدي إلى شيء إلا إذكاء مزيد من الكراهية. ينبغي استبدال المدافع بالدعوة إلى التفاوض، والمقاطعة الاقتصادية بفتح الصنابير، والحصار الوحشي على القطاع بفتح واع للمعابر. هذا فقط، ربما نستطيع أن نغير المناخ الخطير السائد الآن في سماء غزة، عقب حمام الدم الذي أريق في "بيت حانون".. والمسئولية عن ذلك في النهاية تقع كلها على كاهل رئيس الحكومة.

ضحايا في خدمة حماس

معاريف ٢٠٠٦/١١/١١
بقلم: دان مرجليت

لقد استنكر الشيوعيون بشدة أقوال فلاديمير لينين بأن كل ما هو سيئ للبشرية، هو في صالح الثورة. ويبدو أن مشعل وهنية يديران دفة الأمور بموجب هذه القاعدة التي لم يضعها لينين. وقد كانت أول خطوة لهنية بعد الكارثة (يقصد حادث قذف بيت حانون) هي إلغاء المفاوضات من أجل تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية.

صحيح أن الصور الملتقطة لبيت حانون هي بداية صعبة لزيارة إيهود أولمرت لواشنطن، إلا أن البديل المتمثل في تقليص نطاق التصدي لإطلاق صواريخ القسام، ستجعلنا نبكى لسنوات طويلة.

تتمثل الحرب النفسية بين إسرائيل وحماس في الأساس في تحديد سقف لقوة الردع لدى الجيش الإسرائيلي.. والهدف هو رفع هذا السقف، لأن هذه ضرورة، وليست مجرد تحقيق إنجاز أو تفوق.

إن القلب يتألم لرؤية الأبرياء الذين قتلوا في قطاع غزة بنيران خاطئة من مدافع الجيش الإسرائيلي.. أتمنى أن يكون قلب من يعربون عن أسفهم لازال ينبض، وأنهم يشعرون بالحزن حقاً. فإذا كان يمكن ضرب منصات إطلاق صواريخ القسام دون استخدام القذائف المدفعية، فهذا أمر جيد. ولو كان بالإمكان تحسين التصويب على الهدف، فهذا أمر مهم.

لكن في ظل الألم الشديد الذي يشعر به أهالي غزة، يتوجب عليهم أن يجففوا الدماء والدموع والنظر للمستقبل المقبل.. يجب عليهم أن يجبروا حماس على التوقف عن إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل. إن كل من خالد مشعل وإسماعيل هنية لا يسعيان لوقف سفك دماء أبناء شعبهم. فهم يحصدون المزيد من النقاط عن طريق موت أهالي غزة وليس عن طريق بقائهم على قيد الحياة.

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٦/١١/١٣

قوة دولية لغزة

الفلسطينية وإسرائيل، قادرين بعد على الخلاص بنفسيهما من الوضع المخزى الذي وصلا إليه. إزاء ذلك، دُعي العالم إلى التدخل بشكل مباشر، كما هو معهود في مناطق نزاع أخرى. فالعمليات العسكرية

الوضع في غزة يستصرخ العالم من أجل المساعدة. فلم يعد الطرفان، بعد مئات القتلى على الجانب الفلسطيني ومئات صواريخ القسام التي تتساقط على إسرائيل، وفي ظل غياب أي حوار بين السلطة

الإسرائيلية تلحق الضرر بسكان مدنيين أبرياء، ويتم بث صور القتل إلى جميع أنحاء العالم فتزيد الكراهية لإسرائيل، وفي الوقت نفسه لا تستطيع إسرائيل أن تسلم بالإطلاق المستمر للصواريخ على بلداتها. ومن ثم، فمن شأن نشر قوة دولية في قطاع غزة، وخاصة في المناطق الحدودية بين إسرائيل ومصر، أن يؤدي إلى تهدئة الوضع، وينبغي على كل من إسرائيل والفلسطينيين، على السواء، أن يكونا معنيين بذلك.

لقد نفرت إسرائيل في الماضي من فكرة "تدويل النزاع"، وعارضت بشكل تقليدي كل تدخل دولي انطلاقاً من افتراض بأن وضع جنود أجانب سيقيد فقط جيش الدفاع الإسرائيلي وسيصعب عليه الحفاظ على أمن الدولة.. فقط حرب لبنان هي التي غيرت الموقف، فقد كانت وزيرة الخارجية "تسيبي ليفني" هي أول من اقترح تدخلاً معزواً لقوة "يونيفيل". صحيح أن رئيس الحكومة تحفظ في البداية، لكنه بدأ بعد حوالي أسبوعين يؤيد الحل المطبق الآن في لبنان. لا يتعلق الأمر بحل ناجز، ولكن بعد أن سبق وجربنا كل شيء، وبعد أن اتضح أن استخدام القوة فقط لا يحل المشكلة، فإنه ليس ثمة خيار آخر. صحيح أن القوة الدولية لم تنجح في جميع بؤر النزاع في تحقيق التهدئة، لكن ثمة نماذج إيجابية أيضاً في المقابل: فضى كوسوفو، على سبيل المثال، أدت القوة

الدولية إلى وقف الأعمال العدائية بين الأطراف المتشددة.

لقد خرجت إسرائيل من غزة، ولذا فإن وجود قوة دولية لإقرار السلام هناك لن يهدد لا سيادتها ولا أمنها. لقد سبق وأعلن الفلسطينيون في الماضي أنهم معنيون بمثل هذه القوة، التي من شأنها أن تمثل بالنسبة لهم درعاً ضد الهجمات الإسرائيلية. كما أن من شأن القوة الدولية أن تؤدي إلى وقف إطلاق صواريخ "القسام"، الذي من المفترض أن يؤدي أيضاً إلى وقف العمليات العسكرية الإسرائيلية.

مع إقامة حكومة وحدة وطنية فلسطينية، لا ترأسها حماس، وتتكون من خبراء (يقصد من تكنوقراط) على وجه الخصوص، فإن من شأن هذه الخطوة أن تبشر بأمل جديد، وربما تمثل حتى قاعدة لبدء مفاوضات بين الأطراف.

على إسرائيل أن تبادر بالخطوة وأن تظهر بذلك أنها معنية بالعمل على تهدئة الوضع. وينبغي على العالم من جانبه أن يحتشد من أجل هذه المهمة. ويستطيع رئيس الحكومة، الذي توجه لمحاادثات سياسية مع الإدارة الأمريكية في "واشنطن"، أن يأتي معه بهذه الفكرة التي لم يتم بعد تجربتها بين الفلسطينيين وإسرائيل.. وهذا من شأنه أن يدفع في اتجاه واقع جديد.

لنعاود احتلال غزة

هاتسوفيه ٢٠٠٦/١١/١٦

بقلم: حاجي هوبرمان

تامير البالغ من العمر ٩ سنوات.. رغم ذلك، فإن ادعاءات الناطقين باسم الحكومة بصفة خاصة، واليسار بصفة عامة، هو: "وعندما كنا في غزة، ألم تكن هناك صواريخ قسام..؟" لقد جربنا الخيار العسكري، ولم يتوقف إطلاق الصواريخ أيضاً.. هذا هو الادعاء الكلاسيكي لليسار. وهو ادعاء بعيد كل البعد عن الواقع.. فحقيقة الأمر أننا لم نجرب الخيار العسكري، لقد جربنا كل الألعاب المضحكة المتمثلة في دخول قطاع غزة والخروج منه دون غاية حقيقية. جربنا كل السبل التي كان واضحاً منذ البداية أنها لن تؤدي إلى وقف إطلاق صواريخ القسام، فيما عدا طريقة واحدة: إعادة السيطرة التامة على كل قطاع غزة.. السيطرة الأمنية التامة على كل أجزاء قطاع غزة (يقصد احتلال قطاع غزة).

"ومن ضمن أنه لو قمنا باحتلال قطاع غزة، سيتوقف إطلاق صواريخ القسام..؟" من المؤكد أن هذا هو السؤال المألوف الذي سيطره خبراء اليسار. والإجابة: سيضمن الجيش الإسرائيلي ذلك، بالضبط.

قبل فترة ما، سمعت قصة حقيقية، للأسف لا أتذكر كافة تفاصيلها، عن مجلس بعينه في إسرائيل طلب من الشركة الوطنية للطرق في إسرائيل تحسين أحد مفترقات الطرق في البلدة. وجاء رد الشركة على النحو التالي: "عدد القتلى في مفترق الطرق لا يبرر حجم الاستثمارات اللازمة لإصلاحه".. يا له من رد مؤلم: هل يجب أن يلقي عدد من البشر مصرعهم حتى نقتنع بضرورة فعل ذلك..؟

تطبق هذه القصة على نظرة الحكومة للهجوم الصاروخي على النقب، فطالما لم يقتل أحد، لا ترى أي جهة أهمية لمعالجة هذا الوضع، بما في ذلك أحد سكان المدينة المسئول عن أمن الدولة، الذي تعرض الحى الذي يقيم فيه إلى هجوم صاروخي قاتل صباح يوم الأربعاء. وتجدر الإشارة إلى أن ثمانية أشخاص قد قتلوا حتى الآن منذ بدء إطلاق الصواريخ على إسرائيل، حتى في جوش قطيف وسديروت. من منكم ينسى آيالا أبوكسيس التي كانت تبلغ من العمر ١٤ عاماً، والتي قتلت قبل عامين بصاروخ، بينما كانت تحمى شقيقها

كما فعل في يهودا والسامرة (الضفة الغربية). ففي يهودا والسامرة (الضفة الغربية) فرض الجيش الإسرائيلي سيطرة أمنية على كل سنتيمتر فيها، ولذلك لا يتم إطلاق صواريخ من هناك، كما توقفت العمليات الإرهابية.

ما حدث الأسبوع الماضي كان على العكس تماماً، فمنذ الحادث الأليم في بيت حانون، غادر الجيش الإسرائيلي قطاع غزة (حتى ظهر أمس)، وباستثناء بعض الوجود البسيط، لأقصر مدى - أصبح جيش الدفاع فعلياً لا يعمل في قطاع غزة.. ولو كان متصوراً

في البداية أن الجيش الإسرائيلي، بعد حادث اختطاف جلعاد شاليط، سيقبّل الأرض رأساً على عقب بحثاً عنه وأنه سيشن حرباً على الإرهاب، فقد توقفت كل هذه العمليات بعد أربعة أشهر.. لا هي بيت حانون ولا في محور فيلادلفي (ممر صلاح الدين).

لن نكل عن ترديد الحقيقة التالية: هناك طريقة واحدة لوقف إطلاق الصواريخ، وهي إعادة السيطرة على قطاع غزة. وهو ما سيحدث إن أجلاً أم عاجلاً.. حتى ديختر وديسكين يدركان ذلك جيداً.

الانتصار هو أهون الأمرين

هاآرتس ٢٧/١١/٢٠٠٦
بقلم: داني روبنشتاين

منها. فحل الأزمة يستوجب التغلب في آن واحد على أربع مشاكل مرتبطة ببعضها البعض: إقامة حكومة وحدة وطنية فلسطينية تكون تركيبتها السياسية وبرنامجها مقبولين لدى المجتمع الدولي، الأمر الذي يؤدي إلى رفع الحصار ووقف إطلاق نار حقيقي وراسخ وغير هش وكامل مثلما أعلن أمس. كما يتوجب إطلاق سراح جلعاد شاليط في إطار صفقة تبادل الأسرى الفلسطينيين وبلورة إطار لاستئناف المفاوضات السياسية.

من الصعب متابعة تعقد المفاوضات حول هذه المسائل الأربع. ففي كل يوم تظهر اقتراحات جديدة وتطرح أسماء مرشحين للوزارات ووساطات حول بنود البرنامج السياسي وتعدّ المسودات لاتفاقية إطلاق سراح السجناء. أبو مازن يأخذ الاقتراحات ويسافر إلى الأردن ومصر والسعودية ويعود مع ملاحظات. هنية يدرس الأفكار وينقلها إلى مشعل وقيادة حماس في دمشق ويعود مع ملاحظات جديدة، ويتكرر الأمر إلى ما لا نهاية.

من أجل تربيع هذه الدائرة المعقدة (يقصد من أجل الوفاء بهذه المتطلبات الأربعة) يطالب المجتمع الدولي وبعض الأنظمة العربية بالألا يخرج مشعل منها منتصراً. فإذا تسبب مثلاً في إطلاق سراح ١٤٠٠ سجين مقابل شاليط، ومن تشكيل حكومة لا تعترف بإسرائيل صراحة - ستكون هذه رسالة واضحة للعالم كله بأن أبو مازن وقادة السلطة وفتح القدامى قد باعوا المصالح الفلسطينية بأبخس الأثمان.

من المشكوك فيه أن يكون بمقدور حكومة إسرائيل في ظل الظروف الحالية أن تفعل كثيراً لتغيير الوضع. مشعل وحماس يسيرون على طريق الانتصار، وإذا أوقفوهم سيكون الثمن مزيداً من التدهور والدمار.

إن احتمالات الالتزام بوقف إطلاق النار بين إسرائيل والفلسطينيين ليست كبيرة. عشرة أشهر مرت منذ انتصار حماس الدراماتيكي في الانتخابات البرلمانية التي تمخضت عن تشكيل حكومة إسماعيل هنية. كل العالم، باستثناء إيران وسوريا، كافح ضد هذه الحكومة. الولايات المتحدة، أوروبا، كل الأنظمة العربية تقريباً، وإسرائيل بطبيعة الحال، فرضت المقاطعة عليها ولم تسمح بإرسال الأموال إليها أو الالتقاء بأعضائها. الضائقة اشتدت في المناطق (الفلسطينية)، وخصوصاً في غزة، وازداد التدهور الأمني - القتلى والجرحى سقطوا في غزة والضفة يومياً.

وما هي النتيجة؟ بدلاً من انهيار حكومة حماس، ظهر الرجل القوي في حماس، خالد مشعل، في مؤتمر صحفي في القاهرة وحدد مهلة للمجتمع الدولي: أمامكم ستة أشهر لدفع إسرائيل للانسحاب من المناطق (الفلسطينية) وإنهاء الصراع، وإلا فستندلع الانتفاضة الثالثة وتتهار السلطة الفلسطينية. هو لا يتوجه لإسرائيل طبعاً بحديثه، ولا تهمه الاتفاقات السابقة، ولا المطالب الدولية بالاعتراف بها، وهو يتعالى على رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، ويسخر منه ومن سلفه ياسر عرفات اللذان أهدرا عشر سنوات على مفاوضات لا قيمة لها حول حكم ذاتي وتوصلاً إلى نتائج سخيفة.. وبذلك، فإن ما لم ينجحاً في تحقيقه خلال سنوات الاعتراف بإسرائيل، يسعى خالد مشعل للحصول عليه خلال عدة أشهر.

من الصعب تخيل نجاحه في مسعاه، ولكن ما من شك أن مشعل وأبو مازن قد نجحاً، مع مساعدة أطراف أخرى، ومن ضمنها إسرائيل، في إدخال السياسة الفلسطينية في هذه العقدة التي لا يعرف أحد مخرجاً

علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٦
بقلم: زئيف شيف

إيران تطور صاروخ يفوق بكثير سرعة صاروخ شهاب

لإصابته في الجو أثناء إشعاله. لا أحد يعلم اسم الصاروخ الجديد. وتبدى الأجهزة الاستخباراتية الأوروبية أهمية إزاء تطوير الصواريخ الإيرانية، لأن مداها يصل إلى بعض دول حلف شمال الأطلسي "الناتو". وفضلاً عن صاروخ شهاب ٢ والصاروخ الجديد، من المعروف أن إيران اشترت من كوريا الشمالية صاروخاً كان في الأساس صاروخاً بحرياً روسياً. وقد طوّره الكوريون الشماليون ليصبح صاروخاً برياً يُنقل على منظومة متحركة. والاسم الأصلي لهذا الصاروخ هو "ب.م ٥"، ويصل مداه إلى حوالي ٢٥٠٠ كيلومتر. وقد اشترت إيران من كوريا الشمالية ١٨ صاروخاً من هذا النوع.

يدرك الإيرانيون أنهم ربما يتعرضون لهجوم جوى ضد أنظمة صواريخهم، ولذلك ينفقون أموالاً طائلة على حمايتها. وهذه الصواريخ موجهة صوب إسرائيل بوجه خاص، لكنها موجهة أيضاً صوب دول الخليج الفارسي (العربي)، بما في ذلك السعودية، وكذلك تركيا.

يبدل الإيرانيون جهوداً كبيرة لتطوير منظومة الصواريخ. وهذه خطة شاملة يعكفون على تنفيذها بدأب شديد، وينفقون عليها أموالاً طائلة. من المعروف أن الإيرانيين يبذلون قصارى جهدهم لإقامة بنى تحتية للصواريخ البحرية. وفي غضون ذلك، يبذلون جهوداً أيضاً لتطوير قمر صناعي إيراني. كما أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية كانت قد أبلغت واشنطن قبل عامين بأن إيران تطور رأس قتالية خاصة لصاروخ من المقرر أن يحمل قنبلة نووية. ويطلق الإيرانيون على هذا التطوير "مشروع ١١١".

حققت إيران مؤخراً طفرة كبيرة في مجال تطوير منظومة صواريخ أرض - أرض التي تمتلكها. ففضلاً عن صواريخ "شهاب" التي تعتمد على الوقود السائل، تطور إيران بوتيرة سريعة صاروخاً جديداً يعتمد على الوقود الصلب، يصل مداه إلى حوالي ٢٠٠٠ كيلومتر. في غضون ذلك، أنهت قوات "الحرس الثوري" الإيرانية مناورة عسكرية كبيرة. وتعتبر قوات الحرس الثوري المسؤولة عن تشغيل منظومة الصواريخ في الألوية الثلاثة. حتى التطوير النووي يعتبر مسئولية قوات الحرس الثوري وليس من اختصاصات الجيش. وقد عرض الإيرانيون في نهاية الأسبوع تسجيلات فيديو يظهر فيها ضباط من الحرس الثوري على خلفية إطلاق دفعة صواريخ. ومن تحليل الصور، التي أذاعها التلفزيون الإسرائيلي أيضاً، يتبين أن معظم الصواريخ كانت قصيرة المدى نسبياً. ويطلق عليها الإيرانيون صواريخ "شهاب ١" و"شهاب ٢". ويظهر من الصور أيضاً إطلاق صاروخ واحد من طراز "شهاب ٣"، وهو الصاروخ الذي يصل مداه إلى إسرائيل، وتركيا ودول عربية أخرى. وكان قد ورد سابقاً أن صاروخ شهاب ٣ يصل مداه إلى ما يقرب من ١٢٠٠ كيلومتر، لكن يبدو أن الإيرانيين نجحوا في تطوير مداه ليصل إلى ١٥٠٠ كيلومتر وربما إلى ٢٠٠٠ كيلومتر.

أما التطوير الجديد فيتعلق بصاروخ ثنائي المراحل يصل مداه إلى نحو ٢٠٠٠ كيلومتر، يعتمد على الوقود الصلب بدلاً من الوقود السائل الذي يعتمد عليه صاروخ شهاب ٢. ويتيح الوقود الصلب إطلاق أسرع بكثير، وحماية أفضل بكثير للصاروخ، وخطر أقل نسبياً

الحكومة الإسرائيلية تعقد جلستها في لوس أنجلوس

- ريجير: "في البداية أرسلنا مليوني دولار لإخلاء الشباب من شمال إسرائيل ونقلهم لأماكن آمنة، لمعسكرات صيفية خارج خط النار. وقد تكلف ذلك حوالي ٢٠ مليون دولار. كما أنفقنا مليوني دولار على إصلاح آلاف المخابئ في البلدات الشمالية، وشراء أجهزة تليفزيون وأجهزة تكييف. هذه هي الأموال الفورية التي تم إنفاقها. فضلاً عن ذلك، حولنا مليون دولار لسكان شمال إسرائيل الذين كانوا في حاجة للغذاء لاسيما في الأعياد. ورصدنا أموال للمنح الدراسية لثمانى كليات في الشمال شهدت انخفاضاً بنسبة ٢٠٪ - ٤٠٪ في عدد الطلاب المقيدين لديها، بسبب قرار الشباب عدم الدراسة هذا العام. وحولنا مليوني دولار لصندوق ضحايا الإرهاب، ولعلاج الصدمة، ورعاية المدارس، وتدريب المدرسين على مواجهة الموقف".

❖ لقد اشتكى بعض رؤساء المدن زاعمين أنهم لم يحصلوا على هذه الأموال.

- ريجير: "إننا لا نشتغل بالسياسة.. يمكننا أن نوضح مصادر إنفاق هذه الأموال. إننا نحول الأموال للمكان الذي توصى به كل من الوكالة اليهودية، ومنظمة الجوينت، وحكومة إسرائيل، والقيادة الشمالية. وقد قدموا جميعاً توصياتهم ونحن نتخذ قراراتنا بناء على ذلك. لقد أرسلنا الأموال إلى الأماكن الأشد احتياجاً. لقد قمنا بعمل جيد للغاية. لم يتعلق الأمر بالمفاضلة بين حيفا وكريات شمونة، أو صفد أو كرميئيل. لقد فعلنا ما ينبغي علينا فعله. عملنا بموجب المعلومات التي تلقيناها".

كانت إحدى الشكاوى ضد مديري صندوق مساعدات الطوارئ لإسرائيل هي نقل تبرعات أيضاً لبلدات عربية في شمال إسرائيل.. ويرد زعيم اتحاد الجاليات اليهودية على هذه المزاعم بغضب، قائلاً: "شاهدت هذه الشكاوى آلاف المرات على جهاز الحاسب الآلي. كما تلقيت رسائل بريدية إلكترونية، لكنني غير واثق أنها كانت كثيرة. وأعتقد أنها شكوى غريبة. موقفنا كالتالي: عندما طلبوا منا إخلاء أطفال من الشمال، لم نتحر من اليهودي ومن غير اليهودي. معظم الأطفال الذين ساعدناهم كانوا يهوداً، لا شك في ذلك. ونحن نفخر بذلك. ونحن نفخر أيضاً بما فعلناه من أجل الأطفال الآخرين".

في هذا الصدد، أوضح ريجير أن المعارضين حاولوا

من المقرر أن تكون حرب لبنان هي القضية الرئيسية على جدول أعمال المؤتمر السنوي لاتحاد الجاليات اليهودية في شمال أمريكا، والذي سيبدأ أعماله اليوم في لوس أنجلوس.

سوف يشارك في هذا المؤتمر ليس فقط القادة اليهود من شمال أمريكا، بل ومن إسرائيل أيضاً، ومن بينهم: رئيس الحكومة إيهود أولمرت، وزيرة الخارجية تسيبي ليفني، وزير المالية أفراهام هرشيزون، وزير الأمن الداخلي آفي ديختر، وزيرة التعليم يولي تامير، وزير السياحة يتسحاق هرتسوج ووزير الصناعة والتجارة والعمل إيلي يشاي، وكذلك زعيم المعارضة عضو الكنيست بنيامين نتنياهو.

وقد أوضح رئيس اتحاد الجاليات اليهودية (UJC)، هيوارد ريجير، في حديث أدلى به لصحيفة يديعوت أحرونوت، أن "القضية الإسرائيلية هي محل اهتمام المؤتمر. فقد خصصنا ٦٥٪ من خطتنا لما حدث في الصيف الماضي في إسرائيل، وثلاث الخطة يدور حول قضايا داخلية". كان ريجير - الذي يشغل منصب رئيسي اتحاد الجاليات اليهودية منذ عامين - قد بذل جهوداً جبارة لجمع تبرعات طارئة لصالح البلدات اليهودية في الشمال الإسرائيلي خلال حرب لبنان.

❖ ما هي حجم الأموال التي قمتم بجمعها لصالح إسرائيل؟

- ريجير: "حتى وقتنا هذا حصلنا على تعهدات للتبرع بمبلغ ٢٤٢ مليون دولار. وقد اجتمعنا قبل أسبوع تقريباً وتعهدنا بتحويل ٢٢ مليون دولار أخرى. وأتمنى مع أواخر العام الجاري نستطيع تحويل نصف المبالغ التي جمعناها. وهذا أمر رائع في ظل أننا بدأنا هذه الحملة في نهاية الصيف الماضي. إننا لازلنا نحصل على تعهدات بمزيد من التبرعات، وأرجح أننا سنتمكن من جمع ٢٥٠ مليون دولار. إننا ندرس الاحتياجات، وقد نقرر جمع المزيد من الأموال".

❖ كم من المبالغ التي تم جمعها ستصل لإسرائيل؟

- ريجير: "مائة بالمائة".

❖ هل تم تحويل الأموال التي قمتم بجمعها لإسرائيل حقاً؟

- ريجير: "أعتقد أن ٩٠-١٠٠ مليون دولار قد تم تحويلها بالفعل".

❖ ما هي الأهداف التي سيتم إنفاق هذه المبالغ فيها؟

ترك انطباع مفضل يفيد بأن الجالية اليهودية الأرثوذكسية في الولايات المتحدة تعارض مساعدة العرب. وقال ريجير: "لدينا بيان إيجابي صادر عن اتحاد اليهود الأرثوذكس يقضى صراحة بأن هذا هو الأمر السليم الذي ينبغي فعله. ونحن نفخر بأن معابد الجاليات الأرثوذكسية شاركت في هذه الجهود، ونحن ندعم حقيقة أن بعض هذه الأموال خصّصت لمساعدة العرب الإسرائيليين، كما أن مستشفى "شعاري تسيدق" يخدم مرضى يهود وعرب، فهو يقدم خدماته للجميع.. ولو كان هناك من يرغب في استغلال ذلك، فهنيئاً له".

♦♦ إسرائيل لم تكن القضية الوحيدة على جدول الأعمال:

فضلاً عن تناول القضية الإسرائيلية، سيناقد زعماء الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة وكندا قضايا أخرى تتعلق بالحياة اليومية: الأمن الشخصي لليهود، رعاية المسنين، تعليم الشباب والتبرعات اللازمة لمواصلة معالجة القضايا الجارية. ويقول ريجير: "إننا نولي اهتماماً كبيراً لأمن اليهود، خاصة أننا نتعرض يومياً لهجوم على مؤسساتنا وعلى بعض اليهود. والسؤال المطروح الآن هو: كيف يمكن حماية الجالية اليهودية؟ وما هو حجم الحماية الكافية؟".

♦ هل تشعرون بأنكم مهددون؟

- ريجير: "لو كنت تعمل في مبنى الفيدرالية

اليهودية في سياتل، التي قُتل مدير حملتها على أيدي مخرب وأصيب أربعة من أفراد فريق العمل إصابات خطيرة ولازال بعضهم في مرحلة الاستشفاء بعد الحادث، كنت ستشعر بأنك مهدد. القنبلة قد تنفجر في أي مكان، وكذلك الأعيرة النارية. وهذا يحدث هنا أيضاً. لقد حدث هجوم على إحدى المدارس الكاثنة خارج مونتريال.. يجب علينا أن نزيد من درجة يقظتنا، لأنني أعتقد أننا لسنا على درجة كافية من اليقظة".

تجدر الإشارة إلى أن ٢٠٪ تقريباً من يهود أمريكا الشمالية من المسنين المحتاجين لرعاية. ويدرس الزعماء اليهود في الولايات المتحدة السبل المختلفة التي يمكن أن تكفل حصول أكبر عدد من المسنين على المساعدة في منازلهم وألا يضطروا إلى الانتقال للإقامة في دار المسنين. ويوضح ريجير: "يوجه عام لدينا شريحة سكانية كبيرة من المسنين، ونحن ندرس احتياجاتهم وقدرة وكالاتنا على تحسين المساعدات المقدمة لها. وسوف نناقش في المؤتمر هذا العام كيفية زيادة المساعدة الحكومية لخططنا لمساعدة المسنين".

ويُزف ريجير بشارة لمن يشعر بالقلق من هذا العدد الكبير من الوزراء الموجودين خارج إسرائيل، تفيد بأنه سيتم عقد المؤتمر السنوي لاتحاد الجاليات اليهودية في عام ٢٠٠٨ في القدس إحياءً لذكرى مرور ٦٠ عاماً على إقامة دولة إسرائيل.

حان وقت التضامن اليهودي

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٤

بقلم: آفي بيكر (♦)

تحديداً خلال المعركة الانتخابية كانا هما اللذين تناولتا مشكلات الهوية اليهودية: لقد خاض مرشح ولاية فيرجينيا جورج آلان، انتخابات مجلس الشيوخ، ووجد صعوبة بالغة في المنافسة، عندما تكشف حقيقة أمه (٨٣ سنة) بأنها كانت لاجئة يهودية من تونس إبان فترة الاحتلال النازي. أما كاترين هاريس، مرشحة ولاية فلوريدا المسيحية المتدينة، فقد أرادت جذب الناخبين اليهود إليها معلنة أنها طالما حلمت وأرادت أن تصبح يهودية.

هناك من سيرون في الإنجاز اليهودي في الانتخابات الأمريكية تعبيراً صريحاً عن اندماج اليهود في المجتمع الأمريكي، وفي الوقت نفسه يرون أنه بمثابة تراجعاً آخر في هويتهم اليهودية، ولكن ديناميكية الاندماج تفرز أيضاً مراكز هوية جديدة من الصعب تحليلها بمصطلحات إحصائية ديموجرافية.. ولتأخذ أسرة النائبة الديموقراطية نانسي بلوسي نموذجاً - التي من المتوقع أن تصبح المرأة الأولى التي تتولى رئاسة مجلس النواب الأمريكي والمعروفة

كان جون يارموث (John Yarmouth)، المرشح الديموقراطي عن ولاية كنتاكي، يردد شعاراً كثيراً ما كرره في كل ظهور له أثناء المنافسة في انتخابات الكونجرس الأمريكي: "إذا كنتم تحبون بوش فلا تصوتوا من أجلي". وقد أفلحت هذه الطريقة. لقد تغلب يارموث اليهودي على خصمه الجمهوري بفارق الأصوات، وانضم إلى ٤٢ يهودياً آخر في الكونجرس، وهو أعلى رقم قياسي في كل الفترات على الإطلاق، حيث زاد عدد اليهود في الكونجرس الأمريكي من ٢٦ إلى ٣٠ نائباً، وفي مجلس الشيوخ من ١١ إلى ١٣ نائباً. وفي الوقت الذي يشكو فيها خبراء الديموجرافيا من الاندماج والزواج المختلط وفقدان الهوية اليهودية، يواصل يهود الولايات المتحدة الظهور على الساحة السياسية بدرجة تفوق نسبتهم بين السكان.

خلال الانتخابات، لم يهتم أحد تقريباً بيهودية النواب، ولا حتى بمسألة تأييد إسرائيل، الذي يلتزم به أيضاً النواب الديموقراطيون الجدد، بل إن المرشحين اللذين خسرا

بصداقتها الحميمة مع إسرائيل - ابنتها الكاثوليكية متزوجة من يهودي وأحفادها ينشدون بالعبرية.

لقد كانت الانتخابات تصويت احتجاج، في المقام الأول، على تعقد الأمور في ظل سياسة بوش في العراق، وعبرت عن مدى معارضة يهود الولايات المتحدة للحرب. فوفقاً لاستطلاعات الرأي، صوّت ٨٧٪ منهم للديموقراطيين. ومن المنطقي الافتراض بأن الرئيس الأمريكي، الذي التقى أمس في واشنطن برئيس الوزراء الإسرائيلي، إيهود أولمرت، أصبح محبطاً بسبب إنكار اليهود للجميل، وإنكارهم لتأييده الحماسي لدولة إسرائيل.

في ظل التشكيلة الجديدة للكونجرس الأمريكي، سيجد اللوبي الإسرائيلي صعوبة في حشد التأييد اللازم لاستخدام "كل الوسائل" من أجل إزالة الخطر النووي الإيراني. فهزيمة السيناتور ريك سانتوروم مرشح ولاية بنسلفانيا - أبرز زعيم لليمين المسيحي في مجلس الشيوخ، والذي كان المتحدث الحماسي للغاية فيما يتعلق بالتهديد الإيراني - ستزيد من صعوبة المهمة.

وتشعر الجالية اليهودية بالتوجس أكثر من أي وقت مضى على مستقبل دولة إسرائيل. ففي الاجتماع العام للجالية اليهودية في أمريكا، والذي عُقد مؤخراً في لوس أنجلوس، تركزت المناقشات، للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، حول موضوع التهديدات الحقيقية التي تحيق بإسرائيل. لقد أدت الحرب الأخيرة في لبنان، والتي اعتبرت بداية الصراع الحقيقي مع إيران والإسلام المتطرف، إلى صحوة الجالية واستنفارها لتأييد إسرائيل، كما كانت دافعاً لتعبئة الأموال بشكل غير مسبق.

إن الحضور الرسمي الإسرائيلي في اجتماع الجاليات اليهودية غير مسبق، ويدل على أهمية التضامن اليهودي في مواجهة عالم يمنح منبر وشرعية للتصريحات الداعية للقضاء على إسرائيل.

(♦) كاتب المقال هو سكرتير عام المؤتمر اليهودي العالمي.

بريطانيا: إسرائيل دنست المقابر البريطانية في غزة

يديعوت أحرونوت

٢٠٠٦/١١/١٣

بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

الرد أمر يدعو إلى السخط.. يُذكر أن وزارة الدفاع الإسرائيلية كانت قد أصدرت بياناً عاماً قالت فيه أن الجيش الإسرائيلي لا يستهدف الأماكن الدينية.

وللمرة الأولى هذا العام، اضطر الدبلوماسيون البريطانيون في إسرائيل إلى إلغاء الاحتفال الذي يُقام كل عام بمناسبة ذكرى الجنود البريطانيين الذين سقطوا خلال الحروب المختلفة، وذلك نظراً للموقف الأمني المتدهور في قطاع غزة. ومن جهته، قال آندى فريتويل، المسئول عن لجنة قبور الكومنولث البريطاني في الأرض المقدسة: "إن هذا الأمر يثير استياء كل الذين يعملون في صيانة المقابر في الأراضي المقدسة، وخصوصاً طاقمنا المحلي.. نحن نأمل أن يعير الإسرائيليون المزيد من الانتباه لما يقومون به".

يُذكر أن هذه المقبرة، التي شُيّدت عام ١٩٢٠، تضم رفات ٢٦٨٦ جندياً من قوات الكومنولث البريطاني الذين قُتل معظمهم في المعارك الثلاثة ضد الأتراك عام ١٩١٧، والتي انتهت بوقوع قطاع غزة في قبضة البريطانيين. كما تضم المقبرة رفات ٢١٠ جنود من ضحايا الحرب العالمية الثانية، في الفترة التي كانت فيها غزة هي مقر قيادة القوة الأسترالية، كما تضم أيضاً رفات ٣٠ جندياً بريطانيا توفوا منذ عام ١٩٤٥، معظمهم من مراقبي الأمم المتحدة.

ذكرت صحيفة "ديلي تلجراف" البريطانية في عددها الصادر اليوم الاثنين أن بريطانيا تقدمت بشكوى رسمية إلى إسرائيل احتجاجاً على الخسائر التي ألحقها الجيش الإسرائيلي بمقبرة الكومنولث البريطاني في مدينة غزة، وهي المقبرة التي تضم رفات آلاف الجنود الذين قتلوا في المعارك الضارية التي دارت ضد قوات الامبراطورية العثمانية عام ١٩١٧.

وأضافت الصحيفة أن السفارة البريطانية في تل أبيب كانت قد تقدمت باحتجاج إلى الحكومة الإسرائيلية قبل أربعة أشهر، عندما دمرت جرافة تابعة للجيش الإسرائيلي ستة من شواهد القبور وأحد جدران المقبرة، خلال عملية قام بها الجيش الإسرائيلي رداً على خطف الجندي جلعاد شاليط، غير أن إسرائيل لم تقدم توضيحاً حتى الآن. وأوضحت الصحيفة البريطانية أن خسائر أخرى لحقت بالمقبرة الأسبوع الماضي من جراء صاروخ أطلقته مروحية إسرائيلية خلال الهجوم على بلدة بيت حانون.

وأشارت الصحيفة البريطانية إلى أن نحو عشرين شاهداً من شواهد القبور قد لحق بها دمار كبير خلال عمليات الجيش الإسرائيلي، في حين دُمّر بعضها بالكامل. وقال دبلوماسي بريطاني في تل أبيب، طلب عدم كشف هويته، أن "امتناع الحكومة الإسرائيلية عن

المجتمع الإسرائيلي

هاآرتس ٢٠٠٦/١٠/٣١
بقلم: تمارا تراوفمان

الطلبات تؤكد: الإسرائيليون يفضلون الذكور

خلال السنوات الأخيرة لأغراض غير طبية. وقد أصدرت وزارة الصحة في شهر مايو ٢٠٠٥ منشوراً أعلنت فيه موافقتها على استخدام الأزواج، الذين لديهم أربعة أطفال من نفس النوع، لهذه التقنية والذين يمكن أن يتعرضوا هم والمولود المنتظر لأخطار نفسية كبيرة وحقيقية إذا لم يستخدموا هذه التقنية. وعلى الرغم من هذه القيود، فقد أكدت الوزارة أيضاً أن هناك "حالات شاذة ونادرة الحدوث، ولأسباب خاصة لا تنطبق عليها هذه المعايير، يمكن أن تستخدم فيها هذه التقنية".

تم تشكيل لجنة مختصة للموافقة على استخدام هذه التقنية برئاسة البروفيسور فيتسللاف إينسلار أخصائي أمراض النساء. وتضم هذه اللجنة أربع نساء، وخبيرين بالشؤون القانونية ومتخصصين في علم الجينات، ورجل دين هو الحاخام يوفال شارلو، ولم تضم رجل دين مسلم أو مسيحي.

من جانبها، قالت المحامية "جالي بن أور"، من وزارة العدل، أن الأمور في إسرائيل أكثر تساهلاً مقارنة بدول غربية أخرى. صحيح أنه لا يوجد في الولايات المتحدة حظر على استخدام هذه التقنية، إلا أن استخدامها في أوروبا محظور تماماً في غير الأغراض الطبية. وفي مقابل ذلك، يعتقد الحاخام شارلو وجمعه البروفيسور نوعام زوهر من جامعة بار إيلان أن الأمور في إسرائيل تتفاقم على نحو كبير. ويعارض زوهر اقتصار استخدام هذه التقنية "على الحالات الأكثر حرجاً". وعلى حد قوله، فإن هذا الوضع "يحكم على أسر بمزيد من المعاناة".

وعلى حد قول د. تساحي جروسمان، رئيس هيئة أبحاث طب الأطفال، فإن وزارة الصحة تتبنى تقنية تخصيب جيني متطورة قبل أن تتضح التأثيرات الطبية

منذ نحو عام، وإسرائيل ضمن الدول القليلة في العالم التي تسمح للأزواج باستخدام تقنية الجينات الوراثية، التي لا زالت مثار خلاف، حتى يتمكنوا من اختيار نوع المولود سلفاً. أظهر التقرير الأول للجنة المختصة - التي شكلتها وزارة الصحة لدراسة الطلبات التي تقدم بها الأزواج - أنها تلقت حتى الآن ١٢٤ طلباً لأزواج يرغبون في تحديد نوع المولود. كما كشف التقرير أن ٩٥ طلباً كان لأزواج يرغبون في أن يكون نوع المولود ذكراً، وأن ٢٩ طلباً كان لأزواج يرغبون في أن يكون نوع المولود أنثى.. وبينما وافقت اللجنة على ثلاثة طلبات، رفضت ٣٩ منها، ولا زالت بقية الطلبات قيد الدراسة أمام اللجنة.

وفي إطار النقاش الذي شهدته أمس اللجنة العلمية بالكنيست من أجل التوصل إلى صياغة تقرير حول الخبرة التراكمية لوزارة الصحة حتى الآن في مجال استخدام هذه التقنية، دعا أطباء وأعضاء في لجنة القيم إلى إزالة غالبية القيود والعراقيل التي وضعتها وزارة الصحة أمام استخدام هذه التقنية العلمية، حتى يتسنى لأكثر قدر ممكن من الأزواج استخدامها.

يُطلق على هذه التقنية الوراثية اسم PGD أو "الفحص الجيني لما قبل التخصيب"، حيث يتمكن الأزواج عن طريق استخدام هذه التقنية في الحصول على أجنة محددة النوع عبر التخصيب المجهري الأنبوبي. في بداية تكون هذه الأجنة يقوم الأطباء بفحصها جينياً للتوصل إلى النوع الذي ستتطور إليه، والقيام بحقنها بعد ذلك في رحم الأم حسب رغبة الزوجين. وللحصول على طفل باستخدام هذه الطريقة يحتاج الأمر إلى خمس مراحل إخصابية. كانت بداية استخدام تقنية PGD للأغراض الطبية للحيلولة دون إنجاب أطفال مرضى، ولكن تطور استخدامها فقط

الكاملة لهذه التقنية.. وحذر جروسمان بقوله: "لا يمكن في الوقت الحالي التيقن من عدم حدوث شيء للجنين نتيجة استخدام تقنية PGD". واستعان جروسمان ببحثين أفادا بأن نسبة المعوقين من المواليد ومخاطر تطور أمراض خطيرة لدى الأطفال الذين وُلدوا عن طريق التخصيب المجهري (الأنبوبي) - ضعف النسبة لدى الأطفال الذين وُلدوا بطريقة التخصيب العادية. يقول د. جروسمان: "إننا لا نعرف بشكل مؤكد وكامل ماذا يحدث للأطفال الذين يولدوا عن طريق التخصيب المجهري. ومن المؤكد أن ما سيحدث للأطفال الذين

يولدوا عن طريق استخدام PGD سيكون بالغ الخطورة".

قال عضو الكنيست زفولون أورليف، رئيس اللجنة العلمية بالكنيست، إنه "أكثر تأييداً للتوجه الليبرالي لأنه التوجه اليهودي الرئيسي. ومع ذلك، فإنه يجب دراسة الآراء الطبية والتأثيرات النفسية على الأسرة جيداً". وفي ختام النقاش، أعلنت اللجنة أنها تتوى الضغط على وزارة الصحة من أجل ترسيخ الإجراءات القائمة في إطار تشريع قانوني.

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٦

بقلم: زئيف سيجل

لا لمسيرة الشواذ في قلب مدينة القدس

وقبول هذا الادعاء والتسليم به تماماً سيلحق ضرراً بحرية التعبير عن الرأي في مجتمع ديمقراطي. كما أن الادعاء بمنع إيذاء حقيقي وشديد للمشاعر قد يستند إلى حق الإنسان في العيش بكرامة، وهو الحق الذي تم الاعتراف به كحق دستوري في قانون أساسه: كرامة الإنسان وحرية. وربما يبرر هذا الادعاء رفض إصدار تصريح لمظاهرة ينظمها مؤيدو فكرة الترانسفير على أبواب قرية عربية أو يبرر منع إقامة مظاهرة استفزازية بملايس غير محتشمة في الطريق المجاور لهيكل سليمان في القدس، على سبيل المثال.

إن إقامة مسيرة الشواذ في قلب مدينة القدس، وعلى مقربة من أحياء دينية وحريدية، ستضر بحق هؤلاء الذين يعتبرون مدينة القدس "مدينة مقدسة"، ويعتبرون إقامة مسيرة كهذه في قلب المدينة "تدنيساً" لاسم الرب.

لقد اعترف التشريع والإفتاء في إسرائيل، على مختلف المستويات، بالحق الكامل للشواذ جنسياً في المساواة، كما أن المجتمع الإسرائيلي فتح لهم أبوابه على مصراعيه. مبدئياً، احترام كرامة الحريديم في القدس لا يجب أن يؤخذ في الحسبان أكثر من كرامة من يريدون الإعراب عن حقهم في المساواة الكاملة أمام الجمهور والعالم. ويجب على كل من يريدون منع إقامة أي مسيرة بالقدس أن يتذكروا ذلك.

لم تعد مسألة الحق في المساواة مثار خلاف حقيقي بين أغلبية المجتمع الإسرائيلي. فالجدل المحتدم الآن إنما يتعلق فقط بمكان تنظيم المسيرة، حيث إن الحق في إقامة مسيرة بالعاصمة بات أمراً واضحاً. ولكن المساواة الكاملة شيء، وإصدار تصريح للمظاهرة في أي مكان شيء آخر. فممنع إقامة مظاهرة أو حصرها على

قد تؤدي المخاوف الحقيقية من إراقة الدماء، إذا أقيمت مسيرة الشواذ بقلب مدينة القدس، إلى عدم إقامتها وفقاً للمسار المخطط له. وهكذا، يصطدم الحق الأساسي في حرية التظاهر بإمكانية فرض قيود على هذا الحق في حال وجود مخاوف حقيقية لاندلاع أعمال عنف والإخلال بالنظام العام.

لقد تم الاعتراف بحرية التظاهر بقرار من محكمة العدل العليا كحق دستوري منبثق عن حرية التعبير. ورغم هذا، تبلور أيضاً اعتراف بأنه يمكن فرض قيود على هذه الحرية. وهكذا، تقرر أنه من الممكن منع إقامة مظاهرة إذا كانت هناك احتمالات معقولة للتأثير على نتيجة قضية أو "احتمالات شبه مؤكدة" لحدوث أعمال عنف والإخلال بالنظام العام، وتلك أسباب كافية لمنع إقامة المظاهرة أو فرض قيود عليها، سواء بتحديد عدد المتظاهرين أو المسار المسموح بالتظاهر فيه. ومن الواضح أن تقييد حق أساسي، في غاية الأهمية، كهذا، يستلزم وجود سبب حقيقي يبرر ذلك.

والقاعدة التي تعمل بموجبها الشرطة للسماح بتنظيم مظاهرات هي احترام حرية التظاهر وعدم منعها إلا في الحالات الاستثنائية. وعلى ذلك، تلتزم الشرطة بتوفير الموارد اللازمة لحماية حرية التعبير عن الرأي، ولكن الظروف الاستثنائية فقط - التي لا يجدى فيها رصد القوات اللازمة للحيلولة دون اندلاع أعمال عنف - تبرر منع إقامة المظاهرة أو فرض قيود عليها.

يجب توخي الحذر الشديد عند استخدام مبرر التخوف من وقوع أعمال عنف، حتى لا نجد أنفسنا نمنح جائزة لمن يهددون باللجوء للعنف. كما أن الادعاء بضرورة منع إقامة مظاهرة بسبب إيذاء المشاعر لا يمكن الأخذ به سوى في حالات خاصة واستثنائية.

مكان محدد لا يضر بالحق في التعبير عن الرأي أو بالرسالة التي يرغب المتظاهرون في بثها. والمكانة الخاصة التي تحظى بها مدينة القدس، تبرر تحديد مكان مسيرة الشواذ بعيداً عن قلب القدس على مقربة من الأحياء الدينية والحريدية. كما أن إقامة مظاهرة أو مسيرة في ساحة الكنيست، بالقرب من دواوين الحكومة والمحكمة العليا، ستقضى بالفرض وستخمد إلى حد كبير تلك الرغبات الثائرة.

هذا ويمتلك كل من الكنيست - الذي منع بتشريعاته التمييز في العمل لأسباب تتعلق بالميل الجنسي -

ومحكمة العدل العليا - التي قامت بتطبيق هذا القانون - الصلاحيات التي تمكنهما من القيام بالمزيد في هذا الشأن. فالتظاهر لدعم رسالة المساواة، على سبيل المثال، عن طريق سن قانون الزواج (المدني)، سيحظى بمكانته المناسبة عند أبواب مجمع دواوين الحكومة، بينما قد يؤدي التظاهر في قلب القدس إلى أعمال عنف ومعارك ومشاجرات، لن تقيد الموضوع نفسه، علماً بأنه موضوع ذو أهمية كبيرة في مجتمع ديموقراطي يحترم حق الآخر المختلف في التمتع بالمساواة.

خسارة أنه لا توجد معارضة علمانية للحريديم

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/٧
بقلم: موران رادا

ويقول بوراز: "كانت هناك مهرجانات للفخر في الماضي، وكنت موجوداً في أحدها ومرت بسلام. لو كانوا سيقولون إن المهرجان سينظم في قلب حي ميئا شعاري كنت سأدرك سبب احتجاجهم، لكن الأمر ليس هكذا. فالمهرجان سيبدأ عند المجمع الحكومي وينتهي عند الجامعة بعيداً عن المتدينين.. ليست كل الأماكن بالقدس مقدسة".

يحذر بوراز من مغبة ما قد يحدث لو استجابت الشرطة والشواذ من الجنسين، أو المحكمة لرغبة الحريديم وألغوا المهرجان. وهو يقول: "لو انتصروا في هذه الحالة، فإن صلفهم سيتزايد، ولن يستطيع أحد الوقوف في طريقهم. لقد ظلوا ثلاث سنوات خارج الحكومة بفضل حزب شينوي، والآن فقد غاب حزب شينوي.. من لا يندم الآن لعدم وجود حزب شينوي بالحكومة، سوف يندم في المستقبل".

تجدر الإشارة إلى أن بوراز لن يشارك هذا العام في مهرجان الشواذ بالقدس. وهو يوضح قائلاً: "عندما ينظم المهرجان في تل أبيب سوف أحضر، لكنني بالتأكيد أساندهم. كل هذه النظرة البدائية العدائية للشواذ تثير الاشمئزاز ولا تدل على التحضر. هناك شواذ داخل المجتمع الحريدي، ولكنهم للأسف، لا يستطيعون الإفصاح عن ذلك".

منذ عهد قريب، كان "أفراهام بوراز" جزءاً لا ينفصل عن الساحة السياسية بصفته الرجل الثاني في حزب شينوي. وقبل الانتخابات الأخيرة، حينما لم يتم اختياره ليحل محل تومي لايب، اضطر لإخلاء مكانه لرون ليفنتال وثورة الشباب. والآن، ينظر إلى ما يحدث ضد مهرجان الشواذ ويعارض الإكراه الحريدي، كما كان الحال في الأيام الخوالي، ولكن هذه المرة بصفته مواطناً عادياً.

يشعر بوراز بالغضب من السلبية العلمانية في مواجهة العنف الحريدي: "حقيقة أن لا أحد من العلمانيين يقف في طريقهم، تدفع الحريديم إلى الاعتقاد بأنهم أسياد العالم.. من المؤسف أن نعلم أن هناك ١٧ عضو كنيست من أحزاب حريدية ينضمون إلى صف المعارضين للمهرجان، بينما لا يوجد أي حزب يحافظ على مصالح الجمهور العلماني. فحزب ميريتس لا يحافظ على مصالح العلمانيين، رغم أنه على استعداد للتعاون مع عناصر مختلفة من أجل إقرار السلام. ويبدو أن حالة الضعف التي يعانيها جعلت الأمر (يقصد مصالح العلمانيين) لا يأتي على رأس جدول اهتماماته. فهو لم يحارب أبداً الإكراه الديني، للمرة الوحيدة التي فعل فيها ذلك كانت في عهد شولاميت آلوني.. فمحاربة الإكراه الديني تعتبر بالنسبة لهم مجرد أمر هامشي".

ارتفاع في عدد الإسرائيليين الذين تنازلوا عن جنسيتهم

معاريف ٢٠٠٦/١١/٨
بقلم: إيلي بردنشتاين

خلال هذا العام فقط)، تنازل ٧٠٠ إسرائيلي عن جنسيتهم، بينما تنظر وزارة الداخلية عشرات الطلبات الأخرى، التي تعكس رغبة أكثر من ١٠٠ شخص في التنازل عن الجنسية الإسرائيلية. وتأتي الطلبات في الأساس من أشخاص كانوا قد نزحوا من إسرائيل واستقر بهم المقام في دول أوروبية، مثل ألمانيا، أستراليا وشبه الجزيرة الاسكندنافية، لأن هذه الدول لا تسمح بازديادية الجنسية. ويظهر من الطلبات المقدمة أنهم يُطلب منهم التنازل عن جنسيتهم الإسرائيلية من أجل الحصول على جنسية أجنبية في مكان إقامتهم الجديد. وفي تبريرهم لذلك، يشيرون إلى أنهم يريدون الحصول على تلك الامتيازات التي يحصل عليها المواطن المحلي في هذه الدول، كالاتحاق بالدراسة في الجامعة (يقصد الدراسات العليا)، والحصول على قرض عقاري لشراء شقة والحصول على امتيازات اجتماعية أخرى.

كما يتبين من طلبات أخرى أن الإسرائيليين الذين يسعون إلى الانخراط في مناصب عليا في التبتاجون الأمريكي أو في البيت الأبيض، وربما في الجيش الأمريكي أيضاً، يطالبون بالاحتفاظ بالجنسية الأمريكية فقط. فيما أشارت شورتس إلى أنه "على الرغم من أن جواز السفر الإسرائيلي قد أصبح اليوم من أقوى جوازات السفر في العالم، مقارنة بدول أخرى، فإن إسرائيل ليست عضوة في الاتحاد الأوروبي. ولذلك، يفضل الكثيرون الحصول على جنسية دولة من دول الاتحاد الأوروبي أو إحدى الدول التي في طريقها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، حتى وإن كان ذلك يعني أنه يتعين عليهم التنازل عن الجنسية الإسرائيلية".

أظهرت المعطيات الصادرة عن إدارة السكان في وزارة الداخلية أن حوالي ٣٠٠٠ إسرائيلي ممن نزحوا من إسرائيل خلال السنوات الأربع الأخيرة تنازلوا عن الجنسية الإسرائيلية.

وقد أظهرت المعطيات أن الإسرائيليين الذين تنازلوا عن جنسيتهم خلال السنوات السابقة هم في الأساس من المهاجرين الجدد وكبار السن الذين أصيبوا بخيبة أمل من الدولة وأرادوا التنازل عن جنسيتهم الإسرائيلية.. إلا أننا، هذا العام، بصدد الحديث عن حدوث هذه الظاهرة لشبان من جيل الصابرا، ممن تم تسريحهم حديثاً من الجيش ومن خريجي الجامعات، الذين آثروا الحصول على جنسية أجنبية والتنازل عن الجنسية الإسرائيلية لأسباب تعود إلى المنفعة الشخصية.

وقد صرحت، دودا شورتس، المسؤولة عن دائرة الجنسية في إدارة السكان بوزارة الداخلية: "من الطلبات التي ألقاها، أرى أن خيرة شباب المجتمع الإسرائيلي تهرب منا وتحبذ التنازل عن الجنسية الإسرائيلية". وتوضح شورتس قائلة: "إن الحديث هنا يدور عن خيرة الشباب ممن لم يتجاوزوا سن الـ ٣٠ عاماً، وهم من ذوي التعليم الجامعي، ومن المسرحين حديثاً من الجيش الإسرائيلي، بالإضافة إلى أنهم يتمتعون بقدرات وكفاءات عالية. المشكلة أنهم يتنازلون عن الجنسية الإسرائيلية، ليس لأنهم يشعرون بتخبط إزاء الصهيونية، أو أنهم لا يشعرون بالانتماء للدولة أو جذورهم، بل لأن الاعتبار الأول لديهم هو مصلحتهم الشخصية". فحتى بداية شهر نوفمبر من هذا العام (يقصد

الغالبية تفضل العيش في وسط إسرائيل

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/٨
بقلم: ماتان تسوري

أموال من الممكن أن تضمن لهم حياة أفضل وأطول. ووفقاً للبيانات التي عرضها البروفيسور تشرنخوفسكي، فإن سكان تل أبيب والقدس - على سبيل المثال - يعيشون لمدة ثلاث سنوات أكثر من سكان بئر سبع. فيما بلغ متوسط الأعمار في تل أبيب ٧٩,٥ عاماً، وفي القدس ٨٠,١ عاماً، بينما بلغ متوسط الأعمار في إقليم بئر سبع، الذي يضم كل المدن

أظهرت نتائج دراسة تم عرضها بالأمس، خلال مؤتمر سديروت للشئون الاجتماعية الذي انعقد في كلية سابير، أن متوسط الأعمار بين سكان وسط إسرائيل أطول من سكان الضواحي. فيما ذكر البروفيسور دوف تشرنخوفسكي، خبير الاقتصاد السياسي بجامعة بن جوريون في النقب، أن السبب في ذلك هو أن سكان وسط إسرائيل لديهم ما يكفيهم من

والمستعمرات، ابتداء من بئر سبع وصولاً إلى إيلات، ٧٧ عاماً فقط. وتجدر الإشارة إلى أن متوسط الأعمار القطري لعام ٢٠٠٥ كان قد بلغ ٧٩,٧ عاماً (حيث بلغ متوسط الأعمار ٧٧,٦ عاماً بين الرجال، و٨١,٨ بين النساء).

وحسبما ذكر البروفيسور تشرنخوفسكي، فإن كل شيء يبدأ وينتهي بالمال. وذلك نظراً لأن من يعيشون في وسط إسرائيل، هم مواطنين من أبناء طبقة اقتصادية واجتماعية أعلى بكثير من سكان الضواحي، ويعد ذلك هو السبب الرئيسي والمباشر في زيادة متوسط الأعمار بينهم: "الشخص الذي يعيش في وضع اقتصادي جيد يسمح له بشراء أدوية جديدة وناجعة، ومن ثم يمكنه الحصول على رعاية طبية على مستوى عال، لذلك فهو يعيش فترة أطول. وذلك مقارنة بشخص من أبناء طبقة اجتماعية واقتصادية أقل، فهو يحصل بوجه عام على أدوية ليست من الدرجة الأولى، ولا يحصل سوى على الرعاية الطبية الأساسية فقط.. لذا، وللأسف الشديد، تنتهي حياته قبل ذلك الشخص الميسور الحال".

ووفقاً للبيانات التي عرضها البروفيسور، والتي تستند في الأساس إلى البيانات الصادرة عن وزارة الصحة، فإنه كلما اتجهنا نحو الشمال، أو الجنوب، أو كلما ابتعدنا عن وسط البلاد، ينخفض متوسط الأعمار: حيث بلغ متوسط الأعمار في محافظة حيفا، التي تضم عكا ونهاريا ٧٨,٢ عاماً. بينما بلغ متوسط الأعمار في إقليم طبريا ٧٨,٣ عاماً، وفي عيمق يزرعئيل، بلغ متوسط الأعمار ٧٧,٩ عاماً، وفي إقليم صفد ٧٧,٧ عاماً، وإقليم الخضرة ٧٧,٢ عاماً. فيما بلغ متوسط الأعمار في إقليم رام ٧٧,٦ عاماً، وفي

إقليم عسقلان، الذي يشمل أشدود، سديروت، نتيفوت وأفاكيم، بلغ متوسط الأعمار ٧٧,٩ عاماً، وابتداء من بئر سبع وباللاتجاه جنوباً وصولاً إلى إيلات يصل متوسط الأعمار إلى ٧٧ عاماً.

ويدلل البروفيسور على ذلك بأن هناك ديناميكية تقوم على الربط بين الوضع الاقتصادي والحالة الصحية، بمثال هو معالجة مرض الإيدز.. فهذا الموضوع يثير دهشة كبيرة، فقد بات من الممكن اليوم التغلب على هذا المرض اللعين عن طريق شراء الأدوية باهظة الثمن. ومن لا يمتلك المال لشراء الدواء تتدهور حالته الصحية ليواجه شبح الموت. هكذا هو الحال في أفريقيا، حيث يصاب الأفراد هناك بأمراض خطيرة، مثل الإيدز، ثم سرعان ما يموتون، لأنهم ببساطة لا يمتلكون المال اللازم لشراء الدواء الذي يساعدهم على الشفاء من المرض".

ويوضح البروفيسور تشرنخوفسكي: "من المتوقع أن تتسع تلك الفجوات خلال السنوات القادمة. فما لم يحدث تغيير جذري، سيتفاقم الفارق في متوسط الأعمار، مما يشكل تهديداً على دولة إسرائيل. فهناك دول مثل إنجلترا والولايات المتحدة، أدركت خطورة مثل هذا الوضع، ولذا سعت من أجل تطبيق تمييز صحي. بينما في إسرائيل، تقوم وزارة الصحة برصد وتحويل الأموال إلى منطقة وسط البلاد والقدس، ثم تتوقف الأموال عند هذا الحد، أي أنها لا تصل إلى الضواحي. وفي رأيي، يجب اتخاذ إجراءات صارمة بشأن تحويل الأموال مباشرة إلى الضواحي، على أن يتم توزيعها على صناديق المرضى. علاوة على ذلك، يجب تحديد ورصد المناطق الفقيرة ودعمها بالأموال ودعم المراكز الطبية الموجودة بها".

الجامعة المفتوحة

معاريف ٢٠٠٦/١١/١٢
بقلم: أفيشاي بن حاييم

الجامعة الطلبة بشقة سكنية جديدة يسودها جو من الهدوء والأمان، وتتوافر فيها ظروف السكن المثالية، مع وجود أنشطة اجتماعية متنوعة، بل وتتوافر أيضاً بها إمكانية إقامة الطلبة والطالبات في نفس الشقة. كما جاء في الإعلان: "للمرة الأولى يمكن الجمع بين أماكن إقامة الطلبة والطالبات في شقة واحدة (وهذا مرهون بموافقة كل سكان الشقة)".

خطر الاندماج:

ثار غضب بعض الطلبة المتدينين، وبدأوا في جمع التوقيعات على عريضة ضد هذا المشروع في سائر

أدى مشروع جديد بادرت به الجامعة العبرية بالقدس إلى إثارة غضب بعض طلبة تلك المؤسسة الأكاديمية. فللمرة الأولى تسمح الجامعة هذا العام للأخذان غير المتزوجين (يقصد الأصحاب العاشقين) بالإقامة معاً في نزل الطلبة. هذا ويطالب الطلبة المتدينون الغاضبون بوقف هذه المبادرة.

بدأت هذه القصة عندما بدأت الجامعة العبرية منذ شهر في تنفيذ مشروع لتشجيع الطلبة على الإقامة في مدينة الطلبة، تحت عنوان: "تعالوا للإقامة والتمتع مع أصدقائكم الذين تحبونهم". وفي الإعلانات، وعدت

أقسام الجامعة. وعلى حد قولهم، فقد اتخذت الجامعة خطوة غير مسبوقة وغير مألوفة في المؤسسات الأكاديمية في الدولة، بل وفي العالم بأسره.

وقد أوضح لنا آدم بن حمو، صاحب مبادرة الاحتجاج، وهو طالب في قسم الفكر الإسرائيلي والأدب الإنجليزي: "إننا بصدد تصدع في القيم والأخلاق، حيث أصبحنا أرض خصبة للاندماج مع الشعوب الأخرى، نظراً لأن هناك الكثير من التلاميذ الوافدين من الخارج. وفي ضوء هذه الحقائق، لا نستطيع الاستفادة من مساكن الطلبة الجديدة. كما أن هذه خطوة تتجاهل مشاعر سكان الحي الدينيين في منطقة التلة الفرنسية. يبدو أن الروح الإباحية لمسيرة الشواذ تتسرب أيضاً إلى الجامعة، حيث قررت الأخيرة السماح للبنين والبنات بالإقامة معاً في نزل الطلاب". ويطالب منظمو الاحتجاج بمنع الأخدان غير

المتزوجين من العيش معاً. فعلى حد قولهم: "عندما يأتي هذا من جانب الجامعة، فإنه بمثابة انتهاك لقواعد الأخلاق الأساسية من جانب مؤسسة حكومية.. إن هذه سابقة لا يمكن أن تقوم بها مؤسسة أكاديمية، ولا سيما لو كانت في القدس".

وتعليقاً على ذلك، صرحت أوريت سولتسيانو، المتحدثة باسم الجامعة العبرية بأن: "الجامعة العبرية هي بيت لمختلف الآراء والمواقف، ولذلك تسعى الجامعة لتلبية مختلف الاحتياجات. ومن ناحية أخرى، يستطيع الطلبة عن طريق هذا المشروع، الخاص والجديد، في مدينة الطلبة، اختيار شكل السكن المناسب لهم: سكن في شقق خاصة للطلبة الدينيين، وسكن منفصل للرجال والنساء. وبناء على طلب الطلبة توجد مساكن للإقامة المشتركة بين الطلبة والطالبات وفقاً للقواعد المعمول بها في شقق الإيجار بسائر أنحاء القدس وإسرائيل كلها".

إسرائيل من أسوأ الدول على مستوى العالم في التزييف

يديعوت أحرونوت

٢٠٠٦/١١/١٤

بقلم: تاني جولديشتاين

أجريت في الولايات المتحدة وفي أوروبا - بأن إسرائيل هي أسوأ دولة في العالم الغربي، وواحدة من أسوأ ١٢ دولة في العالم - إلى جانب دول مثل الصين ومصر - في حجم عمليات التزييف والاعتداء على حقوق المبدعين.

◆ نقطع فرع الشجرة الذي نجلس عليه:

وخلال المؤتمر الصحفي، قالت إستر لوتساتو: "إن الصناعة الإسرائيلية غنية بالخبرات وقائمة على الملكية الفكرية. والاعتداء على حقوق الملكية الفكرية يلحق ضرراً بقطاع الإنتاج الهام والقوى في الدولة. فلا تستطيع شركات الصناعات التكنولوجية المتطورة البيع، إذا لم تحمهم هيئات براءة الاختراع. إننا الدولة الثالثة على مستوى العالم في عدد الاختراعات، ولكنها في الوقت نفسه واحدة من أسوأ الدول في انتهاك حقوق براءة الاختراع.. إننا نقطع فرع الشجرة الذي نجلس عليه".

وأضافت لوتساتو: "لقد وضعت الولايات المتحدة وأوروبا واليابان هذا الموضوع كهدف قومي، ووجدوا السبل للحد من انتشار هذه الظاهرة. فعلى سبيل المثال، تستغرق إجراءات اختبار براءة الاختراع حوالي ثلاث سنوات، أي ضعف المدة في الولايات المتحدة تقريباً. وقد أقيم الكثير من الشركات الإسرائيلية في الولايات المتحدة لهذا السبب".

وقال رئيس الغرفة التجارية، أوريئيل لفين: "إننا

أظهر التقرير الذي أعدته شركة براءة الاختراع "لوتساتو لله لوتساتو" نتائج خطيرة جداً، فيما يتعلق بحقوق المبدعين والمخترعين في إسرائيل: ٤٠٪ من الأفلام، ثلث البرامج والاسطوانات و ١٠٪ من الأدوية في إسرائيل مزيفة. وهذا التزييف يؤدي إلى خسائر اقتصادية تصل إلى نصف مليار دولار سنوياً. ويفيد التقرير بأن إسرائيل هي أسوأ دولة على مستوى العالم الغربي، وواحدة من أسوأ ١٢ دولة في العالم - إلى جانب دول مثل الصين ومصر - في حجم عمليات التزييف.

فقد أظهر التقرير نتائج خطيرة تتعلق بحماية حقوق الملكية الفكرية في إسرائيل، حيث يكلف انتهاك حقوق الملكية الفكرية (الاختراعات وحقوق المبدعين) الشركات نصف مليار دولار سنوياً. وقد كشف النقاب عن التقرير اليوم من خلال مؤتمر صحفي عقده الغرفة التجارية في تل أبيب.

وحسب التقرير، فقد خسرت شركات الأدوية في إسرائيل ٢٢٢ مليون دولار في عام ٢٠٠٥، بسبب انتهاك حقها في براءة الاختراع، وشركات البرمجة ٨٤ مليون دولار، وشركات الإنتاج الموسيقي ٣٩ مليون دولار، وشركات الإنتاج السينمائي ٢٨ مليون دولار، بينما خسرت الدولة ٩١ مليون دولار من إيراداتها من الضرائب.

كما يفيد التقرير - استناداً إلى الأبحاث التي

بصدد فيروس مخجل يشكل تهديداً على مكانة إسرائيل في العالم. وحتى الآن، لم تتم بلورة سياسة واضحة في هذا الشأن. إنني أطالب بتشكيل لجنة رسمية لإيجاد حلول لهذه المشكلة".

♦ "حماية حقوق براءة الاختراع لن تضر بشركة تيفع":

ويظهر تقرير لوتساتو أن ١٠٪ من الأدوية في إسرائيل مزيفة. ويقول تومير بابيه، مدير عام شركة فارما إسرائيل (اتحاد شركات الأدوية الأصلية): "لقد فكرت الكثير من شركات الأدوية أن تقيم في إسرائيل مراكز تطوير، ولكن ثمة واحدة منها لم تفعل ذلك. فغياب حماية حقوق الملكية على الدواء المبتكر يضر بالمنظومة الصحية وبالمريض ويتسبب في إضاعة الجهد. إن إسرائيل تنتهك بشكل منهجي الاتفاقيات التجارية التي وقعت عليها في هذا الشأن".

ويقول بابيه: "يمكن حماية الأدوية الأصلية بطريقة لا تلحق ضرراً بشركة تيفع. فقد أثبتت هذه الشركة أنها قادرة على مواجهة الأسواق التي بها رقابة مشددة على انتهاك حقوق الملكية". فعلى سبيل المثال، يقول بابيه أن فترة حماية حقوق إنتاج الأدوية في إسرائيل هي ٥ سنوات، في مقابل ١٠ سنوات في الخارج. ويضيف أن إسرائيل، خلافاً لدول أخرى، تسمح لشركات الأدوية بالطعن في المطالبة بحقوق براءة الاختراع على الأدوية الأصلية، وفترة السماح بالطعن تتيح لشركات إنتاج الأدوية المقلدة تقليد الدواء الجديد.

♦ ثلث البرامج مزيفة:

يفيد تقرير لوتساتو أن حوالي ثلث البرامج في إسرائيل مزيفة. ووفقاً للتقرير، فإنه إذا كانت نسبة ١٠٪ من البرامج المزيفة تباع في إسرائيل بالمال، لربحت صناعة البرمجة ٨٤ مليون شيكل. وحسب التقرير، فإنه إذا انخفض مستوى تقليد البرامج في العالم بنسبة

١٠٪، لربحت صناعة البرمجة ٨٥٠ مليون دولار سنوياً، وهكذا كانت ستتوافر ٢٨٠٠ فرصة عمل جديدة.

وتقول نعومي آسيا، التي تمثل الاتحاد العالمي لشركات البرمجة BSA: "إن الضرر الذي يلحق بالاقتصاد من تزيف البرامج كبير جداً. منذ سنوات ونحن نحاول الدفع بتشريع يجعل عقوبة انتهاك حقوق البرمجة مماثلة لعقوبة انتهاك حقوق الدواء، ولكن مستوى التشريع مثير للسخرية مقارنة بالعالم".

♦ أثر المتضررين هم منتجو الأفلام والاسطوانات:

غنى عن القول أن أكثر المتضررين من انتهاك حقوق المبدعين هم مستوردو الاسطوانات الموسيقية والأفلام، حيث يفيد التقرير أن ٤٠٪ من الأفلام السينمائية و ٣٢٪ من الاسطوانات في إسرائيل مزيفة. هذا في مقابل نسبة تتراوح بين ١٠ و ٢٠٪ في العالم الغربي.

"إذا لم يتم سن قانون لحماية الأفلام ستتعرض صناعة السينما لأزمة كبيرة تلحق ضرراً بمصدر رزق آلاف الأسر. والآن، تقلص عدد القضايا المرفوعة ضد مزور الأفلام إلى ٢٠٠ قضية سنوياً فقط، والعقوبات التي توقع عليهم مشابهة للعقوبات المضحكة التي توقع على مرتكبي مخالفات المرور"، قال "يتسحاق كوهين" مدير عام اتحاد الشركات السينمائية.

وحذر يتسحاق شيفر، مدير عام اتحاد التسجيلات والشرائط، من التعديلات التي يُدخلها الكنيست على قانون حقوق المنتجين، قائلاً: "إن الكنيست على وشك إضعاف حماية التسجيلات الأجنبية، والسماح بتحميل الألبومات الغنائية عبر الإنترنت. إذا لم يتوقف تحميل المنتجات الموسيقية عبر الإنترنت، لن تربح شركات الإنتاج الموسيقى شيئاً ولن تنتج اسطوانات جديدة.. إن التحميل عبر الإنترنت يهدد صناعة الموسيقى، وهي الفن الوحيد الذي لا يُطرح على جدول أعمال الحكومة".

هاآرتس ٢٩/١١/٢٠٠٦

بقلم: شحر ايلان

قانون "المقيمين غير الشرعيين" يلزم عائلات إسرائيلية بالمغادرة

لحصوله على المكانة القانونية في إسرائيل، القانون سيؤثر بصورة أساسية على عرب إسرائيل الذين لن يكون بإمكانهم، بسببه الزواج من مواطني السلطة الفلسطينية، تقديم طلب للشمّل بدون أن يقيم الزوج أو الزوجة في البلاد بصورة غير قانونية.

التعديل رقم ١٩ لقانون الدخول إلى إسرائيل (قانون المقيمين غير الشرعيين) يبدو للوهلة الأولى قانوناً ضد المخالفين لقوانين الإقامة في البلاد. ولكن فعليا بما أن

اليوم من المفترض أن يبدأ النقاش حول قانون "المقيمين غير الشرعيين" في لجنة الداخلية والأمن التابعة للكنيست. القانون اجتاز القراءة الأولى في اليوم الأخير من الدورة الصيفية، واللجنة تقوم بإعداده الآن للقراءة الثانية والثالثة.

هذا القانون يلزم كل مقيم غير قانوني يُقدّم طلباً للحصول على الجنسية في إسرائيل، بأن يغادر البلاد لفترة فاصلة مدتها سنة حتى خمس سنوات كشرط

أغلبية طالبي الجنسية في إسرائيل هم مقيمون غير قانونيين، وبما أن وزارة الداخلية تصعب إعطاء التصاريح لغير اليهود، فإن القانون سيمس بعشرات الآلاف من العائلات الإسرائيلية. وهو بذلك يشكل انقلاباً غير مباشر في سياسة الهجرة الإسرائيلية ويفلق المزيد من الأبواب أمام غير اليهود ويُحقّ ضرراً بالغاً بحق المواطن الإسرائيلي في اختيار شريكه في العائلة.

في أحزاب الوسط واليمين، باستثناء "إسرائيل بيتنا"، يسود إجماع واسع حول القانون المقترح. لذلك، سيكون تشريعه اللاحق سهلاً جداً. إلا أن ورقة العمل التي قدمتها جمعية "حقوق المواطن" تقول أنه قانون يلتف على سلسلة طويلة من قرارات المحكمة العليا وأنه غير قانوني. لذلك، حتى وإن تم تمريره عبر الكنيست في الأسابيع القليلة، فإن مصيره سيُحسّم على ما يبدو بعد أشهر طويلة أو سنوات من المداولات في محكمة العدل العليا.

♦ العرب هم المتضررون:

طاقم في مكتب المستشار القضائي للحكومة برئاسة المستشار الحالي ميني مَروز، هو الذي تولى صياغة القانون. في عام ٢٠٠٤ قدّم الاقتراح للكنيست لأول مرة بصورة متطرفة جداً من قبل عضو الكنيست موشيه كحلون (الليكود)، واجتاز القراءة التمهيدية. الاقتراح الذي يجري بحثه الآن هو اقتراح قانون حكومي، والإجماع الوطني الواسع حوله ينعكس من خلال حقيقة أن وزير الداخلية الحالي، روني بار أون (كاديما)، وسلفه أوفير بينيس (العمل) يؤيدانه.

الاتفاق حوله نابح على ما يبدو من كونه وسيلة لمكافحة المقيمين غير الشرعيين في البلاد، إلا أن القانون في حقيقة الأمر يمس بكل سكان البلاد من

الناحية الفعلية، حيث يُحرّمون من الزواج من شخص لا يملك الإقامة القانونية. الإسرائيليون العرب سيكونون في الواقع هم المتضررين الفعليين، لأن زواجهم من فلسطيني أو فلسطينية من المناطق سيحول دون حصولهم على لم الشمل الذي يستوجب بدوره وجوده في البلاد، هذا الوجود الذي يمنع القانون الحالي بدوره تحقيقه.

عضو الكنيست جمال زحالقة يقول أن القانون هو وجه آخر لقانون المواطنة. وكل أمر موجه لضرب المواطنين العرب يمر في الكنيست بسهولة كبيرة اليوم، حيث تسود هستيريا الديموجرافيا، و"الجدل الديموجرافي بدوره يتحول إلى جدل عنصري" حسب قول زحالقة.

القانون لا يمس بالعرب وحدهم، كما أسلفنا، وهو يشمل كل إسرائيلي يحرمه هذا القانون من الزواج ممن يريد إذا كانوا مقيمون غير قانونيين. المحامي عوديد فيلر من جمعية حقوق المواطن يقول أن القانون غير شرعي لأنه يمس بحقوق العائلات والمساواة. كما أنه يلتف، حسب رأيه، على ثلاثة قرارات لمحكمة العدل العليا.

اقتراح القانون يضع حزب "إسرائيل بيتنا" في وضع معقد لأنه يؤيده من ناحية إذا كان موجهاً لتقييد تكاثر العرب، ويعارضه لأنه يمس بلم شمل عائلات المهاجرين اليهود. وعليه، يقترح الحزب إدخال تعديلات عليه، بحيث لا يمس باليهود.

وزارة العدل بدورها تقول أن القانون يأتي للدفاع عن الدولة من ظاهرة تشمل عشرات آلاف المقيمين غير الشرعيين فيها، وأنه يتوافق مع قرارات المحكمة العليا ويسمح باستثناءات إنسانية مختلفة، وهو بدوره سياسة متبعة في دول غربية كثيرة.

ترجمات عبرية

٧

حوارات

حوار مع نائب وزير الدفاع "إفرايم سينييه"

المصدر: القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلي ٢٠٠٦/١١/١١
برنامج: "بجوش إت هاعتونوت" (واجه الصحافة)
أجرى الحوار: أهارون برنياع وأمنون إبراموفيتش

أهارون برنياع: مساء الخير، فى حلقة اليوم نستضيف نائب وزير الدفاع وعضو الكنيست الدكتور "إفرايم سينييه" .. "إفرايم سينييه" هو طبيب أمراض باطنية وعميد احتياط .. مرحباً بك د. "إفرايم سينييه".

إفرايم سينييه: مرحباً.
أهارون برنياع: ومرحباً أيضاً بزميلي "أمنون إبراموفيتش".

أمنون إبراموفيتش: مرحباً "أهارون".

أهارون برنياع: فى الحوار الذى أدليت به لصحيفة "جيروزاليم بوست" يوم الجمعة الماضى قلت: "ينبغى على إسرائيل صد التسليح الإيراني مهما يكن الثمن، وأنا أعتبر ذلك الملاذ الأخير، ولكن أحياناً يكون الملاذ الأخير هو الملاذ الوحيد". وتعليقاً على ذلك، قدم صباح اليوم السفير الإيراني لدى الأمم المتحدة "محمد جواد ظريف" شكوى إلى مجلس الأمن القومى ضد ما سماه "التحديات الإسرائيلية اللاذعة" .. ماذا تقصد بقولك أنه يتحتم على إسرائيل وقف التسليح النووى الإيراني بأى ثمن؟

إفرايم سينييه: لم أقل هذا .. لقد قلت رأيين: أولاً، أن إسرائيل لا يمكنها العيش فى ظل تهديد نووى إيراني، لأن هذا التهديد - من المعروف أنه لم يتم

إطلاق أى صاروخ بعد - يعنى نهاية الحلم الصهيونى.. هذا التهديد النووى سيحول دون استمرار الهجرة لإسرائيل وسيدفع بالكثير من الإسرائيليين إلى النزوح عنها. وهذا ما يتحتم علينا منع حدوثه بأى ثمن. وأعتقد أن المقولة الأولى هى مقولة سليمة لأن نهاية الحلم الصهيونى - إن كنت على حق - هى مسألة لا يمكننا التضحية بها.

أمنون إبراموفيتش: معذرة سيد "سينييه" .. هذا لا يعنى فقط نهاية الحلم الصهيونى وإنما نهاية الحلم الفلسطينى أيضاً .. كما أنك تدرك أن إسرائيل ليست لديها القدرة على القضاء على الصناعة النووية الإيرانية، وبالتالي فإن مقولة كهذه تبدو غير مسئولة.

إفرايم سينييه: أولاً لا تقل لى ما على وما لى .. والآن، أود أن أعود إلى المقولة الثانية: لقد قلت إننى لا أوصى بضرية وقائية عسكرية إسرائيلية لأننى أدرك تداعياتها، وإن كنت أعتبر ذلك هو الملاذ الأخير. لكن أحياناً ما يكون الملاذ الأخير هو الملاذ الوحيد .. أريد أن أوضح هذه النقطة .. من ينبغى عليه الآن معالجة هذه القضية هو المجتمع الدولى، لأنه أيضاً مستهدف من قبل أحمدى نجاد ..

أهارون برنياع: لكن مقولتك وضعتنا على رأس

المجتمع الدولي لقيادته في النضال ضد القضية النووية الإيرانية.

إفرايم سينييه: إننا لسنا على رأس النضال، كما أن سياستنا لا تهدف لأن نكون في صدارته، ولكن عندما يقول أحمدى نجاد أنه يرغب في محو هذه الدولة من على وجه الأرض، وأن هذا ليس ببعيد...

أمنون إبراهيموفيتش: لحظة من فضلك، تمتلك باكستان دائرة نووية كبيرة جداً، وهي دولة تشهد انقلابات عسكرية وربما تنتقل غداً الأسلحة النووية الباكستانية إلى أيدي إجرامية.

إفرايم سينييه: يمكنني أن ألقى عليك محاضرة في الوقت المتبقى لنا عن باكستان، ولكن ذلك سيبعدنا عن الموضوع الأصلي لهذا الحوار... لكن ما الوضع عندما يقول الحاكم الإيراني أن هذه الدولة سيتم محوها قريباً من على وجه الأرض؟ قال لي بعض الأشخاص الذين قابلوا أحمدى نجاد: تعاملوا مع هذا الرجل بجدية لأنه متعصب وجاد ولا تستخف به. ويجب على دولة إسرائيل أن تعد الرد الذي يحول دون حدوث ذلك.

أهارون برنياع: ما هو الرد، أيجب أن يكون رداً عسكرياً...

إفرايم سينييه: الرد هو دعم قدراتنا، سواء الدفاعية أو الهجومية، بالشكل الذي يتيح لنا الحيلولة دون وقوع ذلك، في حال عدم قيام آخرين بذلك.

أهارون برنياع: هل يعني ذلك أنه إذا لم يفعل الآخرون ذلك الأمر يجب على سلاح الطيران الإسرائيلي الهجوم على المفاعلات النووية الإيرانية كما فعل في تموز/ يوليو ١٩٨١ مع المفاعل النووي العراقي بالقرب من بغداد.. هل فهمت ما قلته على نحو جيد؟ إفرايم سينييه: إنني لا أقصد ذلك، فلا وجه مقارنة بين ما حدث في ١٩٨١ وما يحدث الآن، لكنني أقول أنه عندما تتعرض دولة إسرائيل لهجوم كهذا، يجب عليها أن تعد كل السبل التي تتيح لها الدفاع عن نفسها.

أمنون إبراهيموفيتش: لكن "إفرايم" ليس كل ما نرغبه نطوله، قد تكون لدى إسرائيل القدرة على عرقلة التطور النووي الإيراني، لكنها غير قادرة على القضاء عليه.

إفرايم سينييه: إسرائيل لا يمكنها القضاء على ٦٩ مليون نسمة، لم أكن أقصد ذلك.. لكنني أيضاً لا أعتقد أن هناك آخرين يقدرّون على فعل شيء ما لدولة إسرائيل ولصالح وجودي أنا غير قادر على فعله.. وطالما نواجه مثل هذا العدو الذي يحاربنا فعلاً، سواء ضمن صفوف الجهاد الإسلامي أو لجان المقاومة أو حماس أو حزب الله في الجنوب اللبناني، فما عليك إلا أن تستعد له بشكل جاد، خاصة أنك لا يمكنك الاعتماد فقط على الآخرين.

أهارون برنياع: كم من الوقت مر عليك منذ توليت منصب نائب وزير الدفاع للمرة الثانية؟ إفرايم سينييه: عشرة أيام.

أهارون برنياع: ما هي الصلاحيات المخولة لك؟ إفرايم سينييه: انظر.. الأمر لا يتعلق بالصلاحيات، وإنما بمجالات العمل. أولاً أنا أشارك في كل المناقشات ذات الصلة، لكنني أخذت على عاتقي ثلاث قضايا سوف أقوم بعلاجهم..

أهارون برنياع: إنني أسألك، لأنه من المتعارف عليه قبل التعيين إجراء نقاش مع الوزير حول الصلاحيات التي ستوكل إلى نائبه، ولا سيما في وزارة الدفاع، وأنت تقول لي أنه لا توجد صلاحيات وأنتك حددت بعض المجالات.

إفرايم سينييه: لم أحدد شيء، لقد أوكل لي وزير الدفاع، من خلال المناقشات والمشاورات معه، قضايا تتعلق بالجبهة الداخلية وتشكيل الاحتياط والقضية الفلسطينية والحوار معهم وقضية المناطق (الفلسطينية) وغيرها من القضايا التي تناولتها في الماضي، وسوف أتاولها في الوقت الحالي.

أمنون إبراهيموفيتش: لم يكن هناك نواب لكل وزراء الدفاع.. فهل يحتاج عمير بيرتس لنائب في وزارة الدفاع؟

إفرايم سينييه: كيف؟ بدءاً من دافيد بن جوريون، الذي كان نائبه إسرائيل جاليلي، حتى شاؤول موفاز الذي كان نائبه زئيف بويم، تقريباً كل وزراء الدفاع كان لديهم نواب.

أهارون برنياع: لكن بوجه عام، هل ترى أن "عمير بيرتس" يحتاج إلى نائب وزير دفاع بصورة تفوق أي وزير آخر؟

إفرايم سينييه: بصورة لا تقل عن الآخرين، لأن المجالات الآن أكبر.. فعلى سبيل المثال، كانت قضية تشكيل الاحتياط مسألة بسيطة في السابق، ولكنها الآن عبء كبير للغاية.

أهارون برنياع: لكنك تدرك ما أقصده.. إنني أقصد أن "عمير بيرتس" ليست لديه خبرة في القضايا الأمنية، أما أنت فلديك هذه الخبرة.

إفرايم سينييه: نعم لدى هذه الخبرة، في الوقت الذي لا يدعى فيه بيرتس بأنه خبير عسكري، ومن ثم فإن مساعدته مهمة، وقد قلت ذلك سابقاً. وعلى أية حال، في النهاية، القرارات القيادية توضع على طاولة الوزير.. إنك تقول صلاحيات وأنا لا أعتبرها صلاحيات، فأنا أكلف بعمل وهو التعامل مع بعض القضايا وإعدادها لكي يتخذ الوزير قراراً فيها، وهذا هو ما ينبغي على فعله.

أمنون إبراهيموفيتش: سيد "إفرايم"، "عمير بيرتس"

هو أول وزير دفاع لا تربطه علاقة بقضية الأمن القومي مقارنة بـ"ليفى أشكول" و"بنحاس لافون" و"موشيه أرنس" .. هل تعتقد أن يكون لدولة إسرائيل وزير دفاع بعيد كل البعد عن قضية الأمن القومي؟

إفرايم سينييه: أعتقد أن مقولة أنه بعيد كل البعد عن قضية الأمن القومي هي مقولة غير سليمة، لأن أى شخص فى الدولة يعمل بالسياسة بمستوى معين، يتعين عليه التعامل مع القضايا الأمنية...

أمنون إبراموفيتش: إننى أتحدث عن العلاقة بقضية الأمن القومي مقارنة بـ"دان مريدور" و"يوسى ساريد" ود. "يوفال شتاينيتس" .. لقد كان "عمير بيرتس" بعيداً تماماً عن كل هذا الحاضر..

أهارون برنياع: لقد جاء بأجندة اقتصادية اجتماعية.

إفرايم سينييه: "عمير بيرتس" ليست لديه خلفية أمنية ولا أحد ينكر ذلك، وهو لا يدعى ذلك، وسوف أقول لك ما يتمتع به، وهو ما شاهده خلال تلك الأيام العشرة، فهو يصدر قرارات سليمة ومباشرة ومسئولة وجادة وكذلك واعية فى القضايا المتخصصة التى تعرض عليه.. وهذا ما يحتاجه شعب إسرائيل. فقد يكون هناك شخص ذو خبرة كبيرة بالقضايا الأمنية، لكنه لا يتصرف بمسئولية وجدية.

أهارون برنياع: لكن هناك من يتحدثون داخل حزب العمل اليوم بعد حرب لبنان الثانية عن وقوع حرب بعد توليه منصب وزير الدفاع بخمسة أشهر، ويتحدثون عنه بألم ممزوج بحزن.

أمنون إبراموفيتش: هؤلاء هم من يتحلون بالإنسانية من بينهم، ولكن الأشرار يتحدثون بلا ألم ولا حزن. إفرايم سينييه: إننى أتقبل ملاحظة "أمنون"، فالأشرار يتحدثون بمصطلحات أخرى، ولدينا الكثيرون منهم.

أهارون برنياع: إذاً، فإن موافقته على شغل منصب وزير الدفاع تعنى أنه حفر قبره السياسى بيده..

إفرايم سينييه: كلا، وسوف أقول لك ما قلته لـ"يوسف"، أحد أصدقائي، إن حزب العمل لو كان يرغب فى المشاركة فى الحكم يجب عليه أن يشغل منصب وزارى كبير، وإلا سنكون حزب شاس رقم ٢٠ وكان "عمير بيرتس" يرغب فى شغل منصب وزير المالية بأى ثمن، لكن "إيهود أولمرت" لم يمنحه هذا المنصب، بالتأكيد لاعتبارات سامية، ومن ثم فقد حصل على حقيبة وزارية مهمة للغاية، وربما تكون الأكثر أهمية من حيث التأثير على مصير الدولة.

أهارون برنياع: لكن "عمير بيرتس" سيدفع مقابل ذلك ثمناً سياسياً، فوضع حزب العمل جيد، ولكن يبدو أنه هو الذى سيدفع الثمن بشكل شخصى.

إفرايم سينييه: انظر.. إننى أعتبر هذه الحقيقة أغلى وديعة حصل عليها حزب العمل، وسوف نبذل، أنا وهو، كل ما فى وسعنا حتى يتم التعامل مع هذه الوديعة على أكمل وجه وبمسئولية شديدة.

أهارون برنياع: لقد قلت سيد "إفرايم سينييه" أن "عمير بيرتس" يقوم بالتشاور قبل اتخاذ أى قرارات مهمة.. هل تعتقد - كما يزعم الكثيرون - أن قادة الجيش يستغلون عدم خبرة "عمير بيرتس" الأمنية والعسكرية..؟

إفرايم سينييه: أعتقد أن هذا أمر صعب، لأن العقل السليم، بالإضافة إلى قدر من الشك، هما اللذان يحسمان الأمور فى النهاية.

أهارون برنياع: هل تعتقد أنه سيستمر فى هذا المنصب..؟

إفرايم سينييه: انظر.. يمكننى أن أجيبك كإى شخصية سياسية بأنه سيظل حتى نوفمبر ٢٠١٠، ولكن العام الحالى سيكون عام الحسم فى قضايا كثيرة داخل حزينا، ثم هل هناك شيء متوقع فى السياسة الإسرائيلية..؟ هل نعرف ثلاثاً ماذا سيحدث بعد أسبوع..؟ سوف أبلغكم بوجهة نظرى من خلال شغلى لهذا المنصب لمدة عشرة أيام، وهى أنه يجب عمل كل ما فى وسعنا وبأسرع وقت، ليس لأننا نوشك على إنهاء فترة ولايتنا، وإنما لأن هناك الكثير من القضايا المهمة والمصيرية والعاجلة، ولا يمكننى الاهتمام بما سيحدث بعد فترة زمنية معينة، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بقضايا خاصة بوزارة الدفاع.

أمنون إبراموفيتش: سيد "سينييه"، أنت طبيب وخدمت فى الجيش كقائد وحدة عسكرية وكنت وزيراً للصحة ووزيراً للمواصلات.. لديكم فى الحزب ٥ أو ٦ أو ٧ مرشحين لرئاسة الحزب، لماذا لا ترشح نفسك..؟ ما سبب كل هذا التواضع..؟

إفرايم سينييه: إننى لست متواضعاً، وقد أُرشح نفسى فى وقت ما من عام ٢٠٠٧، إننى أعرف المرشحين جميعاً، وجميعهم من نفس سننى بقدر أو بآخر، وكلهم أناس أخيار وزملاء لي. لا أشعر بأن أحدا منهم أقل منى فى المستوى، لكنهم جميعاً أقل منى من حيث العلاقات والخبرة. ولكننى حالياً - كما فهمتم من تصريحاتى السابقة - أريد التركيز على عملى الحالى بوزارة الدفاع.

أهارون برنياع: وإذا لم ترشح نفسك فمن ستؤيد..؟ إفرايم سينييه: لا أحد يعرف ماذا سيحدث.. كل ما أتمناه هو أن يجتاز حزب العمل هذه العملية بسلام كوحدة واحدة، وهو أهم شيء فى نظرى الآن.

أهارون برنياع: لقد قرأت التصريحات التى أدليت بها فى حوار لصحيفة "هاآرتس"، بأنه حان الوقت لغلق

المتجر، وهدم ما هو قائم بالفعل، وتشكيل حزب جديد يضم أحزاب العمل وكاديسا وميريتس والمتقاعدون.. لقد قلت ذلك.

إفرايم سينييه: لم أقل ذلك بالتحديد، وسوف أوضح لك ما كنت أقصده..

أهارون برنياع: هل تقصد تفكيك حزب العمل..؟
إفرايم سينييه: كلا.. يسود الآن وضع غير طبيعي، ويجب تغيير هذا الوضع. واعتقد أن ما ينبغي أن يصير الآن - ليس على أنقاض حزب العمل وإنما عن طريق انفجار آخر - هو تشييد بيت ليسار غير واضح الحدود من الناحية الأيديولوجية، وسوف أوضح لك أركانه الثلاثة الأساسية: الركن الأول، إسرائيل كدولة عظمى إقليمية وقوية.. والركن الثاني، إسرائيل كدولة ديموقراطية وفقاً للنموذج الاسكندنافي، أي أوروبي شمالي.. والركن الثالث هو التوصل لتسوية مع الفلسطينيين. هذه هي الأركان الثلاثة التي إذا استطاع أحد الالتزام بها يمكنه أن يجد له مكاناً تحت هذا السقف الذي أتحدث عنه.

أهارون برنياع: أدليت بتصريحات لصحيفة "هاآرتس" وجاء فيها: "لأن أناساً كثيرين يقولون إن حزب العمل لم يكن في أسوأ حال مما هو عليه الآن".. هل يمكن يا سيد "سينييه" أن تقول بكلمات حذرة أن حزب العمل وصل إلى طريق مسدود..؟

إفرايم سينييه: لا، لم يصل إلى طريق مسدود. أعتقد أنه يحدد الطريق الاجتماعي والسياسي السليم للدولة، لكنه يعاني من أنه يجمع، فضلاً عن الأمور الإيجابية التي ذكرتها، بين طموحات أكبر وبين مسؤولية أقل، ولذلك فإننا نبدو في شكل سيئ رغم صحة منهاجنا.. لذا، أأمل أن يعمل كل زملائي من أجل تغيير هذا الوضع وأن يكثروا من الحديث عن إنجازات الحزب.

أمنون إبراموفيتش: كل هذا جيد، ولكنهم في نهاية الأمر (يقصد أعضاء وقيادات حزب العمل) مجرد بشر، هل تعتقد أنكم على استعداد للوقوف بجوار مرشح وأنتم تتبعون رئاسة "عمير بيرتس"؟..

إفرايم سينييه: إننا على استعداد للوقوف بجوار المرشح الذي سيتم انتخابه، ولكن السؤال هو عما إذا كانوا داخل الحزب على استعداد للتعاون مع الشخص المنتخب أم الحكم عليه بالإعدام.

أمنون إبراموفيتش: وماذا عن إعادة السيد "إيهود باراك" إلى اللعبة..؟

إفرايم سينييه: هل تعرفون مقولة: "ادعوا إيهود"، لماذا لا تدعون "إيهود"؟.. وأنا أدرك قدراته وإنجازاته، ولكن في السياسة لا يدعون أحد.. إن كانت لديك رغبة فلتحضر، الأمور لا تسير هكذا في السياسة..

أهارون برنياع: هل تؤيد عودته..؟
إفرايم سينييه: هو صاحب القرار، وأنا أؤيد حضور أي شخص كفاء.

أهارون برنياع: أريد أن أسألك بصفتك عضواً في حزب العمل والآن نائب وزير الدفاع عن الحزب، إنكم تجلسون في حكومة "إيهود أولمرت" التي انضم إليها في الأسبوع الماضي وزير جديد وجميعاً يدرك اسمه، هل تريد أن تبلغني أنك ستتعاون مع "أفيجدور ليبيرمان" بصفته وزير التهديدات الاستراتيجية..؟

إفرايم سينييه: في قضايا قليلة للغاية، يمكنني أن أتعاون معه في كل ما يتعلق بالتهديدات الخارجية في ظل صلاحيات وزارة الدفاع وصلاحيات الوزارة التي ذكرتها الآن..

أهارون برنياع: نحن ندرك طبيعة هذه الوزارة. إفرايم سينييه: كلا، ولكن على مستوى القضايا الاجتماعية والسياسية هناك فجوة كبيرة بيني وبينه.

أهارون برنياع: حسناً، دعنا نستمع إلى التصريحات التي أدلى بها "أفيجدور ليبيرمان" الأسبوع الماضي لمراسل إذاعة الجيش "رازي بركاي": ("أفيجدور ليبيرمان": لقد قلت إن هذا تبادل للأرض والسكان، وإقامة دولة يهودية متجانسة، وأنا لا أفهم سبب حق الفلسطينيين في دولة خالية من اليهود. وقد تعهدنا بإقامة دولة فلسطينية خالية من اليهود، وستغلي من هناك كل المستعمرات وكل اليهود. سنقيم دولة متجانسة. ونحن في طريقنا لأن نصبح دولة ثنائية القومية، حيث إن ما يزيد على ٢٠٪ من سكان دولة إسرائيل من أبناء الأقليات)..

نحن نعرف رأيك في القضية الفلسطينية وسبل حلها.. كيف يمكن أن تجلس بجواره في حكومة واحدة..؟

إفرايم سينييه: أولاً، لقد جلسنا بجواره وبجوار أشخاص أكثر يمينية منه، مع الراحل "رحبعام زئيفي" (غاندي) و"إيفي إيتام". والسؤال هو ليس عمن نجلس بجواره وإنما عما نفعله، وهذا هو محك اختبار الحكومة في الأشهر القادمة. لقد وضع معنا رئيس الحكومة الخطوط العريضة للحكومة - التي تستند إلى كلمته التي ألقاها هنا في "نافيه إيلان" عشية الانتخابات - وهي تبدأ بضرورة التفاوض مع الفلسطينيين، وإذا التزم بينود الاتفاق الائتلافي فلا مشكلة في ذلك، ولو أقام حلف جديد مع "ليبرمان" فإن هذه الشراكة لن تستمر.. لن تستمر هذه الحكومة إلا إذا التزمت بالخطوط الأساسية التي اتفقنا ووقعنا عليها.

أهارون برنياع: لكن ما يقوله "ليبرمان" ليس ضمن تلك الخطوط الأساسية.

إفرايم سينييه: هذه هي خطوطه الأساسية (يقصد الخاصة به).

أمنون إبراهيموفيتش: لكن "إفرايم" إن "أبو مازن"، الأكثر اعتدالاً، يقول اليوم إنه لن يتم التوصل لتسوية دون تطبيق ما يطلق عليه حق العودة، وهذا يعني أنه لا مفر من الخطوات أحادية الجانب لو كنا نرغب في إنهاء الاحتلال.

إفرايم سينييه: من المؤكد أنك استمعت إلى خطابه بالكامل.. الخطاب الذي ألقاه اليوم بعد مرور ثلاثة أيام على ما حدث في بيت حانون هو خطاب معتدل، ويمكن استناداً إليه البدء في مفاوضات.. نحن جميعاً نعلم أننا سنجرى مفاوضات صعبة بشأن أمرين وهما: القدس واللاجئون.

أهارون برنياع: إنك تتحدث عن التسوية الدائمة. إفرايم سينييه: نعم، وهذا الأمر هو جزء من التسوية النهائية.. ومن المؤكد أنه سيكون محل جدال. ولكن إذا لم نأخذ زمام المبادرة، فإننا لن نتوصل إلى ذلك أبداً. أهارون برنياع: إنك تدرك - مثلي تماماً - أن السيد الذي يجلس في دمشق ويطلقون عليه "خالد مشعل" هو الرئيس غير الرسمي للسلطة الفلسطينية.

إفرايم سينييه: إنني لا أوافقك الرأي وسأقول لك السبب. أولاً، أن الشعب الفلسطيني هو شعب منقسم وأنتم تدركان ذلك، حيث يرغب معظمهم في التوصل إلى تسوية مع إسرائيل تتيح إقامة دولتين لشعبين. وحتى حركة حماس في الانتخابات التي فازت بها كانت أقلية (٤٢٪ مقابل ٥٦٪ ذهبوا إلى حركتي فتح والجهاد، وهذه هي نتيجة الانتخابات بالأصوات).. من الناحية الرسمية فإن الرجل المخول للحديث مع إسرائيل هو "أبو مازن"، كما تم اختياره بنسبة ٦٢٪ في الانتخابات الشخصية التي نعتبرها انتخابات نزيهة... لا يمكن هزيمة حماس دون طرح أفق سياسي، والهدف من المفاوضات في مرحلتها الأولى هو وضع صيغة عامة يستطيع "أبو مازن" عن طريقها أن يتوجه لشعبه ويقول لهم لقد اتفقت مع الإسرائيليين على هذه المبادئ، هل تسمحون لي بالمواصلة أم لا.. لو احتوت هذه الورقة على أمل كاف للفلسطينيين يمكن معه إحراز تقدم والمضي قدماً. وهذا ما أطلق عليه تعاون استراتيجي لهزيمة حركة حماس. وأود أن أكرر جملة شبيهة بما قلته عن الإيرانيين، فإسرائيل لا يمكنها العيش بجوار "فلسطين - حماس"، لا يمكنها ولن يحدث ذلك.. وهذا يعني أنه يجب هزيمة حماس، ولا يمكن فعل ذلك دون مفاوضات، وهذا ما يجب البدء فيه.

أمنون إبراهيموفيتش: أوضحت ذلك بصورة جيدة.. ولكن دعنا نتحدث عن الوضع مع دمشق. أليس لزاماً علينا أن نفعل كل ما في وسعنا في محاولة للتوصل إلى

تسوية مع سوريا..؟

إفرايم سينييه: مبدئياً طالما هناك باب، يجب أن نجد طريقة لفتحه. واتفق معك مائة بالمائة بأن سوريا لم تفكر في هذا الأمر أبداً. ولكنني سأقول لك ما توصلت إليه لأنني دائم الحرص على الاستماع للآخرين.. عندما سألوا السوريين عما إذا كانوا على استعداد لوقف نقل أسلحة لحزب الله وإبعاد "خالد مشعل" من دمشق وغلق الحدود السورية العراقية حتى لا تتسلل عناصر إرهابية وأسلحة.. هل أنتم على استعداد..؟ الحقيقة أنهم ليسوا على استعداد لفعل ذلك. ويقولون أولاً نريد ضمانات بشأن الجولان، ثم تفكر في الخطوة القادمة. وهذا يعني أن السوريين يقولون أن آخر شيء يفكرون فيه خلال مراحل الحوار بيننا هو الانفصال عن الإيرانيين. إنهم ليسوا على استعداد لفعل تلك الأمور التي نرى، وكذلك الولايات المتحدة، أنها صحيحة...

أهارون برنياع: دعنا نعد للحديث عن طبيعة عملك.. لقد قلت إنك تشارك في كل اللقاءات وإنك مطلع على الأمور، وأنا أريد أن أطرح عليك سؤالاً: هل القيادة العسكرية في الوقت الحالي قادرة على استخلاص العبر على المستوى الإنساني وتنفيذها بشأن ما حدث لنا في حرب لبنان الثانية..؟

إفرايم سينييه: أعتقد أنها قادرة على فعل ذلك من حيث هيكلها وكفاءتها، ولكن ينبغي تحديد ما نرغب في فعله، أي أن هناك أمران بسيطان وأمر آخر أصعب، وأعتقد أنك تدركه عندما طرحت هذا السؤال.. إعادة العتاد الذي فقد، وهذه مجرد مسألة وقت وأموال، وضرورة تدريب الوحدات...

أهارون برنياع: يجب إصلاح القوات البرية.

إفرايم سينييه: يجب إعادة تدريبها وتأهيلها.. ولكن لو سألتني عن أهم شيء أقول لك إعادة الروح التي كانت سائدة في الماضي واختفت الآن.. إدارة أقل وقيادة أكثر، وهذا يتطلب مجهوداً جماعياً من جانب الجيش، وربما يمكن إحضار الأشخاص الذين كانوا يخدمون في الماضي وتطوعوا للخدمة.. هذا ما ينبغي التفكير فيه، لأن هذا هو أهم شيء من بين كل عناصر الإصلاح الذي نتحدثون عنه..

أمنون إبراهيموفيتش: بصفتك عميد احتياط، هل تعتبر المشكلة الأكبر هي مشكلة التخصص العسكري..؟ وطالما يخدم جنود الجيش في المناطق (الفلسطينية) عند الحواجز والطرق والبؤر الاستيطانية، فإن هذا لا يمثل أي تدريب لهم، ألم يحن الوقت لتشكيل قيادة خاصة بالمناطق (الفلسطينية) وتخصيص الجيش الإسرائيلي للدفاع عن دولة إسرائيل..؟ إفرايم سينييه: هذه مشكلة تنظيمية، ينبغي التوصل

لتسوية تجعل من هذا الوجود أمراً غير ضروري، ولكن المناطق (الفلسطينية) هي التي أهلت الجيش، وهذه هي إحدى المشكلات. وسأبلغك بأمر آخر سياسي مهم، هناك محور من الدول المعتدلة على استعداد للتحالف معنا ضد قوى الشر، عندما يبدأ الصراع مع الفلسطينيين في الحل. ينبغي أن يكون في المناطق (الفلسطينية) وجود معين طالما ظل الوضع على ما هو عليه، ولكن يجب السماح للوحدات بالمزيد من التدريبات وتغيير أسلوب التعامل ونظام العمل. أهارون برنياع: أخبرنا لو كنت مكان "بيرتس" هل كنت ستصادق على تعيين اللواءات الأربعة على أيدي

رئيس الأركان أم كنت ستوقف ذلك؟.. إفرام سينيه: أولاً، من الجيد أنه جمد هذه التعيينات حتى انتهاء التحقيقات. يجب الانتهاء أولاً من التحقيقات، فالجميع سواسية أمام القانون. أهارون برنياع: هل تدرك ما هي أهداف عملية "غيوم الخريف" في غزة؟.. لقد توغلنا هناك وقصفنا بالمدفعية ولا تزال صواريخ القسام تسقط علينا ولم يحدث شيء. إفرام سينيه: لقد كان الهدف هو الاصطدام مع عناصر حماس وإصابتهم.

حوار مع "يجال كارمون" مؤسس ومدير منظمة "ميمري" (*)

أجرى الحوار: روتى بلوم
المصدر: جيروزاليم بوست ٢٠٠٦/١١/١٦

خاصة مع تزايد الاهتمام بالإرهاب الإسلامي والجدل حول أسبابه وسبل التعامل معه.

ومن جانبها ترسل ميمري أعمالها إلى أعضاء البرلمانات الأوروبية والكونجرس الأمريكي بشكل دوري. على مدى نحو الساعة من لقاء مع جيروزاليم بوست تحدث كارمون عن مفاهيم "الجهاد" والمقرطة، والتعددية الثقافية. ودان ما اسماء بالتحالف غير المقدس بين اليسار واليمين لإشاعتهم قول مغلوطة يرى أن العرب لديهم ثقافة مختلفة ولا يمكن ولا ينبغي لها أن تتغير!!

♦ ما هو تقييمكم للتهديد الإيراني ورد الفعل الغربي عليه؟..

- ميمري منظمة بحثية ولا تقدم توصيات عملية. مهمتنا هي تقديم الشرق الأوسط كما هو، أو حقيقته كما هي كائنة. في هذا السياق فإن إحدى الحقائق هي وجود نظام متطرف وربما أكثر تطرفاً من نظام أية الله الخميني. بعد أن وصل الرئيس أحمدى نجاد إلى السلطة نشرنا تقرير وافى عنه وعن معلمه الروحي - آية الله مصباح يزدي - وهو بالمناسبة مرشح في انتخابات ديسمبر المقبل لمجلس الخبراء وإذا ما نجح سيكون ذلك كارثة محققة، فهو وأحمدى نجاد معا يشكلون محورا خطرا على العالم كله. لقد قال أحمدى نجاد في التلفزيون ولآيات الله في دائرته الضيقة أن

من داخل مكتبه في القدس، وهو فرع من فروع المنظمة التي مقرها الرئيسي واشنطن ولها عدة فروع في العالم بما في ذلك بلدان عربية...، كرر يجال كارمون البديهية المعروفة: "الحقائق دائماً ذات وجهين". كارمون البالغ من العمر ٦٠ عاماً كان قد أسس منظمته المعروفة باسم "معهد دراسات إعلام الشرق الأوسط" في عام ١٩٩٨ تحت مسمى تجسير الفجوة في لغة الحوار، بين الشرق الأوسط والغرب. ومنذ بدء المنظمة لعملها راجت الشكوك من حولها وجسدتها ردود الفعل الحذرة، والقلق من جانب إعلاميين وسياسيين في المنطقة، وتسائل الكثيرون منهم: إلى أي مدى يمكن اعتبار ما تقدمه ميمري من ترجمات لمواد منشورة أو خطب دينية منقولة من مساجد أو تصريحات وبرامج في الإذاعات والتلفزيونات العربية والإسلامية تعبيراً عن حقيقة أو صورة العالمين العربي والإسلامي؟..

أولست عملية اختيار هذه المواد دون غيرها ملونة بوجهة نظر ورؤية كارمون وفريقه العامل نفسه، قبل أن تكون الحقيقة المدعاة عن هذه المنطقة؟.. ورغم تلك الشكوك حظيت ميمري باهتمام كبير من جانب قطاع آخر من النخب داخل المنطقة وأصبحت ترجماتاتها للمواد المنقولة من الإعلام العربي والإسلامي وكذلك تقاريرها عن المنطقة منتشرة على نطاق واسع عالمياً ويتلقفها إعلاميون وأكاديميون ومستولون حكوميون،

"الشهادة" هي التي تميز الإنسان عن الحيوان ولو لم نكن استشهadiين لأصبحنا جميعا من الحيوانات آكلة العشب. والأسوأ من نجاد آراء معلمه يازدي.

♦ ولكن أحمدى نجاد غير معروف كمتدين؟

- قد يبدو غير متدين، ولكن من داخله متدين. هناك أقوال وشائعات قوية - تحاول ميمرى حاليا التأكد منها من خلال تتبع مقولاته - ترى أن أحمدى نجاد يتحدث ويتلقى تعليمات من الأمام المختفى (المهدى الذى يعتبر مسيح الشيعة ويؤمنون بأنه سيظهر يوما ما).

♦ إذا كان غرض منظمتك تعريف الغرب بحقيقة العالم العربى لماذا تحتاج لأن يكون لديك مكتب فى بغداد؟

- حيث أن أولويتنا هي مشروعات الإصلاح فى العالمين العربى والإسلامى فإن العراق تمثل حالة مهمة بالنسبة لنا كمصدر أولى لتتبع هذه العملية وتقييمها، حيث شهدت العراق خلال عام واحد ثلاث انتخابات ديموقراطية.

♦ ولكن ما هي مشروعاتكم الأخرى التى تتخبطون فيها حاليا؟

- مشروعاتنا الأخرى هي: العرب والعداء للسامية، الجهاد ودراسات الإرهاب، والمشروع الرابع هو تتبع المواقع الإسلامية على الانترنت.

♦ هل تعمل ميمرى تحت المظلة الأمريكية فى العراق؟

- لا، رغم أننا مؤسسة بحثية أمريكية مسجلة فى واشنطن ولها فروع فى أوروبا وآسيا (طوكيو مثلا) ولكن العاملين فى فروع المنظمة عادة ما يكونون من أهل نفس البلد الذى به هذا الفرع.

♦ ولكنك تحمل الجنسية الإسرائيلية إلا يشكل ذلك خطرا على المنظمة أن تكون لها فرعا فى العراق؟

- نعم هناك خطر: لقد ذكرت توا أنكم منظمة بحثية ولكلك عندما تصف المشروعات التى تتخبطون فيها نرى أنها تشكل أجندة محددة إلا يتضمن ذلك تناقضا؟ إذ كيف يمكن أن نثق - فى ظل وجود هذه الأجندة أو هذه النظرة المسبقة إلى المنطقة - فى أمانة ونزاهة النتائج التى ستخرجون بها؟

- أعتقد أن كلمة أجندة هنا تحتاج إلى إيضاح. فى أى وقت يقوم باحث بعرض شيء غير معروف اليوم يمكن للبعض أن يقول أن لديه أجندة. عندما يكشف عالم آثار عن مدينة أثرية يكون لديه أجندة حتى يتمكن من إظهار المدينة الأثرية للوجود. وعندما يجرى باحث بحثا سوسولوجيا فهو بدوره له أجندة.

الأجندة هنا تعنى الكشف عن موضوع لم يكتشف بعد، أو أنها نوع من تسليط الضوء على موضوع لم يحظ بهذا الاهتمام من قبل. وهذا يعتبر أمرا مشروعاً أو أجندة مشروعة من الناحية البحثية، ولا يوجد علاقة ارتباط بين الأجندة وبين نزاهة البحث. فمهما كانت الأجندة على الباحث أن يتحلى بتقاليد علمية صارمة فى بحثه، أما إذا ما كنا مثلاً نحاول إثبات وجود ظاهرة غير موجودة أصلاً أو العكس فإن ذلك ليس أجندة ولكنه تحامل أو انحياز.

ما أعنيه أن الحقيقة دائماً ذات وجهان. وليس هناك خط مباشر يمكن رسمه - اعتماداً على معلومات مجتزئة - بين هذه المعلومات ووضع سياسى ما. ليس مهما منظور الشخص إلى الشيء، هو يحتاج أن يعرف الحقائق أولاً، أما ما سيفعله بهذه الحقائق فهو أمر آخر وقضية مختلفة.

♦ ألا يمكن احتكار الحقيقة أو التلاعب بها ليس ذلك تحامل أو تحيز عندما نتهم خصومنا بما نعله لأنفسنا؟

- سأجيب بالإحالة إلى بعض النواذر. بين عام ١٩٩٤ - ١٩٩٥ قبل تأسيس ميمرى، سجلت شريط تلفزيونى لرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات وهو يدعو إلى الجهاد (الحرب المقدسة) كان رد الفعل على تسجيل الشريط أن صاح البعض اقتلوا من أذاعه (الرسول).

♦ من كان رد فعله على هذه الشاكلة؟

- العديد من وسائل الإعلام الإسرائيلية والسياسيين. وقد احتججت حينها بقولي: ولكنه ليس أنا من طالب بالجهاد أو دعا إليه، أنه هو (عرفات)؟ وأجابوا على ذلك: هذا لا يغير شيئاً. وذات يوم سألت صحفى بارز تجمعت به صداقة لماذا وجهتم النقد إلى عملنا لقد كنا فقط نعكس الحقيقة.

كانت أجابته التى لن أنساها ما حييت هي: ليس هناك شيء اسمه الحقيقة كل خبر يتم نقله يجب أن يكون محكوم بسؤال: من هي الجهة التى سيخدمها إذاعة هذا الخبر؟ وأنت بما فعلته عندما أذعت الشريط الذى دعا فيه عرفات للجهاد خدمت أعداء السلام.

بفزع رددت عليه: تقول ذلك وأنت من المحسوبين كونك صحفى موثوق فيه يتوخى أمانة الخبر، وأنا من يُنظر إلى على أنني منحاز ومتحامل!!

قال لي: "إذا كنت تريد أن توهمنى بأنك ساذج أفعل ذلك مع شخص آخر غيرى أنت تعلم أنني على حق. قلت: لا أنا لا أعرف أنك على حق، أنا أعرف أن هناك شيء اسمه الحقيقة وإنها نزيهة.

فيما بعد عثرت على العديد من التعبيرات المماثلة لما قاله الصحفي الشهير، فعلى سبيل المثال تقول الصحفية دانا سبيكتور - في تلك اللحظة فتح كارمون نسخة مطوية قديمة من صحيفة يديعوت أحرونوت وقرأ بصوت مرتفع - "في الواقع لم أدخل مجال الصحافة لأقدم حقائق، فالحقيقة ليست مجال اهتمامي على الإطلاق".

على المنوال ذاته - يقول كارمون - حاولت أن أشرح لمدير مكتب روترز في إسرائيل واحدة من المواد المثيرة، كان شخصية جذابة وودودة، ولكنه قال: لست مضطرا لأن تطلعني على الحقيقة، لا يوجد شيء اسمه الحقيقة هناك فقط رواية هذا الطرف ورواية مضادة لطرف آخر عن نفس الشيء.

حسنا ولكني مازلت أصر على أن هناك شيء اسمه الحقيقة وهذا لا يلغى أن هناك روايات مختلفة باختلاف موقف من يرون حدث واحد ويقومون بسرده لاحقا. ومن المهم بالطبع أن نلاحظ ونعترف بذلك. وبدون أن اقلل من شأن هذه الملاحظة أنا أعتقد أن جوهر العمل العلمي والأكاديمي هو محاولة تقديم الحقيقة.

◆ نتحدث عن الوقائع والحقائق، كيف تأتي للجميع أن يتجادلوا حتى اليوم حول ترجمة معنى كلمة "جهاد"؟..

- العديد من الكلمات تبدأ ولها معنى محدد ثم يتطور استخدامها عبر السنين للتعبير عن معان أخرى أو دلالات جديدة.

المعنى الأصلي لكلمة جهاد في القرآن والتراث الإسلامي في تكويناته الأولى هو (الحرب المقدسة بالسيف). ومع الوقت تطور المفهوم أو تحور، فعلى سبيل المثال في الأحاديث النبوية نجد الجهاد يتخذ دلالات متغيرة خذ مثلا هناك حديث عن النبي محمد يقول "لقد خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" (الكفاح ضد الشر الذي بداخل كل منا وليس ضد العدو الخارجي لنا جميعا).

هذه الظاهرة اللغوية نرى لها مثيلا في كل اللغات الأخرى نحن مثلا نقول: "شن حرب ضد المخدرات" وهذا لا يعني أننا سنكافح ظاهرة انتشار المخدرات بالسلاح بل نعني أو نريد أن نصور مدى جديتها في مكافحة هذه الظاهرة ليس إلا، ولذلك استخدمنا تعبير أو كلمة حرب.

المدافعون عن التطرف الإسلامي يذكروننا دوما بأن جذر كلمة جهاد هو "جاهد" وتعني بذل الجهد. ولنفرض أن ذلك صحيحا فما القول في أن جذر كلمة revelation (وحي) هو reveal (يُظهر أو يكشف) فعلى

حين يبدو لفظ يكشف reveal محايدا فإن لفظ وحي revelation له دلالة دينية واضحة الأمر، نفسه ينصرف إلى لفظ أو كلمة مثل trinity الثالوث المقدس - الأب والابن والروح القدس) فأصل هذه الكلمة أو جذرها اللغوي هو three والتي تعني لفظا محايدا وهو ثلاثة. وما أقصده بناءً على هذه الأمثلة أنه على الرغم من صحة أن جذر كلمة جهاد هو "جاهد" ولكن كلمة جهاد لها مدلول ديني أو هي مفهوم ديني وليس مجرد كلمة.

◆ هل من الممكن تفسير الدلالات الدينية لكلمة "جهاد" وكلمات أخرى في الإسلام كما حدث في اليهودية والمسيحية من قبل من أجل أن يتمكن المسلمين من العيش في القرب؟..

- مطلقا إعادة تحديد معنى هذه المفردات هو عمل نخبوي في جزء من المجتمعات الإسلامية (لا يتم تجديره داخل الثقافة).

خذ مثلا كتاب عن اليهود وهو سفر esther أيستر هناك مقاطع تحوي إشكاليات عدة مثلا الانتقام من الفرس. لم يتبق شيء من هذه الذكريات لدى اليهودي العادي ولم يعد يأخذ بها ولكن عند الأصوليين اليهود الموضوع مازال له معنى مختلف. فعند أصولي مثل باروخ جولدشتاين (١) فإن دلالة البوريم (٢) عنده تقف حرفيا عند معنى الانتقام ولذلك عندما اختار ارتكاب جريمته اختار يوم عيد البوريم على وجه الخصوص.

مثال آخر: رمضان أو شهر رمضان، هذا الشهر بالنسبة للأصوليين هو شهر الجهاد والشهادة - الشهر الذي نصر فيه الله المؤمنين. اليوم - بالنسبة للعديد من المسلمين - هو شهر الروحانيات: الصوم والاحتفالات. لسوء الحظ في كتب الدراسة في المدارس الفلسطينية - وأعني بذلك التي تدرسها السلطة في مدارسها - يتعلم الأطفال أن شهر رمضان هو شهر الجهاد والشهادة والنصر للمسلمين وأنه كان كذلك طيلة التاريخ، مع ضرب أمثلة محددة لمعارك خاضها المسلمون في رمضان.

في عام ٢٠٠٤ شاركت في مؤتمر نظمته الحكومة الأسبانية لأحياء ذكرى الهجمات الإسلامية في مدريد والتي وقعت في ١١ مارس ٢٠٠٣. كان هناك ضمن المشاركين في المؤتمر أوروبيين ومسلمين من مختلف الجنسيات، وتحدثت أنا عن مفهوم الجهاد لدى المسلمين، وأتت تعقيبات بعض المشاركين من المسلمين محتجة على ربط الجهاد بالهجمات الإرهابية ويدورى قمت بالرد وقلت في البداية: لا أريد أن أعقب على هذه التعليقات بوصفي أكاديمي ولكن بوصفي يهودي..!!

صُغق الجميع مما قلت بينما واصلت حديثي قائلا:

"نحن اليهود لدينا في الكتاب المقدس المبدأ القائل "العين بالعين والسن بالسن" ولكن حكماءنا ومفسري كتابنا المقدس منذ قرون طويلة استبدلوا هذا المبدأ بمبدأ التعويض.

الله بالطبع يعرف كلمة "التعويض" أو "الدية" ولو كان يريد قولها (بهذا المعنى) لقالها حينما أنزل كلماته للبشر. ولكنه اختار أن يقول صراحة وبوضوح "العين بالعين". ولكن حكماءنا جاءوا وقالوا أن هذا الأمر لم يعد ملائماً ومقبولاً وأسقطوه في النهاية. الأمر نفسه بالنسبة للمسيحيين فيما يخص قضية الهرطقات.

بالنسبة لقضية معاقبة المهرطقين كما كانت الكنيسة الكاثوليكية تفعل من خلال محاكم التفتيش في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، في البداية كانوا يقولون ويعتقدون أن تلك كانت إرادة الله ولاحقاً اسقطوا. اقترح على المسلمين أن يسيروا في الاتجاه نفسه ويسقطوا مبدأ الجهاد والذي لم يكن من الأركان الخمسة للإسلام، فلم يعد هذا المبدأ ملائماً من وجهة النظر الإنسانية، في القرن الواحد والعشرين.

◆ كيف كان رد فعل بعض الجمهور عندما قلت

ذلك؟

- كانوا غاضبين بشدة، وأنهيت الجلسة سريعاً بعدها. اليوم عدلت موقفى بعض الشيء، وأقول إذا كان المسلمون لا يريدون إسقاط مبدأ الجهاد أو استئصاله.. حسناً فليقتصروا معنى الجهاد على أنه جهاد النفس وليس المعانى المتعددة - التى يدافع عنها أغلب المسلمين - واحدها، لسوء الحظ وهو المسيطر على أغلب المسلمين، هو الجهاد بالسيف.

هذا الأمر فى يد المسلمين فى عمومهم ورغم صعوبته إلا أنه ممكن. على سبيل المثال فى الكتب الدراسية فى تونس يعلمون التلاميذ أن معنى الجهاد هو الجهاد الروحى فقط.

على الجانب المضاد الفلسطينيون مازالوا يدرسون لأطفالهم أن الجهاد هو الجهاد بالسيف. بينما يقولون لمن حولهم أن الجهاد له معانى متعددة.

◆ كيف يمكن إحداث التغيير المنشود فى العالم

العربى من داخله، وهل ذلك ممكن بالفعل؟

- هناك قوى وتيارات عديدة ومختلفة تنشط داخل العالم العربى والإسلامي، كان هذا الأمر واضحاً تماماً خلال حرب لبنان. السعودية ومصر والأردن والكويت وآخرون كانوا ضد حزب الله فى مقابل مؤيديه أقوياء لهذا الحزب فى الجانب الآخر مثل سوريا وإيران. لقد كان من دواعى السخرية أن أحد المواقع الوهابية على الانترنت استخدمت شريط فيديو صورته القوات الجوية الإسرائيلية يبين أن هناك صواريخ تطلق من

كفر قانا ليثبت الموقع أن حزب الله يكذب..!!

◆ ماذا عن الفلسطينيين، كيف ترى أبو مازن؟

- لقد كتبنا كثيراً عنه. منذ سنوات تحول ليكون معادياً بقوة للإرهاب بتعبيرات غير محددة أمام أكثر فئات الشعب الفلسطينى حساسية واقصد بهم الشباب فى معسكرات اللاجئين، فتعبير المقاومة يحظى بقداسة خاصة لدى الفلسطينيين ولأن تكون ضده هذا أمر فى غاية الصعوبة.

◆ ألم يصرح أبو مازن بأن الإرهاب حماقة

استراتيجية؟

- نعم فى عديد من المواقف كان موقفه من الإرهاب مفيد، ولكن فى مواقف ثلاثة منفصلة أدان الإرهاب على أساس أخلاقى.

◆ أليس ذلك أقرب للجزرة فى السياسة المعروفة

(سياسة العصا والجزرة) التى تتهجها السلطة الفلسطينية؟

- لا.. الإنسان لا يناور مع منظومة معتقداته، دعنى أضرب لك مثلاً. إذ جاءك شخص وعرض عليك أن تدلى بتصريح لك "B.B.C" تقول فيه أن الصهيونية تساوى العنصرية، وفى المقابل ستلتقى إسرائيل ٢٤ مليار دولار تحررها من كافة ديونها هل ستقبل هذه الصفقة؟ بالتأكيد لن تفعل.

لا توجد إمكانية للعب عندما يتعلق الأمر بالأيدولوجيا أنت تخدع نفسك بالطريقة نفسها التى كان عرفات يفعلها عندما كان حديثه بالعربية غير حديثة بالإنجليزية.

◆ ما تقوله يتناقض مع موقف المتعاطفين مع

حماس من داخل السلطة الفلسطينية والذين شددوا على أن من صوتوا لحماس صوتوا فى الواقع ضد الفساد وليس دعماً للإرهاب الذى تتبناه حماس. وهو أيضاً يتناقض مع ما دأب الغرب على ادعائه أن الشعب الفلسطينى ضحية بريئة لتصرفات قادته وبالنسبة لتصرفات إسرائيل؟

- صحيح أن قادة الفلسطينيين هم الذين يوجهونهم (يوجهون الشعب أو الجمهور) ولكنهم يسلمون بالقيادة لهؤلاء، أنه جزء من تعليمهم أو مما تعلموه.... جزء من ثقافتهم... جزء من منظومة معتقدات يؤمنون بها، وهذا الأمر أظهرته صناديق الاقتراع، هناك ظاهرة عجيبة رافقت عملية الاقتراع فى الانتخابات الفلسطينية والتى أشارت إلى أن أغلبية الفلسطينيين يؤيدون التفاوض وأغلبهم أيضاً يؤيدون الهجمات الإرهابية بالقدر نفسه..!!

الأمر نفسه يمكن قوله عن أبو مازن فهو فى جانب ضد الإرهاب ولكنه على الجانب الآخر الأكثر تشدداً فى المطالبة بحق العودة، وهو الوحيد الذى ذكر رقماً لمن

لهم حق العودة - ٣ مليون فلسطيني - حتى عرفات لم يحدد رقما لمن يعتقد أنهم لهم هذا الحق.

♦ بعد الانتصار الساحق للديموقراطيين في انتخابات الكونجرس هل تتوقع استقبال مختلف للمواد التي ترسلها ميمري إلى أعضاء الكونجرس؟..

- لا، جميع نشراتنا التي نرسلها للكونجرس تعكس الصور عن الأحداث والمواقف بشقيها أو بتفاصيلها، نحن نعرف أن العديد من الديموقراطيين في الكونجرس مهتمون بمعرفة الحقيقة. ولكن لا أتوقع أي تغير كبير في سياسة الولايات المتحدة في ضوء نتائج هذه الانتخابات.

♦ ألا تعتبر نتائج الانتخابات في الكونجرس تصويت بعدم الثقة في الرئيس الأمريكي وسياسته؟..

- بعض النظر عن الحديث عن فشل سياسة بوش، أنا اعتقد أنه يستحق الثقة، وليس الانتقاد... وأنا أؤسس هذا الرأي على ما أراه في العالم العربي، لقد غير بوش هذه المنطقة، التي لم تتغير خلال قرنين مضيا، لقد بدأ بوش طريق للإصلاح لا يمكن الارتداد عنه في هذه المنطقة. ومن دون شك كان لابد أن يواجه هذا العمل بمقاومة عنيفة وحادة من داخلها.

♦ ربما يكون بوش قد بدأ بالفعل عملية المقرطة في العالم العربي، ولكن ألا تخضع أوروبا حاليا لمسار عكسي أي تتجه نحو الأسلمة؟..

- لا يعني زيادة عدد المسلمين في أوروبا بالضرورة مزيد من الاتجاه نحو الأسلمة هناك، لقد خلقت عملية زيادة المسلمين في أوروبا صعوبات مؤلمة لكلا الطرفين: للمهاجرين المسلمين والبلاد الأوروبية التي استقبلتهم على حد سواء، حيث أدت صعوبة عملية التأقلم بالنسبة لهؤلاء المهاجرين في البلاد التي هاجروا إليها إلى جعلهم فريسة سهلة للإسلاميين، ورغم ذلك ما يزال من المبكر القول بأن الإسلاميين فازوا بالمعركة، فالواقع أن القليل من المسلمين هم الذين انخرطوا في الإرهاب داخل أوروبا أما الأغلبية فإنها تحاول التأقلم مع المجتمعات التي تأويهم.

نحن نحتاج إلى شرح السياسة الأوروبية التي تنقسم عادة إلى نوعين، النوع الأول ويمكن أن نسميه النموذج الألماني والقائم على التعددية الثقافية بدلا من محاولة تحقيق الاندماج بالنسبة للمهاجرين، وترمي هذه السياسة إلى تفادي الثمن المؤلم لهذه العملية تاركة المهاجرين في مجتمعاتهم المغلقة عليهم ويبررون ذلك باسم "الاحترام" أو احترام الآخر. وهذا نوع من النفاق والعنصرية معا.

وكان هذا النموذج يقول للمهاجرين ابقوا في جوارنا: ختوا واقتلوا نساءكم. نحن نحترمكم ونحترم

ثقافتكم كيفما كانت. أنها سياسة الابتعاد عن مجتمعات المهاجرين وعن مشاكلهم بدلا من محاولة التقارب معهم وحل مشكلاتهم.

النوع الثاني من السياسات الأوروبية وهو ما يجسده النموذج الفرنسي هو محاولة دمج المهاجرين في المجتمع الفرنسي.

ووفقا لهذه السياسة أو هذا النموذج: على المسلمين أن يتوافقوا مع الثقافة الفرنسية أو يتبنوها وكذلك أن يتبنوا المبادئ التي أقيمت عليها الجمهورية الفرنسية حتى لو بقوا مسلمين، الأئمة الذين يودون أن يتلقوا رواتب من الحكومة عليهم تلقي دورة تدريبية لمدة ثلاثة سنوات لتعلم اللغة الفرنسية والثقافة والتاريخ والنظام السياسي في البلاد.

ولكن هذا التوجه أنتج مزيد من الضعف لأن البوليس والمؤسسات الحكومية الأخرى وجدت نفسها مضطرة للصدام مع منظومة التقاليد الإسلامية وهي تحاول تطبيق قوانين وقواعد الحكم في الجمهورية. لقد اصطدموا في محاولتهم تلك مع الشيوخ المسلمين الذين قاتلوا ليحافظوا على سيطرتهم على المسلمين في فرنسا، ولكن هذا النوع من السياسات (سياسة الإدماج) هو الفرصة الوحيدة لأوروبا لكي تتفادي هي والمسلمون الصدام.

خلال تمردات العام الماضي في فرنسا كتب وزير الداخلية الفرنسي "ساركوزي" مقالا في "اللوموند" مجليا فيه واقع المأساة الفرنسية بقوله: هل الأحياء التي يعيش هؤلاء المهاجرون فيها حول باريس هي أحياء في شمال أفريقيا أو جزء من الجمهورية الفرنسية؟.. الإجابة يجب أن تكون واضحة.

من الرائع أن العديد من الأمريكيين يتبنون منظور التعددية الثقافية باعتباره الأفضل للجميع. أنهم نفس الفئات والأشخاص الذين اتهموا بوش بمحاولة فرض الديموقراطية على العرب. وفقا لذلك فهم يصلون إلى نتيجة محددة وهي أن العرب غير مهتمين ولا يستحقون القيم التي يعيش أغلبهم (أي الأمريكيون) بها: قيم الحرية، المساواة، حقوق الإنسان، الخ. وهذا يعني أنهم يعتقدون أنهم (أي العرب) أقل شأنا ولا يستحقون أن يتم إنقاذهم من مصيرهم.

هناك تحالف غير مقدس بين اليمين واليسار يعتمد على مقولة أن العرب لديهم ثقافة مختلفة لا يمكن لها - ولا ينبغي - أن تتغير.

هذا الوضع برمته محض هراء وغير أخلاقي. العرب بشر مثلنا تماما ويستحقون أن يستمتعوا بما نستمتع به نحن.

أنهم يتصرفون (أي اليمين واليسار) على النحو

الوارد في أحد مقاطع مسرحية تاجر البندقية عن اليهود وإذا ما أزلنا كلمة يهود في نص شكسبير واستبدلنا بها "العرب" لما اختلف كلام شكسبير عن اليهود عن الكلام الذي يردده البعض عن العرب في الوقت الراهن. وراح كارموني يسرد هذا المقطع من مسرحية شكسبير مستبدلاً لفظ اليهود بالعرب.

الهوامش:

(♦) يجال كارموني خدم ككولينييل في جيش الدفاع في الفترة ما بين عامي ١٩٦٨ و١٩٩٨ .
في أثناء الفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٢ عمل كرئيس للإدارة المدنية في الضفة الغربية.

شغل منصب مستشار رئيس الوزراء في عهدى شامير ورايين لشئون مكافحة الإرهاب في الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩٣ .

شارك في وفد المفاوضات التي انبثقت بعد مؤتمر مدريد في المسار السوري ١٩٩١ - ١٩٩٢ .

١- باروخ جولدشتاين: طبيب وأصولي يهودي متطرف ارتكب المذبحة البشعة في الحرم الإبراهيمي وقتل ٢٩ مصلياً في فبراير ١٩٩٤ .

٢- يرتبط عيد البوريم عند اليهود والتي تمتد أيام الاحتفال به إلى أربعة عشر يوماً بين نهاية شهر فبراير والأسبوع الأول من مارس كل عام... يرتبط الاحتفال بأسطورة انتقام إستر من الفرس.

حوار مع "بنيامين إيلون" رئيس قائمة "الاتحاد القومي-المفدال" في الكنيست:

"ليذهبوا إلى بلغاريا، إنهم يريدونهم هناك"

أجرى الحوار: جدعون آلون

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٦

هداسا: "إنني في مرحلة المتابعة، لكنني أصبحت معافى الآن، والحمد لله على ذلك".

♦♦ "ليبرمان شخص يتمتع بشعبية جماهيرية:

♦ هل فوجئت بقرار أفيجدور ليبرمان بالانضمام إلى

الحكومة؟

- "لا.. ليبرمان يمر بمرحلة يتبوأ فيها مكانته على الساحة السياسية. إنني أعتبر اقتراحه، بأن تمر حدود الدولة عند مفترق طرق كركور وتصبح منطقة أم الفحم جزءاً من الدولة الفلسطينية، اقتراحاً شعبياً (يقصد أنه لا يجب أن يصدر عن شخصية سياسية كبيرة مثل ليبرمان) يفتقر إلى المسؤولية. حتى في سيره نحو الوسط لا يعتمد على أيديولوجية. وحتى فيما مضى، لم يكن يُبدى أي نوع من الثبات في القضايا الجوهرية. لقد قال عشية الانتخابات أنه على استعداد لترك منزله في مستعمرة نوكاديم".

♦ هل سيكون انضمامه للحكومة لفترة قصيرة من

الوقت؟

- "ليبرمان دخل الحكومة على افتراض أنه يستطيع أن يقوم بالتغيير بواسطة شخصيته القوية. إنه يعتقد خطأ أن المنصب الذي عُرض عليه في الحكومة منصب تنفيذي.

هناك فجوة ضخمة بين شخصية عضو الكنيست "بنى إيلون" اللطيفة وبين مواقفه السياسية المتشددة. إيلون، وهو ابن نائب رئيس المحكمة العليا المتقاعد مناحم إيلون، لا يوجه الانتقادات أو السباب بشكل فظ إلى خصومه السياسيين. إنه يتحدث برقة، حتى عندما يتحدث تفصيلاً عن خطته الوهمية بعض الشيء حول ترحيل الفلسطينيين من المناطق (الفلسطينية) طواعية.

يعتبر إيلون، الذي يبلغ من العمر ٥٢ عاماً، سياسياً من صنف آخر. فهو لا يلاحق الصحفيين، ولا يوزع كل يوم أنباء على الصحافة. إنه يرأس بالفعل قائمة الاتحاد القومي- المفدال، لكنه لا يشعر بأنه زعيم الحزب، حيث نجده يقول: "أشعر بأنني لا أملك صلاحيات قيادة حزب الاتحاد القومي- المفدال، فأنا لست مثل أفيجدور ليبرمان في حزب إسرائيل بيتينو أو إيلي يشاي في حزب شاس".

في مطلع هذا العام، قبل فترة قصيرة من انتخابات الكنيست السابعة عشرة، أصيب إيلون بسرطان في الأحبال الصوتية. وقد أجرى عملية ناجحة لإزالة الورم في مستشفى بيلينسون، وخضع طوال ثلاثة أشهر بشكل يومي للعلاج بالإشعاع في مستشفى هداسا بالقدس. وقد قال موجهاً شكره للملائكة الذين اعتنوا به في مستشفى

لكنه سيكتشف خطأه بسرعة، لأنه لا يستطيع أن يعمل في المجال الاستراتيجي، ولن يستمر وجوده في الحكومة طويلاً.

♦ هل تؤيد مشروعه بأخذ إسرائيل بالنموذج القبرصي والقيام بفصل بين اليهود والعرب الذين يعيشون في إسرائيل؟

- "هذا الاقتراح وهمي وليس واقعياً. فالأقتراح يسعى إلى إرضاء الجمهور اليهودي، خاصة أن استطلاعات الرأي تشير إلى أن عرب إسرائيل يزعجونهم (يقصد الجمهور اليهودي) أكثر من عرب المناطق (الفلسطينية).. لكنني لا أعتقد أن عرب إسرائيل هم أساس المشكلة، فهم في النهاية مجرد أقلية. يجب علينا في المرحلة الأولى حل مسألة العلاقات بيننا وبين الفلسطينيين، وبعد ذلك يمكن أن نقوم بترتيب مسألة العلاقات مع عرب إسرائيل."

♦ لماذا اعتدل يمينيون بارزون فيما مضى أمثال أولمرت وليبرمان وتسيبي ليفني في مواقفهم؟

- "استنتاجي الذي ينبع من شعوري بالحزن هو أن الحركة اليمينية العلمانية، التي تفتقر إلى عامود فقري يقوم على الإيمان، قد أفلست. حيث لم تحظ "حركة هتحياء" بنسبة الحسم، وانهار حزب تسوميت، واتجه آريك شارون والنواة الصلبة لحزب الليكود نحو الوسط، والآن يقوم ليبرمان بالشيء ذاته. ربما كان غاندي (رحب عام زئيفي)، رحمه الله، هو آخر أتباع الحركة اليمينية العلمانية.. أين الجمهور العلماني الذي يوجد في مظاهرات اليمين؟ أين إخلاصهم للحركة اليمينية؟ يوجد أشخاص على هذه الشاكلة، مثل عضو الكنيست آرييه إلداد، لكنني لا أعرف إذا كانوا يملكون تفويضاً من الجمهور أم لا."

♦ في جلسة الكنيست في ذكرى مرور خمس سنوات على اغتيال رحبعام زئيفي قلت: "المشكلة الديموجرافية لن نحل من تلقاء نفسها. لم يفت الوقت بعد كي نتعلم من تراث غاندي".. فهل لا زالت تؤمن بفكرة الترحيل؟

- "نعم. لم يتحدث غاندي يوماً عن الترحيل بالإكراه، بل عن الترحيل طواعية فقط. يمكن أن نتخلص من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في المناطق (الفلسطينية) عن طريق منح ١٠٠ ألف دولار لكل أسرة توافق على الهجرة إلى دولة أخرى. فإذا استجابت مليون أسرة فلسطينية للعرض، الذي يصل تكاليفه إلى ١٠٠ مليار دولار، سنحل المشكلة الديموجرافية."

♦ من أين ستأتي بمبلغ ١٠٠ مليار دولار؟

- "تحصل إسرائيل سنوياً على معونة أمريكية خارجية تقدر بثلاثة مليارات دولار. إذا أخذنا أموال المعونة وقمنا بتوفيرها على مدى ٢٠ عاماً، سيكون في حوزتنا ٦٠ مليار دولار، وإذا أضفنا إلى ذلك أموال الصناديق الأمريكية والأوروبية، التي تتدفق إلينا، نستطيع الوصول إلى ١٠٠

مليار دولار."

♦ هل تعتقد حقاً أنه في مقابل ١٠٠ ألف دولار ستجرح في إقناع عائلات فلسطينية بالتخلي عن منازلهم؟

- "بالتأكيد. لقد أجريت دراسة استخلصت منها أن هناك دولا كثيرة، مثل بلغاريا والبوسنة، على استعداد لاستيعابهم. عندما تتوجه إلى هناك عائلة تملك ١٠٠ ألف دولار، سيكون هناك إقبال عليها وستصبح عائلة ثرية بالفعل. هناك في غزة الآن عائلات تعيش في جحيم، يجب تشجيعهم على الرحيل."

♦ كيف ستشجعهم؟ سيقولون، وهم على حق، إن هذا هو منزلهم. وعلاقتهم بالأرض أقوى من علاقتنا بها.

- "إننا أقتنعنا أنفسنا بذلك وأجرينا عملية غسيل مخ لأنفسنا. لدى قائمة تضم عشرات الأسر العربية من القدس الشرقية قمنا بشراء منازل منهم وهاجروا إلى أمريكا الجنوبية، إلى هندوراس ودول أخرى. هل لديك فكرة عن عدد العرب الذين يعيشون في أمريكا وأوروبا؟"

♦ كيف ستصرف مع الفلسطينيين الذين سوف يرفضون الرحيل؟

- "باحترام شديد. كل الأشخاص الذين لا يعتبرون من اللاجئين ويمتلكون منزلاً، سيصبحون مواطنين أردنيين. سيقومون هنا، لكنهم سيقومون بالتصويت من أجل المجلس التشريعي في عمان. لن نتدخل في شؤون الدين والتعليم والثقافة، وسيصبحون جسراً للسلام. سيتم حل السلطة الفلسطينية ولن تقوم دولة فلسطينية بين إسرائيل والأردن، لأن هذه الدولة - دون وجود امتداد إقليمي بين غزة ويهودا والسامرة (الضفة الغربية) - لا يمكن أن تقوم."

♦ وماذا عن عرب إسرائيل؟

- "سيتمتع عرب إسرائيل، الذين يرغبون في أن يكونوا مواطنين إسرائيليين، بجميع الحقوق ويؤدون ما عليهم من واجبات، وسيكونوا مطالبين بتأدية الخدمة الوطنية. وبقدر ما يستطيعون البقاء هنا، سيملكون أيضاً خيار أن يكونوا مواطنين أردنيين."

♦ سيقول الكثيرون أن هذا اقتراح عنصري.

- "أي عنصرية في هذا الاقتراح؟ هل يريدون أن يجعلوا من سفك الدماء أمراً أدياً؟ لماذا لا يدركون أنه لا يوجد لدينا دولة يهودية أخرى، وفي مقابل هذا توجد الكثير من الدول العربية؟ لا يريد الفلسطينيون مجرد إقامة دولة فلسطينية، بل يرغبون في محو إسرائيل من الوجود. لذلك، فإنني أعتبر خطتي السياسية هذه وسيلة لإدارة معركة من أجل وجودنا."

♦♦ "عام حرج":

♦ وفقاً لاستطلاع الرأي الذي نُشر مؤخراً، يعتقد ٣٠٪ من الجمهور أنه يجب العفو عن القاتل بجثال عامير. فما رأيك؟

- "نتائج هذا الاستطلاع خطيرة، نظراً لأنها تشير إلى إخفاق هائل.. إنتى أتجول فى المدارس وأسمع مثل هذه الأقوال من التلاميذ. عندما لم يسمح اليسار لليمين بأن يكون شريكاً فى استيعاب مدلولات وتداعيات هذا الاغتيال، فإنه يخلق وضعاً يعتقد فى ظله أشخاص حمقى فى اليمين أن هذه مشكلة اليسار. ولكن الحقيقة أن الاغتيال ليس مشكلة اليسار، فاغتيال رابين كان بمثابة منعطف خطير لدولة إسرائيل قضى عليها كلها (يقصد إسرائيل بيسارها ويمينها)".

♦ **ألا تخشى أن يأتى خلال عدة سنوات رئيس يقوم بالعتو عن عامير؟**

- "أنا أعارض العفو عن يجئال عامير وأعتقد أنه لن يأتى رئيس يمنحه هذا العفو. الحديث عن العفو خطير، لأنه يوضح للأطفال فى اليمين أن الاغتيال لم يكن عملاً رهيباً. فى مقابلاتى مع الفتية فى المدارس، أقول لهم: إننا نكره هذا القاتل وسنحرص على أن يبقى فى السجن للأبد. إذا كان بينكم من يفكر فى القيام بمثل هذه الأفعال، عليه أن يعلم أنه سيحظى بكراهية الجميع..."

"ما يقلقنى حالياً أن هناك أطفال يتربون وهم يعتقدون أن المشكلة ربما تكون مشكلة يسار ويمين. إنتى أوجه دعوتى للأشخاص فى اليسار قائلاً: "توخوا الحذر فى كلامكم. التراث الذى تريدون أن تخلدوه ليس ميراث رابين، الذى لا يقل أهمية عن ميراث موشيه شاريت، بل وفى نظرى يعد أكثر أهمية من ميراث إسحاق رابين".

♦ **لا يفرقك الجمهور على أنك زعيم الاتحاد القومي-المفدال.. لماذا؟**

- "صحيح أنتى على رأس القائمة (يقصد على رأس قائمة الحزب فى الكنيست)، لكن هذا الأمر ليس حقيقى. لا أشعر بأننى أمتلك تفويض لقيادة حزب الاتحاد القومي-المفدال. أقترح عدم الانتظار حتى انتخابات الكنيست القادمة والانشغال مرة أخرى بالصراع والجدال حتى اللحظة الأخيرة، والإسراع بعقد مؤتمر يضم ٢٥٠ ألفاً من الناخبين الذين قاموا بتأييدنا وانتخاب زعيماً لحزب الاتحاد القومي. ومن سيتم انتخابه، يكون زعيم الحزب".

♦ **كيف يتعين على إسرائيل التعامل مع تهديد الرئيس الإيراني بتدمير إسرائيل؟**

- "يعتبر العام القادم حاسماً، ولذلك كان يجب على إيهود أولمرت أن يقوم بتشكيل حكومة طوارئ وطنية، إلا أنه فضل أن يضم ليبرمان فقط إلى حكومته. سيخشى أولمرت القيام بعمليات جريئة ضد إيران من أجل منعها من إكمال المفاعل النووي، لأن أى عملية سيبادر بها سيتم تفسيرها على أنها عملية سياسية. كما ستثير أى عملية يقوم بها الموساد الانتقادات ضد أولمرت، إلا إذا كان هناك

إجماع واسع النطاق حول ضرورة القيام بها".

♦ **من محددات السياسة الإسرائيلية فى هذا الصدد عدم قيادة الصراع الدولى ضد إيران (منذ أيام شارون).. فهل تقترح أن نكون رأس الحرية فى هذا الصراع؟**

- "منذ اللحظة التى أعلن فيها الرئيس الإيراني بأن هدفه هو محو إسرائيل من على خريطة العالم، سنكون مسئولين مسئولية جماعية إذا تجاهلنا هتار الجديد وقتلنا إنه يمزح. يتوجب علينا من الناحية الأخلاقية أن نكون أول من ندعو العالم وأن نقول للجميع: إنكم لا تستطيعون الموافقة على أن يقوم رئيس إحدى الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بالتهديد بتدمير دولة أخرى.. إذا كانت هناك فرصة لأن نمنع إنتاج القنبلة النووية بالطرق الدبلوماسية، يُفضل أن يقوم بهذا الأمر إمبراطورية مثل الولايات المتحدة الأمريكية. وإن كان السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو ماذا سيحدث لو لم تتجح الولايات المتحدة بزعامة بوش فى منع مواصلة إنتاج القنبلة النووية بالطرق الدبلوماسية؟".

♦ **هل علينا التعامل بجدية كاملة مع تهديدات أحمدى نجاد؟**

- "بالتأكيد. يجب علينا أن ندرك فى هذه اللحظة أن كراهية إسرائيل ستتشر وستأخذ شكلاً من الأشكال. ومن أكبر المخاطر التى تواجهنا هو أن تظهر الكراهية مرة أخرى كما حدث فيما مضى. فالكراهية ستظهر هذه المرة بلا موسيقى فاجنر أو خلفية مسيحية، بل فى ظل وجود خلفية إسلامية. الجمهور فى إسرائيل لا يستوعب أنه يوجد ملايين المسلمين تربوا منذ نعومة أظفارهم على بروتوكولات حكماء صهيون وعلى كراهية اليهود. وهذا يحول قضية أراضى مقابل السلام إلى أمر محزن، والصراع الإسرائيلى - الفلسطينى إلى نقى مظلم".

♦ **بينى إيلون فى سطور:**

- وُلد عام ١٩٥٤ فى القدس.
- الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لستة أبناء.
- محل الإقامة: بيت إيل
- الثقافة: خريج مدرسة ثانوية ودينية (المدرسة الدينية العالمية وكذلك "مدرسة إيدرا الدينية")، حاصل على شهادة الإعداد للخاصية (١٩٧٨).
- اللغات: الإنجليزية والعبرية.
- النشاط العام: من زعماء حركة "هذه بلادنا"، ومبعوث الوكالة اليهودية إلى منظمات الطلبة اليهود فى أمريكا الشمالية (١٩٨٣ - ١٩٨٥)، ومؤسس ورئيس المدرسة الدينية اليهودية "بيت أوروب" (١٩٩٠ - ١٩٩٦).
- عضو فى الكنيست منذ عام ١٩٩٦.
- وظائف فى الحكومة: وزير السياحة (أكتوبر ٢٠٠١ - مارس ٢٠٠٢)، (فبراير ٢٠٠٢ - يونيو ٢٠٠٤).

ترجمات عبرية



استطلاعات

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٧
بقلم: إفرايم ياعر وتمار هيرمان

مقياس السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٦ (٥)

انضمام أفيجدور ليبرمان للحكومة كوزير مسئول عن التهديد الاستراتيجي، حيث إن نسبة من يعتقدون أن ضمه سيضر بالأمن القومي تزيد بقدر ملحوظ على نسبة من يعتقدون أنه سيضعفه. وفيما يلي النتائج الأساسية لمقياس السلام لشهر أكتوبر الذي أجرى في يومى ٢١ أكتوبر والأول من نوفمبر ٢٠٠٦:

◆ السلام مع سوريا:

في الإجابة على السؤال الخاص بما إذا كانت السنوات المقبلة ستشهد سلاماً بين إسرائيل والعرب في الشرق الأوسط، قالت أقلية تبلغ ١٧٪ أنهم يثقون أنه سيكون هناك سلام، في حين أن ٦٨٪ أجابوا بأنهم يثقون أو يعتقدون أنه لن يكون هناك سلام.

وتفيد نتائج استطلاعات رأى مقياس السلام في العقد الأخير بأنه حتى نهاية التسعينيات كانت نسبة من يعتقدون أنه ليست هناك فرص لسلام مع العالم العربى أقل من ٤٠٪. وفي أكتوبر ١٩٩٩، أى قبل سبع سنوات بالتحديد، كانت ٣٧٪. ولكن بعد مرور عام، أى فى أكتوبر ٢٠٠٠، طرأ ارتفاع حاد فى نسبة غير الواثقين فى فرص السلام، حيث بلغت النسبة ٦٠٪، ومن المؤكد أن ذلك يرجع إلى فشل مؤتمر كامب ديفيد فى يوليو ٢٠٠٠ واندلاع الانتفاضة الثانية.. وقد استمر هذا المؤشر أيضاً بعد عام، وفى أكتوبر ٢٠٠١ بلغت نسبة غير الواثقين فى فرص السلام ٦٨٪، وهى شبيهة بنسبة غير الواثقين فى الاستطلاع الحالي، وهو ما

تعتقد أغلبية كبيرة من الجمهور اليهودى أن السنوات المقبلة لن تشهد سلاماً بين إسرائيل والعرب. وتوضح نتائج مقياس السلام أن هذا التشاؤم لم يظهر مؤخراً، وإنما تبلور منذ ست سنوات، عقب فشل مؤتمر كامب ديفيد (٢) وبداية الانتفاضة الثانية. وعندما نتحرى فرص السلام، مع سوريا والسلطة الفلسطينية بشكل خاص، تظهر صورة مماثلة، بل إن نسبة التشاؤم بشأن فرص السلام مع سوريا تفوق بكثير النسبة فيما يتعلق بالفلسطينيين.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، حيث أن مواقف الجمهور فيما يتعلق بسوريا أكثر تشدداً: فالغالبية العظمى تعارض اتفاقية سلام كاملة مقابل الانسحاب الكامل من هضبة الجولان، وذلك حتى لو خاطب الرئيس السورى بشار الأسد علانية الجمهور الإسرائيلى، وأعلن عن رغبته فى السلام الكامل، وذلك حتى رغم الاعتقاد السائد بأنه لو لم يتم التوصل لاتفاقية سلام ستندلع حرب بين إسرائيل وسوريا سواء آجلاً أم عاجلاً.

هناك حالة من عدم الثقة فى إمكانية إحلال السلام، رغم، وربما بسبب، اعتقاد الأغلبية بأن الوضع الأمنى القومى أسوأ بكثير مما كان عليه قبل عام.. وبناءً على هذا الإحساس، يكمن ربما شعور بعدم الثقة الجارف فى إمكانية كل من وزير الدفاع ورئيس الحكومة على قيادة السياسة الأمنية لإسرائيل، وأيضاً نفس الشعور الذى يظهر فى نسبة الراضين عن

يعنى أن النسبة المرتفعة لـ "غير الواثقين" اليوم هي استمرار لمؤشر متواصل لم يتغير عقب التطورات الأخيرة.

تظهر صورة تشاؤمية مشابهة أيضاً عند تحرى فرص السلام بشكل خاص: فنجد أن نسبة من يثقون في فرص السلام مع سوريا تبلغ ١٨٪، في حين أن نسبة غير الواثقين في فرص سلام مع سوريا تبلغ ٦٣٪ (١٩٪ لا يعرفون). ويبدو أن عدم الثقة في فرص السلام مع سوريا مرتبط بالمعارضة الشديدة للانسحاب الكامل من هضبة الجولان، حيث يؤيد نحو ١٦٪ هذه الصيغة، بينما يعارضها ٦٧٪.

فضلاً عن ذلك، حتى لو كان الرئيس السوري يخاطب الجمهور الإسرائيلي علانية معرباً عن رغبته في السلام الكامل، يعتقد معظم الجمهور (٦٢٪) أنهم لن يغيروا موقفهم، حتى لو كانت هذه الصيغة قوية أو قوية للغاية، ولم يؤيدها سوى ٣٤٪.

وبخصوص السؤال عما سيحدث لو لم تتوصل إسرائيل وسوريا إلى سلام، تبين أن ٤٠٪ من الجمهور يعتقدون أن الوضع الحالي سيستمر لسنوات طويلة، في حين أن الأغلبية (٥١٪) يعتقدون أنه إن أجلاً أم عاجلاً ستندلع حرب أخرى بين البلدين، أي أن الجمهور اليهودي متمسك بمعارضته لصيغة السلام الكامل مع سوريا مقابل الانسحاب الكامل من هضبة الجولان، حتى في ضوء احتمال اندلاع حرب بين البلدين.

يبدى الجمهور مواقف متشددة فيما يتعلق بالنظرة إلى سوريا رغم، وربما بسبب، الاعتقاد السائد بأن هناك تراجع في حالة الوضع الأمني القومي، يبدو أن سببه صعود حماس إلى الحكم، واستمرار إطلاق صواريخ القسام ونتائج حرب لبنان. ويعتقد ٥٧٪ أن الوضع الأمني القومي قد ساء مقارنة بما كان عليه قبل عام، بينما يعتقد ٢٩٪ أنه لم يتغير، ويعتقد ١٠,٥٪ أنه تحسن بشدة، و ٣,٥٪ لا يعرفون. وعندما يدور الحديث عن الأمن الشخصي تقل الصورة خطورة، ويبدو أن ذلك يرجع إلى انخفاض عدد العمليات الإرهابية: فالنسبة الأكبر من الجمهور (٤٧٪) يعتقدون أنه لم يتغير إحساسهم بالأمن الشخصي، في حين أفاد ٤٠٪ بأن الوضع ازداد خطورة، بينما أعرب ١٠,٥٪ أنه تحسن بشدة.

◆ ضم ليبرمان للائتلاف الحكومي:

في ضوء هذه المشاعر، يمكن تفسير عدم الثقة التامة في قدرة رئيس الحكومة إيهود أولمرت ووزير الدفاع عمير بيرتس على قيادة السياسة الأمنية لإسرائيل. وعلى السؤال حول مَنْ مِنَ الوزراء التاليين يمكن الاعتماد عليه في قيادة مسيرة بلورة السياسة الأمنية لإسرائيل، ذكر ما يقرب من ٢٪ بيرتس و ٦٪

أولمرت.. وفي مقابل هذه النسب الصغيرة، حصل وزير الأمن الداخلي آفي ديختر ووزيرة الخارجية تسيبي ليفني والوزير الجديد أفيجدور ليبرمان على ١٧٪ لكل واحد منهم.

إن الاندماج السريع للوزير ليبرمان في الثلاثية التي يمكن الاعتماد عليها في قيادة الشأن الأمني، يتماشى مع المعلومة التي تفيد بأن ٤١٪ من الجمهور راضون عن ضمه للحكومة مقارنة بنسبة ٢٢٪ يرون عكس ذلك، بينما ٢١٪ لا رأى لهم.

من الأهمية بمكان التأكيد على أن هذا التأييد لضم ليبرمان يأتي رغم الاعتقاد السائد (٤٢٪) بأن هذه المسيرة ستؤثر بالسلب على العلاقات بين اليهود والعرب في إسرائيل (٢٩٪ فقط يعتقدون أنه لن يؤثر و ١٠٪ يعتقدون أنه سيؤثر بالإيجاب). وتظهر صورة أخرى، لكنها أقل اعتدالاً، فيما يتعلق بتقدير تأثير ضم ليبرمان للحكومة على فرص استئناف المفاوضات السياسية مع الفلسطينيين. وهنا صحيح أن النسبة الأكبر هي لمن يعتقدون أن هذه المسيرة لن تغير الوضع، إلا أن نسبة من يعتقدون أن ضم ليبرمان سيؤثر بالسلب تفوق نسبة من يعتقدون أن ضمه سيؤثر بالإيجاب في هذا الصدد.

ويتبين من تقسيم المواقف إزاء ضم ليبرمان للحكومة، وفقاً للتصويت في الانتخابات السابقة، أن نسبة غير الراضين داخل الحزبين الكبيرين اليساريين تزيد بكثير على نسبة الراضين: فبين ناخبي حزب ميريتس، كانت النسبتان ١٢٪ راضين و ٧١٪ غير راضين، وفي العمل كانت ١٤,٥٪ و ٧٤٪ بالترتيب.. يتضح أيضاً أنه داخل كتلة الاتحاد القومي - المفدال هناك أغلبية لغير الراضين (٤٤٪) مقابل (٣٨٪) راضين، ويبدو أن ذلك يرجع إلى الخوف من أن يؤدي انضمام ليبرمان إلى الحكومة إلى إضعاف معسكر اليمين. صحيح أن هناك أغلبية بين ناخبي الأحزاب الدينية للراضين (في حزب شاس ٥٤,٥٪ راضين و ٦٪ غير راضين وفي حزب يهودوت هاتوراه ٢٧,٥٪ راضين مقابل ٦٪ غير راضين)، لكن داخل هذين الحزبين تبرز نسبة الناخبين الذين لم يعربوا عن رأيهم (٣٩٪ في شاس و ٥٦٪ في يهودوت هاتوراه). وكان ناخبو حزب المتقاعدين هم الوحيدون الذي انقسم رأيهم بالتساوي بين ٤٥٪ راضين و ٤٥٪ غير راضين، والباقي لا رأى لهم.

في النهاية، يبدو أن المناخ العام التشاؤمي المصحوب بعدم الإحساس بالأمن قد يفسر موقف الجمهور اليهودي إزاء النشاط المستمر من جانب الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة. وعلى السؤال الخاص بما إذا كان ينبغي على الجيش الإسرائيلي أن

يأخذ في الحسبان عنصر المساس بالمواطنين الفلسطينيين أثناء تخطيط عمليات الجيش الإسرائيلي في المناطق (الفلسطينية) في ظل الظروف الحالية، أجاب ٢١٪ فقط بأنهم يعتقدون أنه ينبغي أخذ ذلك في الحسبان كاعتبار من الدرجة الأولى، بينما أعرب ٤٦٪ منهم عن اعتقادهم بأنه ينبغي أخذ المساس بالمواطنين الفلسطينيين في الحسبان، ولكن ليس كاعتبار من الدرجة الأولى، بينما أعرب ٢٩٪ منهم بأنه لا ينبغي أخذ هذا الاعتبار في الحسبان تماماً (٤٪ لم يعربوا عن رأيهم).

(♦) مؤشرات السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٦:

بلغ مؤشر أوسلو في إجمالي العينة ٢٦,٩ نقطة، وبلغ في العينة اليهودية ٢٣,٠ نقطة. بلغ مؤشر سوريا في إجمالي العينة ٢٤,٩ نقطة.

وبلغ في العينة اليهودية ٢٩,٢ نقطة. يجري مشروع مقياس السلام في مركز تامي شتاينمتس لبحوث السلام وبرنامج إيفنس Evens في جامعة تل أبيب لبحوث الصراعات وتسويتها، برئاسة البروفيسور إفرام ياعر والبروفيسور تمار هيرمان. أجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب.ي. كوهين في جامعة تل أبيب في يوم ٢١ أكتوبر وأول نوفمبر ٢٠٠٦، وشملت ٥٨٥ مشاركاً يمثلون الراشدين من السكان اليهود والعرب في إسرائيل (بما في ذلك يهودا والسامرة "الضفة الغربية" وغزة والمستعمرات التعاونية "الكيبوتس"). تبلغ نسبة الخطأ في العينة نحو ٤,٥٪ بالزيادة أو بالنقص.

تراجع ثقة الجمهور في مؤسسات الدولة والجيش

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢
بقلم: روتى سيناى

٦٤٪ (عام ٢٠٠٥). بينما يعتقد ٦٧٪ بأن الدولة لا توفر، أو ربما توفر ولو بشكل جزئي، الحصول على مستوى مناسب من التعليم والثقافة، في مقابل ٦١٪ كانوا يعتقدون ذلك في العام الماضي. ويعتقد ٤٩٪ من الجمهور أن الدولة لا توفر، أو توفر ولو بشكل جزئي فقط، الحصول على رعاية طبية مناسبة، في مقابل ٤٥٪ كانوا يعتقدون ذلك في العام الماضي.

أفاد حوالي ٢٥٪ من الجمهور بأنهم لا يثقون مطلقاً، أو يثقون إلى حد ما، في الجيش الإسرائيلي. كما أفاد نصف المشاركين في الاستطلاع تقريباً وبلغت نسبتهم (٤٦٪)، بأنهم لا يثقون في المجلس المحلي (في مقابل ٤٤٪ في استطلاع عام ٢٠٠٥)، كما ذكر ٤٤٪ أنهم لا يثقون مطلقاً، أو يثقون إلى حد ما، في الحزب الذي أيده في الانتخابات (في مقابل ٢٩٪ في عام ٢٠٠٥). كما أن ثقة الجمهور في الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال في إسرائيل)، ليست كبيرة، فحوالي ٤٦٪ لا يثقون مطلقاً في الهستدروت (حيث ارتفعت هذه النسبة عن العام الماضي والتي كانت ٤١٪).

وقد صرح اللواء (احتياط) عوزي ديان، رئيس مؤتمر سديروت للدراسات الاجتماعية، الذي سيبدأ فعالياته يوم الثلاثاء القادم بكلية سافير، بأن "هذا المؤشر بمثابة استغاثة من المجتمع الإسرائيلي بقيادة

أظهر استطلاع للرأي واسع نطاق، يهدف إلى قياس المنفعة الاجتماعية لدى سكان الدولة، أن ٨٠٪ من الجمهور الإسرائيلي يجمعون على أن فساد السلطة في إسرائيل يقض مضاجعهم ولا يجعلهم يفتخرون بدولتهم. كما أظهر مؤشر المنفعة الاجتماعية الذي أجرى قبل مؤتمر سديروت للدراسات الاجتماعية، الذي سينعقد الأسبوع القادم، وجود تراجع شديد في ثقة الجمهور في الدولة ومؤسساتها بما في ذلك الجيش الإسرائيلي، مقارنة بالأعوام السابقة.

في عام ٢٠٠٣، أفاد ٢٧٪ فقط من الجمهور بأنهم لا يثقون مطلقاً، أو يثقون إلى حد ما، في المؤسسات العامة التي من المفترض أن تمد لهم يد العون وقت الحاجة، إلا أن هذا العدد قد تضاعف خلال العام الحالي ليصل عدد الذين لا يثقون في الدولة ومؤسساتها إلى ما يقرب من ٥١٪.

فيما أظهر مؤشر قياس المنفعة الاجتماعية الذي يجري للسنة الرابعة على التوالي، أن ٧٠٪ من الجمهور على يقين بأن الدولة لا توفر لمواطنيها، أو ربما توفر لهم بشكل جزئي فقط، ظروف إقامة معقولة، في مقابل ٦٥٪ أفادوا بذلك في عام ٢٠٠٥.

تعتقد نسبة ٧٠٪ من الجمهور بأن الدولة لا توفر لمواطنيها، أو ربما توفر لهم ولكن بشكل جزئي، حياة كريمة بعد خروجهم على المعاش (بلغت هذه النسبة

تتمتع بالقيم والأخلاقيات".

وقد أجرى الاستطلاع الشهر الماضي على عينة شملت ١١١١ من الإسرائيليين البالغين، وأجرى الاستطلاع معهد ماجر موحوت، تحت إشراف فريق من الباحثين، يتابع مشروع المنعة الاجتماعية. وقال ديان أنه "يتعين على القيادة أن تدرس جيداً معطيات الاستطلاع، التي تظهر لنا جميعاً الفجوة الشاسعة بين قدرات الدولة على الصعيدين الأمني والاقتصادي، وبين النتائج المشينة التي تقود الجمهور إلى عدم الثقة في القيادة ومؤسسات الحكم".

من ناحية أخرى، احتلت الأحزاب السياسية مرتبة دنيا في سلم الثقة لدى الجمهور، حيث يثق ١٣٪ فقط في الحزب الذي أيده. كما أن الشرطة لا تحظى بثقة الجمهور هي الأخرى، حيث يثق ١٦٪ فقط من الجمهور في الشرطة (في مقابل ١٩٪ في عام ٢٠٠٥)، ويثق ٢٥٪ فقط من الجمهور في الجهاز القضائي (في مقابل ٣٠٪ في العام الماضي). أما الثقة الأكبر لدى الجمهور، فإنه يشعر بها إزاء الأسرة والأصدقاء، حيث يثق ٧٤٪ من المشاركين في الاستطلاع في الأسرة والأصدقاء.

وعندما سُئل المشاركون في الاستطلاع عن أكثر الظواهر إزعاجاً لهم في المجتمع الإسرائيلي، أجاب ٨٠٪ منهم بأنه الفساد في السلطة، وهي نسبة مرتفعة

بنحو ٦٪ عن العام الماضي.. وأفاد ٧٣٪ بأن الفقر هو أكثر ما يقلقهم، بينما أشارت نسب مماثلة إلى العنف والنزاع مع الفلسطينيين. فيما سجّل التحسن الوحيد لصالح الوضع الاقتصادي، رغم أن نسبة من يشعرون بالقلق من الوضع الاقتصادي لا تزال مرتفعة: فقد أفاد ٥٢٪ من المستطلعة آراؤهم بأنهم يشعرون بالقلق، أو قلقون للغاية، من أنهم لن يستطيعوا الادخار للمستقبل، في مقابل ٦٢٪ في العام الماضي. وأفاد ٢٥٪ من المشاركين في الاستطلاع بأن مستوى معيشتهم أدنى من المستوى المعقول، وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بنسبة ٣٥٪ كانوا قد أفادوا بذلك في العام الماضي. فيما أفادت الأغلبية الساحقة من المشاركين في الاستطلاع، وبلغت نسبتهم حوالي (٥٧٪) بأن دخلهم يوفر لهم مستوى معيشة معقول (في مقابل ٥٢٪ في العام الماضي)، وعندما سُئلوا ما هو المبلغ الذي من الممكن أن يوفر لهم مستوى معيشة معقول، كان متوسط المبلغ ١٣٦٥٦ شيكلاً.

ومع كل ذلك، يعتقد ٧٣٪ أن إسرائيل هي أفضل الدول من حيث مستوى المعيشة، وذلك مقارنة بعام ٢٠٠٥ حين بلغت النسبة ٦٧٪، علماً بأن نسبة مماثلة (٧٣٪) أفادت بأن هناك رغبة، ولو ضئيلة، في الانتقال للعيش في دولة أخرى.

معاريف ٢٠٠٦/١١/٨
بقلم: جيل حوريف

أولرت الأكثر فساداً وليفني الأكثر استقامة (*)

فيما أظهر الاستطلاع، الذي أجراه معهد أبحاث ماجر موحوت أن ٤٢٪ من الإسرائيليين، أفادوا بأن السلوك العام لرئيس الوزراء هو سلوك فاسد أو الأكثر فساداً. وقد قفز أفيجدور ليبرمان، الذي عُين وزيراً في الحكومة، منذ حوالي أسبوعين فقط، ليحتل المركز الثاني في مؤشر الفساد، بحصوله على نسبة ٢٦٪ من أصوات المشاركين في الاستطلاع. يليه في المركز الثالث كل من وزير الدفاع، غمير بيرتس، ووزير الصناعة والتجارة والتشغيل، إيلي يشاي، فقد حصل كل منهما على ٢٢٪، يليهما وزير الداخلية روني بار أون، وحصل على ٢٢٪ من الأصوات، ووزير المالية أفراهام هرشيزون بنسبة أصوات بلغت (١٧٪) ووزير البنى التحتية فؤاد بن اليعيزر وحصل على (١٧٪) من الأصوات.

رغم أن حزب كاديما جاء على رأس قائمة أكثر الأحزاب فساداً، إلا أنه احتل أيضاً المراكز الخمسة

❖ لقد جنت التحقيقات ثمارها: أظهر استطلاع للرأي تم عرضه في مؤتمر سديروت لشئون المجتمع، أن ٤٢٪ من الجمهور الإسرائيلي، يرون في رئيس الوزراء، الذي ارتبط اسمه خلال الأشهر الأخيرة بالعديد من القضايا التي يباشر مكتب مراقب الدولة التحقيق فيها، الشخصية الأكثر فساداً في الحكومة. ووفقاً لما نشره موقع صحيفة معاريف الإليكتروني على شبكة الإنترنت، فقد احتل أولرت المركز الأول في "مؤشر أكثر الساسة فساداً" مقارنة بالعام الماضي، حين جاء في المركز الرابع. بينما كان الشخص الوحيد الذي ما يزال يحافظ على ثبات مطلق هو، تساحي هنجبي، الذي اعتبره الجمهور في العام الماضي الوزير الأكثر فساداً في الحكومة، وينظر إليه اليوم باعتباره أكثر أعضاء الكنيست فساداً. وفي المقابل، يحظى كل من وزيرة الخارجية، تسبي ليفني، ونائب رئيس الوزراء، شمعون بيريس، بأكبر نسبة ثقة بين الجمهور.

الأولى في مؤشر الوزراء الأكثر استقامة في الحكومة، حيث احتلت وزيرة الخارجية، تسيبي ليفني، المركز الأول بحصولها على ٢٨٪ من أصوات المشاركين في الاستطلاع، فقد وصف المشاركون في الاستطلاع سلوكها العام بأنه "نزيه" أو "نزيه جداً"، يليها مباشرة كل من شمعون بيريس وحصل على (٣٥٪)، ووزير المواصلات شأؤول موفاز (٢٨٪)، وأخيراً وزير العدل ميثير شطريت (٢٢٪).

♦ داليا إيتسيك الأكثر استقامة بين أعضاء الكنيست:

احتلت تساحي هنجبي، وهو الشخص الذي جاء على رأس قائمة الفساد في العام الماضي، وبدون منافس هذه المرة، المركز الأول في "مؤشر أكثر أعضاء الكنيست فساداً" للعام الحالي، فقد حصل على ٣٨٪ من أصوات المشاركين في الاستطلاع. وجاء في المركز الثاني عضو الكنيست أحمد الطيبي، وحصل على (٣٤٪) من أصوات المشاركين في الاستطلاع. بينما جاء حاييم رامون، الذي تجرى محاكمته بتهمة الاعتداء الجنسي في المركز الثالث بحصوله على ٣٠٪ من الأصوات، يليه وزير المالية السابق، بنيامين نتياهو، بنسبة أصوات بلغت (٢٩٪).

فيما أظهر الاستطلاع حصول رئيسة الكنيست، داليا إيتسيك، على المركز الأول في قائمة أكثر أعضاء

الكنيست "استقامة"، حيث حصلت على ٢٤٪ من أصوات المشاركين في الاستطلاع، تلتها في المركز الثاني عضوة الكنيست، زهافا جلثون، وحصلت على (٢٣٪) من الأصوات، ثم عضو الكنيست سيلفان شالوم، وحصل على نسبة (٢٢٪) من الأصوات.

♦ بيرتس وليبرمان ينضم إلى القائمة السوداء:

كان الوزير أفيجدور ليبرمان، الذي احتل المركز الثاني في مؤشر الفساد، قد احتل المركز الثاني أيضاً في قائمة أعضاء الكنيست الأكثر استقامة العام الماضي. كما أن وزير الدفاع عمير بيرتس، إذا به يجد نفسه ضمن القائمة السوداء: فقد قفز من المركز الرابع في قائمة أعضاء الكنيست الأكثر استقامة في العام الماضي، ليحتل المركز الثالث في قائمة أكثر الوزراء فساداً.

♦ أجرى استطلاع "مؤشر الفساد" لعام ٢٠٠٦،

على عينة شملت ١١١١ محادثة تليفونية. وتمثل هذه العينة السكان البالغين في إسرائيل. وقد جرت المحادثات الهاتفية باللغة العبرية والروسية والعربية. وقد سبق هذا الاستطلاع، استطلاع تمهيدي، أجرى بين مختلف فئات الجمهور، وكان يهدف إلى الوقوف على مدى الاستقامة والنزاهة التي يتمتع بها نواب الشعب.

الجمهور يفضل مراقب الدولة على أولمرت

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٣
بقلم: يوسى فيرتر

الكبير على أداء مراقب الدولة ميخا ليندشتراوث، لكن حين طلب من الجمهور أن يختار بين رئيس الوزراء وبين مراقب الدولة، إذا به يؤيد مراقب الدولة: حيث يعتقد ١٢٪ فقط من الجمهور بأن مراقب الدولة يطارد أولمرت شخصياً، بينما قال ٦٧٪ من المستطلعة آراؤهم بأن مراقب الدولة يضطلع بدوره كما يجب.

من ناحية أخرى، يعتقد ٢٩٪ من المشاركين في الاستطلاع أن الحكومة بهيئتها الجديدة مع انضمام ليبرمان إليها أفضل بكثير من الحكومة بدون ليبرمان (بينما يعتقد ٣٥٪ من المشاركين في الاستطلاع بأن هذه الحكومة ليست جيدة).

فيما لم تحدث تغييرات كبيرة في مؤشرات الرضاء عن كبار رجال السياسة التي يتم دراستها بشكل دائم في استطلاع "هاآرتس - ديالوج" مقارنة بالاستطلاع السابق، حيث حصل أولمرت، كما ذكرنا آنفاً، على نسبة رضاء بلغت ٢٠٪، بينما واصلت وزيرة الخارجية

نجح رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، هذا الأسبوع، في تحقيق الاستقرار للائتلاف الحكومي عن طريق ضم حزب "إسرائيل بيتينو"، ولكنه فشل في استعادة تأييد الجمهور له منذ انتهاء الحرب في لبنان. فوضعه يزداد سوءاً. ومن المتوقع أن تكون مسيرة انتعاشه طويلة وبطيئة. ربما يجد عزاء له في أن وضع وزير دفاعه أسوأ منه، ولكن هذا لا يعد عزاء في الواقع، فعزأؤه الوحيد هو أن الانتخابات ليست على الأبواب، لأنه لو أجريت الانتخابات هذا الأسبوع، لما انتخب لرئاسة للوزراء، ولما تمكن حزبه كادىما من تشكيل الحكومة الجديدة.

ووفقاً للاستطلاع الذي أجرته صحيفة "هاآرتس"، منتصف هذا الأسبوع، بواسطة شركة "ديالوج"، تحت إشراف البروفيسور كميل فوكس، فقد بلغت نسبة الرضاء عن أولمرت ٢٠٪ فقط، في مقابل ٧٠٪ من المشاركين في الاستطلاع غير راضين عنه. وعلى الرغم من التحفظ

والقائمة بأعمال رئيس الوزراء، تسيبي ليفني، محافظة على مكانها في القيادة، حيث حصلت على نسبة تأييد بلغت ٥١٪، في حين أن رئيس المعارضة، عضو الكنيست بنيامين نتياهو، على الرغم من التخططات التي يثيرها خلال أحاديثه وتصريحاته، يحافظ على وضع مستقر (٤٥٪ راضون عنه، في مقابل ٤٣٪ غير راضين).

كما أظهر استطلاع المقاعد (يقصد مقاعد الكنيست) الذي أجرى هذا الأسبوع، أن وضع نتياهو أخذ في التحسن بقوة. وبناءً على ذلك، فإن الليكود تزداد قوته بحصوله على أربعة مقاعد أخرى مقارنة بالاستطلاع السابق. فإذا تم إجراء الانتخابات الآن، لحصل حزب الليكود على ٢٨ مقعداً، ثلاثة منهم تأتي مباشرة من حزب يسرائيل بيتينو (إسرائيل بيتا). وهذه كانت توقعات حقيقية، حتى إن ليبرمان نفسه، خلال الأحاديث التي أجريت معه عشية انضمامه للحكومة، توقع أن حزبه سيفقد بضعة مقاعد. ومثلما، توقع، فقد تحول ناخبو اليمين إلى الليكود.

ولا شك أن السياسي الذي يقع في أسفل السلم، في حالة خطيرة، هو وزير الدفاع، عمير بيرتس. فلم ينجح هو الآخر في تحسين وضعه منذ انتهاء الحرب، حيث أفاد ٨٢٪ من المستطلعة آراؤهم بأنهم غير راضين عنه، في مقابل ١٤٪ فقط راضين. وحتى داخل حزبه، ٦٨٪ غير راضين عنه.. فلو جرت اليوم مواجهة (يقصد

انتخابات حزب العمل) بين بيرتس والوزير المستقيل أوفير بينيس، لأصبح بينيس رئيساً لحزب العمل، ولصوت ٤٥٪ لصالحه، في مقابل ٣٤٪ كانوا سيصوتون لصالح بيرتس. وعلى الأقل، فقد ثبت الآن، بعد أيام معدودات من استقالة بينيس، أنه قد نجح في وضع نفسه كخيار بديل لرئيس الحزب الحالي. ماذا سيحدث في المستقبل؟ إن الوقت ما زال مبكراً.

وإذا جرت اليوم مواجهة بين المرشحين الستة وهم: بيرتس، بينيس، عامي أيلون، إيهود باراك، داني ياتوم وأفيشاي بروفمان، لما نجح بيرتس في أن يخوض جولة ثانية، نظراً لأن باراك وبينيس وأيلون كانوا سيتقدمون عليه في هذا السياق الانتخابي المضني. فباراك وضعه في تحسن واضح بين ناخبي حزب العمل، مقارنة باستطلاعات رأي سابقة. ولكن يبدو أن الجمهور لا يزال غير مستعد لرؤيته يعود إلى عمله في الحكومة، فيما أظهر الاستطلاع أن ٢٧٪ من المستطلعة آراؤهم يؤيدون انضمامه لحكومة أولمرت، بدلاً من بينيس.

وفيما يخص الشأن السياسي توجد مفاجآت: فأغلبية واضحة من الجمهور (٣٨٪) يؤيدون المفاوضات السياسية مع الفلسطينيين، بينما يريد ٩٪ فقط من المشاركين في الاستطلاع رؤية انسحاب أحادي الجانب من أراضي الضفة الغربية، في حين يمتد ١٦٪ بأنه يتعين على الحكومة الدخول في مفاوضات مع سوريا.

وزيران فقط يؤيدان مسيرة الشواذ

يديعوت أحرونوت ٦/١١/٢٠٠٦
بقلم: روني سوفير

(المتقاعدين). أما رئيس الوزراء أولمرت ووزير الأمن الداخلي آفي ديختر والقائم بأعمال وزير العدل ميثير شطريت، فقد امتنعوا عن الإعراب عن موقفهم في هذا الشأن.

كيف يبرر الوزراء مواقفهم؟ أعلن مكتب رئيس الوزراء، الذي طلب منه أمس أنصار جمعية "هابيت هابتواح" تدخل رئيس الوزراء شخصياً من أجل السماح بإجراء المسيرة، أنه "لن يعمل من أجل التأثير على المسؤولين المعنيين حتى يتمكنوا من اتخاذ القرار بما يتلاءم مع المعطيات على الأرض". كما أجاب آفي ديختر بشكل مماثل، فقال: "بصفتي وزيراً للأمن الداخلي، فإنني أفضل عدم التطرق لذلك إلا بعد انتهاء تقدير الموقف الميداني للشرطة".

وأوضح إيلي يشاي، وزير الصناعة والتجارة والتشغيل ورئيس حزب شاس، أنه "يعارض إجراء مسيرة الشواذ، لأن إجرائها في القدس يندس المدينة.

ليس من السهولة بمكان رسم خريطة دقيقة لمواقف الوزراء من إجراء مسيرة الشواذ في القدس، حيث وافق ثلاثة عشر وزيراً فقط على المشاركة في استفتاء موقع يديعوت أحرونوت على شبكة الإنترنت حول هذا الموضوع.. فبينما قال ثمانية وزراء أنهم يعارضون إجراء هذه المسيرة، أعرب وزيران عن موافقتهما على إجرائها في القدس، في حين امتنع ثلاثة وزراء، من بينهم رئيس الوزراء، عن الإعراب عن موقفهم.. هذا ولم يشارك في الاستفتاء نحو إثني عشر وزيراً آخرين.

الوزيران المؤيدان لإجراء مسيرة الشواذ في القدس، هما وزيرة التعليم يولي تامير ووزير شئون أرياب المعاشات رافي إيتان. أما الوزراء المعارضون لإجراء مسيرة الشواذ فهم وزراء شاس الأربعة - إيلي يشاي، يتسحاق كوهين، مشولام نهري وأريئيل أتياس. وينضم إليهم شمعون بيريس وجدعون عزرا ويعقوف أدرى من حزب كاديما، وكذلك يعقوف بنيزري من كتلة جيل

فالتجاسة هي التجاسة ولا توجد أنصاف نجاسة".
وهال الوزير موشلام نهري: "إن الديمقراطية هي القدرة على الحياة والسماح للآخرين بها. ومسيرة الشواذ في القدس لن تمكن الحريديم من الحياة في هذه المدينة".

وزير البيئة جدعون عزرا يقول: "أعارض إجراء المسيرة في الأساس بسبب المشاكل الأمنية التي يمكن أن تنتج عن إجرائها في القدس". بينما يقول الوزير يعقوف أدري: "إنني أعارض إجراء المسيرة، وأعتقد في ضرورة نقلها من القدس. لقد حاولت بشكل شخصي التوفيق بين الجانبين، الأمر الذي لم يحدث. يجب أن

نتذكر أن القدس مدينة ذات خصوصية، ويجب أخذ مشاعر الجميع بعين الاعتبار".

وتختلف يولي تامير من حزب العمل مع موقف هؤلاء، وتقول: "الخنوع للعنف يعني أننا لم نتعلم شيئاً من مقتل رابين". بينما قال رافي إيتان إنه "يؤيد إجراء مسيرة الشواذ فقط بشكل محدود وبدون إثارات لا داعي لها، مع التوصل إلى حل وسط بين جميع الأطراف". وقال بني زري وزير الصحة: "إنني أعارض إجراء مسيرة الشواذ لأنها محل خلاف. يجب بذل قصارى جهدنا من أجل عدم حدوث صدع لا داعي له بين أوساط شعبنا".

الحريديم أكثر الطوائف المكروهة في إسرائيل

معاريف ١١/١/٢٠٠٦
بقلم: آساف زلينجر

بين الجمهور منذ إقامة الدولة ١٩٤٨ اتضح من الإجابات أن خطة فك الارتباط تغلبت على اغتيال رئيس الوزراء "إسحاق رابين"، حيث قال ٤٧٪ إن إخلاء جوش قطيف كان أكثر الأحداث التي أدت إلى الانقسام، بينما قال ٣٨٪ إنه اغتيال رابين، في حين قال ٣٪ فقط إنها قضية التلينا (❖).

أجرت جمعية جيشر هذا الاستطلاع بمساعدة شركة موتاجيم التي قامت بإجراء مقابلات مع ٥٢٨ شخصاً يمثلون عينة من سكان البلاد تمثل جميع السكان اليهود البالغين ممن يتحدثون العبرية.

قالت مدير عام جمعية جيشر "شوشى بيكر": "تمثل النتائج علامة تحذير للسياسيين وزعماء الدولة الذين يجب عليهم أن يغيروا أساليبهم بشكل تام. وفضلاً عن هذا ينظر إليهم الجمهور على أنهم المسؤولين عن زرع الكراهية، كما يجب عليهم أن يشعروا بالقلق من وجود أقطاب داخل المجتمع الإسرائيلي كما اتضح من نتائج استطلاع الرأي".

من المتوقع أن يتدفق غداً مئات الآلاف من الشباب والجنود والمواطنين على خيمة الحوار السنوية الخاصة بجمعية جيشر في ميدان رابين من أجل الاحتفال بذكرى رابين. ستدور جلسات النقاش في الخيمة تحت عنوان "مطلوب شريك في المجتمع الإسرائيلي". وستعقد أيضاً في الخيمة جلسة خاصة للجنة التعليم والثقافة التابعة للكنيست حول موضوع "قيود حرية التعبير في المؤسسات التعليمية".

(❖) قضية تتعلق بإحدى سفن الأسلحة تدعى التلينا كانت تابعة لمنظمة "إيتسل - المنظمة العسكرية القومية"، وقام الجيش الإسرائيلي بإغراقها في الثاني والمشرين من يونيو عام ١٩٤٨ أثناء حرب الاستقلال، لأن منظمة إيتسل رفضت منح السيطرة الكاملة على السفينة للجيش الإسرائيلي.

بالرغم من أن الإسرائيليين لا يعترفون ظاهرياً بهذا الأمر خارج إسرائيل، فقد تبين أن الأغلبية العظمى من الإسرائيليين لا يتحلون حقاً بالتسامح. فقد اتضح من استطلاع الرأي الذي أجرته جمعية جيشر أن ٣٧٪ من الجمهور يكون الكراهية للحريديم.

تم توجيه سؤال للمشاركين في الاستطلاع حول أكثر فئات السكان المكروهة في إسرائيل، فجاء المهاجرون من دول الكومنولث في المرتبة الثانية بعد الحريديم الذين احتلوا المرتبة الأولى، حيث اتضح أن نسبة أكثر الأشخاص كراهية لليهود الحريديم تبلغ ١٥,٢٪، و١٢,٦٪ يكرهون المستعمرين، ٧,٤٪ يكرهون سكان الكيبوتس فقط ٣,١٪ يكرهون سكان تل أبيب.

وكذلك يمكن أن نرى مقدار عمق الانقسام من السؤال حول أكثر الفئات تبرعاً، حيث وضع ٢٠,١٪ من المستطلعة آراؤهم سكان الكيبوتس على رأس القائمة، تليهم بعد ذلك المستعمرون بنسبة تزيد على ١٦٪، ثم جاء سكان تل أبيب بعد ذلك بنسبة تبلغ ١١,٩٪، بينما جاء المهاجرون من دول الكومنولث بفارق بسيط، حيث بلغت نسبتهم ١١,٧٪، ثم تذيّل الحريديم قائمة الترتيب بنسبة بلغت ٧,٧٪.

وعندما سُئل المستطلعة آراؤهم: من هو العنصر المسئول عن الانقسام بين الجمهور ١٩٤٨ جاء رجال السياسة في المرتبة الأولى دون منازع، بينما ألقت نسبة تبلغ ٤٢,١٪ المسؤولية على أعضاء الكنيست، في حين جاءت وسائل الإعلام بنسبة تصل إلى ٣٩,٤٪ في المرتبة الثالثة، وجاء الحاخامات في المرتبة الأخيرة بنسبة تبلغ ٩,٢٪.

وفي إطار استطلاع الرأي الذي أُجري قبيل الاحتفال بالذكرى الحادية عشرة لاغتيال رابين، سُئل المشاركون في الاستطلاع عن أكثر الأحداث التي أدت إلى أكبر الانقسامات

واحدة من كل خمس إسرائيليات تتعرض للاغتصاب

للاغتصاب، بينما تعرض ١٢,٦٪ منهن لاعتداءات جنسية بمختلف أشكالها. وأظهرت دراسات أخرى أجريت في الولايات المتحدة أن ٢٦٪ من النساء تم الاعتداء عليهن جنسياً، من بينهم ٢٠٪ تعرضن للاغتصاب، و١٦٪ فقط تعرضن لتحرشات جنسية مختلفة.

وقد أفادت ٦١,٢٪ من النساء في إسرائيل بأنهن تعرضن لتحرشات جنسية رغماً عنهن، بينما أشار ٩٢,٧٪ منهن بأنهن تعرضن لاعتداءات جنسية لفظية، في حين أشار ٧,٢٪ فقط بأنهن لم يتعرضن لأي اعتداءات من هذا النوع. كما أن نسبة النساء اللاتي أفدن بأنهن اعتدن ارتداء ملابس تكون في بعض الأحيان خليعة، كانت متماثلة تقريباً في كلتا المجموعتين، حيث تراوحت النسبة بين النساء اللاتي تعرضن للاعتداء الجنسي بين ٦٠٪ إلى ٦٤٪، في مقابل ٦٥٪ بين أولئك اللاتي لم يتعرضن للاعتداء الجنسي.

وقد كشفت نتائج الدراسة أنه لا توجد علاقة بين الثقة بالنفس والتعرض للاعتداء الجنسي، حيث أفادت نسبة ٥١,٦٪ من اللاتي تم الاعتداء عليهن جنسياً بأنهن يثقن في أنفسهن، ولكن بمعدلات متوسطة فما فوق، في مقابل ٥٤,٧٪ من النساء اللاتي لم يتعرضن لأي اعتداء. وتقول د. مور أن الدراسة الحالية تتناقض تماماً مع الاتهام بأن الملابس الخليعة من شأنها أن تعرض النساء للاغتصاب أو التحرش الجنسي. ومعنى ذلك، أنه على خلاف الاتهامات الرائجة، بأن النساء هن السبب في تعرضهن للاعتداءات الجنسية، بسبب ما يرتدون من ملابس خليعة "مثيرة" في بعض الأحيان، فقد أثبتت نتائج الدراسة عكس ذلك.

أظهرت دراسة جديدة أجرتها الدكتورة أفيجيل مور، رئيس وحدة الدراسات النسائية والجنس بكلية تل حاي، أن ٧٥٪ من النساء اللاتي تم الاعتداء عليهن جنسياً، وقعن ضحية لأحد الأشخاص المعروفين لهن، كصديق أو أحد الأقارب، وأن ٢٥٪ منهن فقط كن ضحايا لأشخاص غرباء.

وقد أظهرت نتائج الدراسة، التي تم نشرها هذه الأيام، أن ٣٣,٢٪ من النساء في إسرائيل قد تعرضن للاعتداء الجنسي، حيث تعرضت نسبة ٣٠,٧٪ منهن للاغتصاب، و١٢,٦٪ منهن تعرضن لاعتداءات جنسية بأشكال مختلفة. فيما استقصت الدراسة، التي أجريت على عينة إقليمية شملت ٢٠٠ امرأة تتراوح أعمارهن بين ١٥-٥٠ عاماً، مدى انتشار العنف الجنسي ضد النساء في إسرائيل والسماوات الشخصية للنساء المتضررات.

وقد صرحت د. مور بأن "نتائج الدراسة ترسم صورة مقلقة للغاية. فالنساء اللاتي يقمن بالإبلاغ عن الاعتداءات التي تعرضن لها، هن فقط مجرد جزء من الظاهرة مقارنة بالحجم الفعلي للظاهرة. كما أثبتت الدراسة مجدداً أن الاعتداء على المرأة سببه هو أنها أنثى، وأن الأمر ليس له صلة بسمات الشخصية أياً كانت، سواء كانت طريقة اللبس أو طريقة التصرفات، أو أي عامل آخر".

وعلى حد تعبيرها، فإن نتائج الدراسة تؤكد انتشار ظاهرة الاعتداءات الجنسية بشكل يوازي معدلات الاغتصاب والتحرش الجنسي التي يتم تسجيلها في بلدان غربية أخرى، حيث أظهرت نتائج دراسات أخرى مماثلة كانت قد جرت في كندا، أن ٣٨,٢٪ من النساء هناك تم الاعتداء عليهن جنسياً، من بينهم ٢٥,٧٪ تعرضن

الأغلبية تطالب باستقالة بيرتس

معاريف ٢٤/١١/٢٠٠٦
بقلم: هيئة تحرير الموقع

(الأخيرة). ويبدو أن تعيين ليبرمان وزيراً في الحكومة، جاء ليدعم من موقفه، حيث حصل على ١٤ مقعداً في الاستطلاع الأخير (مقابل ١١ مقعداً في الانتخابات الأخيرة).

◆ بيرتس لن يتنازل عن حقيبة الدفاع:

كانت إشاعة قد ترددت، طيلة يوم أمس، على لسان أحد المقربين من وزير الدفاع، عمير بيرتس، مفادها هو أنه سيوافق على التنازل عن حقيبة وزارة الدفاع، إذا ما حصل على حقيبة وزارة المالية. وقد قرر بيرتس أن يوضح بشكل قاطع أن هذا ليس له أي أساس من الصحة. وأعلن المتحدث باسم وزير الدفاع بأن "عمير بيرتس لن يترك وزارة الدفاع أبداً". حتى أن بيرتس نفسه، ألقى بالأمس، في مقر حزب العمل، كلمة دافع فيها عن نفسه، واتهم فيها خصومه في الحزب بأنهم يشنون ضده حملة تشويه ضروس، كما اتهم وزراء الدفاع الذين سبقوه بأنهم تركوا له أرض أمنية محروقة.

وقد صرح بيرتس خلال مؤتمر حزب العمل، الذي انعقد بالأمس، قائلاً: "إن إحدى المشكلات التي أعانى منها هي إنتى أصل في ساعات المساء لبيتى وعيناي متثاقلتان، لأنهما كانتا يقظتان طيلة ١٨ ساعة متواصلة، أقوم خلالها بتفقد أحوال الجيش الإسرائيلي، والاطمئنان على مدى جاهزيته وكفاءته واستعداداته".

كما تطرق بيرتس في كلمته إلى إمكانية أن يقوم رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، بإقالته من منصبه. وحذر من أن مثل هذا الوضع من شأنه أن يؤدي إلى أزمة ائتلافية، قد تنتهي بانسحاب حزب العمل من الحكومة. وأضاف بيرتس: "إن من يرغب فينا كشركاء كبار، يجب عليه أن يعي أن حزب العمل لا يستطيع أن يكون شريكاً رئيسياً دون الاحتفاظ بإحدى الحقائب الوزارية الكبيرة، وأنا أقول أن حقيبة وزارة الدفاع هي الحقيبة الأكبر التي يجب أن نتمسك بها".

وقال بيرتس متطرقاً إلى المشكلات الأمنية: "إن إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل لم يبدأ خلال السنة الأخيرة فقط، بل إنها مشكلة تلازمنا منذ بضعة سنوات.. إن حملة التشويه ضدي، سواء كانت من الداخل أو من الخارج، تضر أول ما تضر بالمعنويات القومية".

◆ انعدام ثقة غير مسبوق: رئيس حزب العمل، عمير بيرتس، وصل بثقة الجمهور إلى الدرك الأسفل، وبلغ ما لم يبلغه أي وزير دفاع سابق. حيث تعتقد نسبة ٧٨٪ من الجمهور الإسرائيلي أنه يتعين على بيرتس الاستقالة من منصبه، في مقابل ١٧٪ فقط يعتقدون بأنه يجب عليه البقاء في منصبه.. هذا ما يظهره استطلاع للرأي أجراه مركز "تليسكر" لحساب صحيفة معاريف. وعلى هذا، فإن تراجع شعبية بيرتس بين الجمهور، يضر بشدة بوضع حزب العمل، الذي حصل في الاستطلاع الأخير على ١٢ مقعداً فقط، إلا أنه، وعلى الرغم من رأي الجمهور الذي يطالب باستقالته، فقد أوضح بيرتس بالأمس أنه باق في منصبه كوزير للدفاع.

وقد أظهر الاستطلاع، الذي نُشرت نتائجه صباح اليوم في صحيفة معاريف، بشكل لا يقبل التأويل، أن الجمهور يريد وزير دفاع آخر.. حيث أعرب ٧٨٪ من الإسرائيليين أنهم لا يريدون رؤية عمير بيرتس في منصب وزير الدفاع، فيما حصل المرشح الأول بين الجمهور لخلافة بيرتس، وهو وزير الدفاع السابق، شأؤول موفاز، على نسبة تأييد بلغت ٣٢٪. وحصل منافس بيرتس في حزب العمل، عضو الكنيست عامي أيالون، على نسبة تأييد بلغت ١٨٪. وتعتقد نسبة ١٦٪ من الإسرائيليين أن الوزير آفي ديختر سيضطلع بدور فاعل إذا ما شغل منصب وزير الدفاع، فيما حصل ليبرمان على نسبة تأييد بلغت ١٤٪، تلاه رئيس الوزراء ورئيس هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي الأسبق، إيهود باراك، بحصوله على نسبة تأييد بلغت ١٣٪ فقط.

كما أظهر الاستطلاع أن الموقف الجماهيري المعارض لبيرتس، يضر أيضاً بالتأييد الجماهيري لحزبه. فلو أن الانتخابات للكنيست ستجرى اليوم، لانهار حزب وزير الدفاع - أي حزب العمل - ولحصل على ١٢ مقعداً فقط في الكنيست (في مقابل ١٩ مقعداً التي حصل عليها في الانتخابات الأخيرة)، ولأصبح حزب الليكود على القمة، ليصبح الحزب الأكبر في الكنيست، بحصوله على ٢٩ مقعداً (في مقابل ١٢ مقعداً التي حصل عليها الحزب في الانتخابات الأخيرة). فيما بلغ عدد المقاعد التي حصل عليها حزب كاديما حتى نهاية هذا الأسبوع ١٨ مقعداً فقط (في مقابل ٢٩ مقعداً التي حصل عليها في الانتخابات

ترجمات عبرية

٩

شخصية العدد



الرئيس العاشر للكنيست «دوف شيلانسكي»

اعداد : وحدة الترجمة

١٩٢٤	تاريخ الميلاد
١٩٩٢-١٩٨٨	فترة الولاية
من مواليد شبلى فى ليتوانيا	الأصل العرقى
عام ١٩٤٨	علم الهجرة لإسرائيل
خريج كلية الحقوق بجامعة الصرية فى القدس (لرغ تل أبيب)	المؤهل
العبرية، الإنجليزية، الألمانية، اللاتفية	اللغات
- منذ حرب الاستقلال (ضابط مقاتل) خدم فى جميع الحروب والمعارك الإسرائيلية (فى الاحتياط). - من عام ١٩٧٠ ضابط صليب فى الدفاع الجوى (فى الاحتياط) فى منطقة دان. - من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٨٩ ضابط تربية (فى الاحتياط).	الخدمة العسكرية
ينتمى لحزب الليكود	الانتماء السياسى
- قائد منظمة "إيتزل" (المنظمة العسكرية المحاربة) فى ألمانيا وإيطاليا. - عضو فى لجنة أداب المهنة ("الإيتكا المركزية") فى غرفة المحامين. - عضو فى المنظمة الدولية لمحامين ورجال حقوق يهود. - عام ١٩٧٧ كان ممثلاً عن الكنيست فى لجنة تعيين القضاة، وذلك طوال ١٣ عاماً.	النشاط السياسى
عضو فى الدورات البرلمانية التالية: من الكنيست التسعة حتى الثالثة عشرة عن الليكود فى الكنيست التاسعة: عضو فى اللجان التالية: لجنة الداخلية وشؤون البيئة، لجنة الدستور والقانون والقضاء. فى الكنيست العشرة: عضو فى لجنة الدستور والقانون والقضاء فى الكنيست الحادية عشرة: رئيس لجنة الداخلية وشؤون البيئة فى الكنيست الثانية عشرة: رئيس الكنيست فى الكنيست الثالثة عشرة: نائب رئيس الكنيست - عضو فى لجنة الكنيست	عضوية الكنيست
فى الكنيست العاشرة: فى الحكومة الـ١٩: من ١٩٨١/٨/١١ نائب وزير فى مكتب رئيس الحكومة فى الحكومة الـ٢٠: نائب وزير فى مكتب رئيس الحكومة	المناصب الحكومية
كتب وألف العديد من الروايات منها: - "فى السجن العبرى" من مذكرات سجين سولسى (باللغة العبرية). - "موزلمان" - رواية تاريخية (فترة اندلاع الكارثة النازية) ترجمت إلى اللغتين الإنجليزية والروسية - كان له زاوية ثابتة فى المجلة الشهرية "بييرتس إسرائيل" أى فى بلاد إسرائيل (باللغة العبرية).	النشاط العلمى

جدوى بقاء بيرتس والعمل في الحكومة الإسرائيلية

صباحي عسيلا

باحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

السلام، وهي صيغة فضفاضة سمحت باستيعاب كل من الحماثم والصقور في الحزب، وهو الأمر الذي فشلت فيه البرامج الأخرى التي حاول أن يتبناها الحزب. وإزاء هذه الأوضاع تبلور إجماع لدى المتابعين على أن حزب العمل بات يقف أمام مفترق طرق هام وخطير بالنسبة لتوجهاته السياسية على الأقل منذ نهاية عهد باراك. وتعمقت أزمة الحزب لدى الناخبين بشكل أساسي بعد فشل بارك الذريع في تنفيذ برنامجيه خلال فترة رئاسته للحكومة، والتي انتهت بحدثين غاية في الأهمية بالنسبة للإسرائيليين وهما فشل مفاوضات كامب ديفيد، ثم تفجر الانتفاضة الثانية للفلسطينيين، وهما الحدثين اللذين أنهيا حياة بارك السياسية. ثم دخل الحزب في انتخابات داخلية للبحث عن شخصية تقود الحزب في الانتخابات التي جرت في ٢٠٠٣ ثم في ٢٠٠٦، إلا أن جميع من قادوا الحزب خلال تلك الفترة (متسناح أو اليعيزر أو بيرتس) لم يتمكنوا من تحسين وضع الحزب، بل إن متسناح أكد في خطاب استقالته من رئاسة الحزب "إن حزب العمل عصى على القيادة، ولا يوجد في ظل الظروف السائدة في الحزب أى فرصة لأن ينجح أى زعيم في قيادته". ثم خسر الحزب الانتخابات التي دخلها في مواجهة شارون ثم في مواجهة أولمرت.

وفى واحد من أهم تداعيات أزمة الحزب انخرط الحزب في تشكيل حكومات وحدة وطنية مع الليكود ثم مع كاديما. وربما كان الحدث الأهم في التعبير عن أزمة الحزب هو قرار البقاء في حكومة أولمرت رغم انضمام ليبرمان بحزب إسرائيل بيتنا، وهو الأمر الذى يكن أكثر المتشائمين بشأن تدهور مكانة حزب العمل يتصورون إمكانية حدوثه. علاوة على ذلك فهناك من يشير إلى أن انتخاب بيرتس زعيما للحزب

استمرارا للأزمة التى يمر بها حزب العمل فى الحياة السياسية الإسرائيلية منذ رحيل اسحاق رابين بمكانته التاريخية فى هذا الحزب ولدى الإسرائيليين عامة، وافق حزب العمل بزعامة الوافد الجديد إلى المجال السياسى عمير بيرتس على الدخول فى حكومة وحدة وطنية بقيادة حزب كاديما بزعامة إيهود أولمرت، وذلك بعد أن حصل الحزبين على المرتبتين الأولى والثانية فى الانتخابات الإسرائيلية المبكرة التى جرت فى مارس الماضى. وخلال تسعة أشهر من عمر تلك الحكومة لم يستطع كل من أولمرت وبيرتس التغلب على أو تبديد الشكوك الرئيسية التى حامت حول قدرتهما على إدارة الحكومة ووزارة الدفاع، فى ظل عدم تمتعهما بشرف الانتماء للمؤسسة العسكرية. ومن الواضح أن الرياح قد جاءت كعادتها بما لا تشتهى نفسيهما، أو أن الظروف جاءت فى غير مصلحتهما. فلم تقتصر المواجهات التى تخوضها إسرائيل على الملف الفلسطينى فقط، ولكنهما اتخذا قرارا تاريخيا ومصيريا بشأن الحرب على لبنان فى أعقاب قيام حزب الله باختطاف ثلاثة جنود إسرائيليين.

لقد أصبح مألوفاً فى الحياة الحزبية الإسرائيلية الحديث عن الأزمة التى يعانى منها اليسار ممثلاً فى رافده الأساسى أى حزب العمل، الذى لم يستطع البقاء فى السلطة لأكثر من عامين عبر العقد الأخير. وبات البعض يشير للحزب باعتباره الوصيف الدائم لليكود فى الحلبة السياسية فى إسرائيل، بل إن البعض أطلق عليه لفظ "ليكود ب". فخلال العقد الأخير لم يستطع الحزب أن يلتزم ببرنامجه السياسى الأساسى المتعلق بملف الصراع العربى الإسرائيلى، والقائم بالأساس على الأرض مقابل

بعد ذاته أحد تداعيات الأزمة التي يمر بها. فهو لم يستحق بالمقاييس الإسرائيلية أن يكون زعيم الحزب لكنه حاز على منصبه بعد أن بدا وكأنه جاء إلى الحزب بأجندة عدالة اجتماعية في وقت لم تكن لدى الحزب أجندة سياسية. وتم التركيز في الدعاية الانتخابية على أصل بيرتس الشرقي ونشاطه النقابي ليضفي مسحة اجتماعية على رسالة الحزب، خاصة بعد أن غاب مشروعه السياسي. وبالفعل استطاع بيرتس قيادة حزب العمل ليس إلى سدة الحكم ولكن للحفاظ على مكانته باعتباره الوصيف، وحصل الحزب على ١٩ مقعداً، ثم وافق على الدخول في حكومة وحدة وطنية يتولى فيها أولمرت رئاسة الوزراء، ويتولى بيرتس "المدني" وزارة الدفاع التي نادراً ما توليها شخص من خارج المؤسسة العسكرية.

◆ بيرتس يدفع ثمن قراره الخطأ:

كان بيرتس أحد الأصوات داخل حزب العمل المطالبة بضرورة أن ينسحب حزب العمل من حكومة شارون، وحسب تعبيره في منتصف مايو ٢٠٠٥، "أننا انضمنا إليها فقط من أجل ضمان تطبيق خطة الفصل، ولا يربطنا ببند سياستها الأخرى أي شيء"، وأضاف أنه بعد تطبيق هذه الخطة، سينفض الناس من حول حكومة شارون، بسبب سياستها الاقتصادية الفاشلة. وسيكون على حزب العمل أن يثبت أنه البديل الأفضل وليس الشريك في الفشل. وبالفعل دخل بيرتس سباق الانتخابات على رئاسة الحكومة برسالته التي وضع فيها قضية التدهور الاقتصادي واتساع الفقر والبطالة في رأس سلم الاهتمامات وشكك من خلالها بصدق الجنرالات، بل طلب منهم أن يكفوا عن سياسة تخويف الناس باسم الأمن. وقال صراحة أن هناك شركاء لإسرائيل في قضية السلام على الطرف الفلسطيني من البلاد وليس صحيحاً ما يقوله رئيس الوزراء أرييل شارون، من أن لا شريك فلسطينياً لإسرائيل في عملية السلام. وعليه ينبغي تخفيض ميزانيات العسكرية والجيش لحساب الفقراء. إلا أن فوزه بالمكانة الثانية في الانتخابات قد أغراه وأغرى حزب العمل بتطبيق ذات السياسة التي سبق وانتقدها في الحزب، وهي الدخول في شراكة مع حزب كاديما، الذي لا يختلف كثيراً عن الليكود، بل إن بيرتس أصر على الاحتفاظ بحقيبة وزارة الدفاع، رغم أنه غير مؤهل لها. وعلى الأرجح فقد كان هذا الوضع وضعاً مثالياً لأولمرت الذي أصبح لديه وزير دفاع ليس كفؤاً يمكن بسهولة تحميله نتائج

كافة القرارات السيئة التي يتخذها الجيش تجاه الفلسطينيين أو الجيران العرب، كما حدث في لبنان لاحقاً. وهكذا أصبح بيرتس كما كان بنيامين بن اليعيزر الأداة التي يستخدمها أولمرت لضرب الفلسطينيين، ويورطها في تحمل المسؤولية بكل ما يعنيه ذلك من خصم من شعبيتهما وشعبية حزبيهما لدى الرأي العام الإسرائيلي. وربما كان أبلغ تعبير عن مأزق بيرتس هو ما كتبه "أوري أفنيري" في صحيفة معاريف في أول يوليو ٢٠٠٦ حين قال منتقداً وضع وزير الدفاع "عمير بيرتس"، بأنه بات كالبيغاء لرئيس أركان الجيش حالوتس. وحالوتس هذا هو شخصية عسكرية ضيقة الأفق، لكنه يعتبر اليوم الحاكم الحقيقي في إسرائيل.

◆ بيرتس وحرب لبنان:

وكانت الأزمة الكاشفة لورطة بيرتس هي الحرب على لبنان، بكل النتائج التي تمخضت عنها، وبكل الجرائم التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في لبنان دون أن يحقق نصراً مقنعاً للرأي العام الإسرائيلي، الذي رأى ٨٠٪ منه تقريباً أن جيشه لم يحقق انتصار حاسماً في المواجهة مع لبنان. ومما لا شك فيه فقد حمل الرأي العام الإسرائيلي المسؤولية لكل من أولمرت وبيرتس بالأساس يليهما رئيس الأركان دان حالوتس. وتضاعفت الدعوات المطالبة باستقالة كل منهما، وتدننت شعبية كل من أولمرت وبيرتس إلى مستوى غير مسبوق لم يشغلوا مثل هذه المناصب في السابق.

ومع ذلك فإن الوضع بالنسبة لبيرتس يبدو أسوأ بكثير، إذ يطالبه الرأي العام بالاستقالة ويسعى أولمرت لإقالته، والأهم أن حزبه بات بشكل أو بآخر يدعو لاستقالته. ومن ذلك مطالبة إيتان كابل سكرتير حزب العمل لبيرتس بأن يستقيل من منصبه، وقال أنه من أجل "مستقبل الدولة والحزب، يتحتم على بيرتس أن يستقيل من وزارة الدفاع. وبحسب مصادر في حزب العمل فإن ١٠ من أعضاء حزب العمل في الكنيست (١٩)، يؤيدون إبعاد بيرتس عن وزارة الدفاع، ويرون أن المرشح المفضل لهذا المنصب هو إيهود باراك رئيس الحزب السابق. إضافة إلى ذلك فإنه في منتصف سبتمبر عبر ٦٤٪ ثم ٦٦٪ في أول نوفمبر من ناخبي حزب العمل عن شعورهم بعدم الرضاء عن بيرتس. وهو الأمر الذي دفع بعض المراقبين إلى القول بأن حياة بيرتس السياسية قد انتهت على الأقل باعتباره رئيساً لحزب العمل. أما بالنسبة لحالوتس فقد طالب عضو الكنيست من

حزب المضدال "تسفى هندل" بيرتس بإقالة دان حالوتس، من منصبه وقال "إذا أردنا إن نرسم الجيش فإن أول ما يجب فعله هو إقالة حالوتس". أما الرأي العام فقد عبر ٧١٪ منه عن رغبتهم في استقيل حالوتس، مقابل ربع المستطلعين رأوا أن عليه البقاء في منصبه. والأهم أن ٥٨٪ من الإسرائيليين رأوا أنه في حالة عدم استقالة حالوتس فإن على القيادة السياسية إقالته. كما طالب ٧٢٪ من المستطلعين وزير الدفاع عمير بيرتس أن يستيق نتائج التحقيقات في ملاسبات حرب لبنان ويقدم استقالته، بينما رأى ٢٨٪ أن عليه البقاء في منصبه.

والحقيقة أن التراجع في شعبية بيرتس وأولمرت قد بدأ يتصاعد بشكل ملحوظ، على خلفية ما تم في حرب لبنان. فقد أوضح استطلاع أجرى في ١١ أغسطس أن شعبية رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت هبطت من ٧٥٪ إلى ٤٨٪، وكذلك وزير الدفاع عمير بيرتس انحسرت شعبيته بشكل لافت من ٦٨٪ إلى ٢٧٪، في حين أبدى ٧٣٪ من الإسرائيليين عدم رضائهم من معالجة أوضاع الجبهة الداخلية. وقد أرجع بعض الكتاب الإسرائيليين ذلك إلى أن استمرار الحرب ووقوع الخسائر وإطلاق صواريخ الكاتيوشا وبدء حرب الجنرالات كان له تأثيره السلبي الشديد على تأييد الجمهور لأولمرت وبيرتس. ففي أسبوع واحد خسرا معظم التفويض الذي منحه الجمهور لهما بسخاء كبير ليعودا تقريباً إلى مكانتهما (غير اللامعة) عشية الحرب. وفي ٢٠ سبتمبر تراجعت شعبية بيرتس، حيث أبدى ١٤٪ رضائهم عن أدائه كوزير للدفاع في مقابل ٧٩٪ غير راضين عنه. ومن الواضح أن نسبة عدم الرضاء عن بيرتس قد استقرت عند ما يقرب من ٨٠٪ من الرأي العام، ففي استطلاع نشرته صحيفة "معاريف" الإسرائيلية في موقعها على الإنترنت في ٢٢ نوفمبر اتضح أن نحو ٧٨٪ يعتقدون أنه يجب على بيرتس أن يستقيل من تلقاء نفسه.

وتعبيراً عن أزمة الجيش الإسرائيلي وعن وصول أزمة بيرتس إلى الذروة، كتبت صحيفة "هاآرتس" في افتتاحيتها يوم ٢٤ نوفمبر تحت عنوان "مطلوب وزير دفاع"، أن التحديات الأمنية، من سقوط صواريخ القسام إلى المشروع النووي الإيراني، تتطلب تبوأ شخصية ملهمة بالشئون الأمنية والاستراتيجية والعلاقات الخارجية في منصب وزير الدفاع "فيما الوزير الحالي يفتقر إلى هذه الكفاءة". ونصحت الصحيفة حزب العمل بإقناع زعيمه بيرتس بالتخلي عن منصبه الحالي "ليتيح لغيره تنفيذ مهمة إعادة تأهيل الجيش وإعداده للاختبارات المصيرية ليستعيد الإسرائيليون ثقتهم بالجيش". ومن الواضح أن أولمرت منذ افتعاله أزمة مع بيرتس بدعوى قيامه بالاتصال بمحمود عباس أبو مازن، قد قرر التخلص من أو التضحية بوزير دفاعه، على أمل أن يساعده ذلك في امتصاص الهجود الحاد عليه وعلى حكومته نتيجة فشلها في الملف الأمني. ومع ذلك يبقى القول أن تراجع شعبية أولمرت على النحو الذي لا يقل كثيراً عن تراجع شعبية بيرتس يضع كثيراً من علامات الاستفهام حول إمكانية إصلاح صورته وحكومته أمام الرأي العام بإقالة وزير الدفاع، التي لم يعد شك في أنها ستحدث، وتبقى فقط مسألة التوقيت، لاسيما وأن القرار لا يتوقف فقط على أولمرت ولكن على حزب العمل الذي بات عليه أن يبحث عن وزير دفاع يحل محل بيرتس. وإذا كان من المشكوك فيه أن تخرج إقالة بيرتس أولمرت من عثرته، فمن المؤكد أن حزب العمل سيعود ليواجه أزمته الحقيقية مرة أخرى، والمتمثلة في عدم قدرته على إنجاب قيادة تستطيع دفعه مرة أخرى إلى السلطة، أو على الأقل تحتفظ به كحزب معارضة حقيقى يسعى للسلطة.

"حنة وميخائيل" .. صورة للصراع داخل المجتمع الإسرائيلي

طلعت رضوان

كاتب وباحث

من أيام منظمات العمل السري اليهودي هذه العبارة: "بالدم والنار سقطت يهودا . وبالدم والنار ستنهض يهودا" وتعلق حنة قائلة "لم أحب الفكرة التي وراء هذا الشعار. بل أحب ترتيبها الداخلي. نوع من التوازن الخطر لا أستطيع أن أشرحه" (ص ٨٤، ٩٠) وفي المقابل نجد ميخائيل يقول لابنه عن حرب عام ١٩٤٨ "هنا كان العرب، ونحن هنا" (١٧١) ووالد ميخائيل يحكي لابنه عن "عرب أشرار وعرب أخيار" (١٠٧) وحنة تتكلم في مونولوج داخلي عن "فلسطين البعيدة" (١٨٨) أي أن الرواية تعكس صورة التيارين الرئيسيين في المجتمع الإسرائيلي: تيار الأصوليين الذين يرفضون أي حق للفلسطينيين في إقامة دولتهم تأسيسا على مرجعيتهم الدينية. والتيار العلماني (وكذلك فصائل اليسار الإسرائيلي) الذين يدافعون عن حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم.

هذا الموقف الذي جسده الكاتب في الرواية هو تعبير صادق عن قناعاته الشخصية، إذ قال في حديث صحفي "إن النزاع العربي الإسرائيلي على الأرض هو نزاع ليس بين حق وباطل، وإنما بين حق وحق" وفي كتابه هنا وهناك في أرض الميعاد قال "إن هذه الأرض وطن لشعبين، ومن الواضح أنه ليس لديهما وطن آخر ولا خيار آخر، لذا فإن عليهما أن يتقاسماها بشكل ما" (ص ١٢، ١٥ من مقدمة المترجم).

المحور الثاني في الرواية هو تقديم صورة للأصوليين داخل المجتمع الإسرائيلي في مقابل صورة العلمانيين. فتتذكر حنة طفولتها كنا نتجول في شوارع بعيدة. نجوب الغابات جوعى، نركض لاهثين نغذب الأطفال المتدينين: (٢٢) وحنة أثناء فترة الخطوبة مع ميخائيل رفضت أن تدعوه إلى غرفتها والسبب "أن أصحاب المنزل متدينون" (٢٩) بل أنها بعد الزواج وعندما كانت مريضة وزوجها على جبهة القتال أطمأنت عندما زارها رجلان من الجيران للأطمئنان عليها. وتخشى لو أن رجلا واحدا هو الذي زارها والسبب كما تقول حنة "لو جاء واحد منهما

"هذه الأرض وطن لشعبين: من الواضح أنه ليس لديهما وطن آخر ولا خيار آخر"

(عاموس عوز)

إذا كان الأدب الرفيع هو الذى يعيد صياغة الواقع من خلال رؤى جمالية، تخرج الكامن من أعماق شخصيات هذا الواقع، تعكس أبعادها النفسية والفلسفية، إذا كان هذا هو أبسط تعريف للأدب رفيع المستوى، عميق المعنى، فإن قراءة رواية (حنة وميخائيل) (١) للكاتب الإسرائيلي عاموس عوز ينطبق عليها هذا التعريف، خاصة أنه من خلال شخصيات الرواية قدم للقارئ صورة أدبية لكل تناقضات المجتمع الإسرائيلي. وأن هذه التناقضات هي التجسيد الحي للصراع داخل هذا المجتمع، وذلك على عدة محاور:

المحور الأول هو أن المجتمع الإسرائيلي متعدد الأعراق، أى متعدد الأجناس، وبالتالي فهو متعدد الثقافات واللغات، لدرجة أن أكثر من شخصية تتحدث العبرية بصعوبة وركاكة (ص ٢٤، ٦٨، ٦٩، ١٧٦، ١٩١) ورغم أن هذا التعدد العرقي كان سببا لافتقار التجانس المجتمعي بين أفراد شعب يعيش على أرض وطن واحد، وتسبب في نزاعات تصل أحيانا إلى حد الحروب الأهلية، إلا أن هذا الافتقار للتجانس في المجتمع الإسرائيلي لم يخلخل انتماء الإسرائيليين للدولة التي يعيشون على أرضها وللنظام الذى يحكمهم. فما هو السبب؟ السبب أن الإسرائيليين (غربيين وشرقيين، علمانيين وأصوليين) يؤمنون أن دولة إسرائيل الوليدة هي حقيقة لا يجب التشكيك فيها، وبالتالي فإن أى تشكيك في إسرائيل كدولة، وأى تهديد لهذه الدولة، يجعل (كل) الإسرائيليين يقفون ضد هذا التهديد. أى أن مفهوم (الوطن) هو الذى (وحد) كل الإسرائيليين. ويكون الاختلاف داخل هذا المجتمع حول الحق الفلسطيني. فالأصوليون ينكرون أى حق للفلسطينيين ويشجعون على استخدام العنف ضدهم. وكان الكاتب موفقا وهو يجعل عين البطلة (حنة) تقرأ على أحد الجدران في مدينة القدس كتابة حمراء غير واضحة

بمفرده، سيفتح الباب للأقارب الشريرة" (١٥٣) ووالد ميخائيل عند زيارته للمرة الأولى لابنه بعد الزواج، وعندما سأل على عنوان بيت أبنه، ضلله الأطفال المتدينون (٦٤) بل إن عمات ميخائيل الأربع تتعجب في حيرة وتتساءلن "لماذا يعيش ميخائيل بين المتدينين بدلا من العيش في مناخ ثقافي متحضر" (٨١).

هذه الصورة التي تركز على أن الأصوليين في المجتمع الإسرائيلي غير متحضرين، يؤكد عليها الكاتب في مواضع عديدة. إذ بينما تسير حنة وميخائيل في مدينة القدس، ينقض على ميخائيل يهودي ضخيم أمسك بزر معطفه وقال في وجهه "ويل لك يا معكر صفو إسرائيل، إن شاء الله تموت" اندهش ميخائيل فهو لا يعرف الرجل الذي أضاف "فليكن الموت من نصيب كل أعداء الرب. آمين يا رب العالمين" وعندما تهيا ميخائيل ليقول للرجل أنه ليس من أعدائه، أنهى اليهودي الضخم الموقف قائلا "تقو عليك وعلى كل عائلتك إلى الأبد. آمين آمين" (٨٥).

واليهود المتدينون في إسرائيل المدافعون عن الديانة العبرية يرون أن "البنات كلهن من عمل الشيطان الرجيم" (٥٦) والسيدة (هاداساه) صديقة حنة تنتقد الجامعة العبرية "فهي جامعة حديثة العهد، ومع ذلك يديرونها بأكثر الطرق أصولية" (٥٧) وإذا كان الأصوليون في كل دين يحاولون إثبات أن كتابهم المقدس سبق العلم في الاكتشافات العلمية، فإن والد ميخائيل يتكلم عن "شك الخبراء في الآية التوراتية التي تقول "أرض حجارتها من حديد. ومن جبالها يقطع النحاس" الموجودة في سفر التثنية (١٠٨) وميخائيل بعد حرب عام ١٩٤٨ يرفض الذهاب إلى أي مستوطنة (كيبوتز) في النقب. وترى عمته (جينيه) أنه بذلك أحسن صنعا، لأنه توجه للدراسة في الجامعة ليخدم الشعب والدولة بعقله ومواهبه وليس بعضلاته" (١٠٩) والسيد قاديشمان الأصولي المتعصب يقول "سنقوم باحتلال القدس، الخليل، بيت لحم ونابلس خيرا فعل الرب بشعبنا حين منع الحكمة عن الذين يدعون الزعامة فينا، وجعل على قلب أعدائنا غشاوة بيده يأخذ ويبيده الأخرى يعيد، ما لم تستطع تحقيقه حكمة اليهود يتحقق بفضل غباء العرب. قريبا ستدلع حرب كبيرة وستعود لنا الأماكن المقدسة" (١٣٤).

على الجانب الآخر يبرز الكاتب الوجه المضاد للأصوليين، فرغم وجود ظاهرة التعصب الديني داخل المجتمع الإسرائيلي فإن العلمانيين لهم حق الدفاع عن أنفسهم وإعلان معتقداتهم، وأكثر من ذلك فإن والد ميخائيل تعود أن يصف نفسه بأنه يمارس الإلحاد" (١١٢) وميخائيل مثل والده. تقول حنة "نحن لا نشعل شموع السبت، لأن ميخائيل يرى في ذلك نفاقا من جانب الذين لا يتمسكون بالمبادئ الدينية" وفي نفس المشهد يقول ميخائيل "أبي لم يعرف ما هو مدى الصدق في المبادئ

الدينية. وحين انضم أخى عمانوئيل لحركة شباب يسارية، حينذاك فقط توقفت العادات الدينية في بيتنا يوم السبت. و(إن) تمسكنا بالقواعد الدينية كان واهنا للغاية فقد كان أبي رجلا متشككا" (١٢٠).

والتعصب الديني يصل إلى درجة أن تقول أحد الشخصيات الثانوية "جميع أبناء إسرائيل متساوون أمام الرب إلا أولئك الذين حلت عليهم اللعنة منه سبحانه" (١٢٢) أي أن التعصب الديني يُكرس لإقصاء كل مختلف والدعاء عليهم باللعنة من منظور الإيمان العبراني، وإذا كان هذا الإقصاء يشمل الفلسطينيين، فهو يشمل أيضاً الإسرائيليين الراضين للمرجعية الدينية العبرانية، وهذا أحد أهم بؤر الصراع داخل المجتمع الإسرائيلي، وهو ما اهتمت الرواية بإبرازه. وتكمل الصورة عندما يرفض ميخائيل أن يلتحق بأية مدرسة دينية. وقد شاركته زوجته حنة في ذلك وقالت "ميخائيل مصمم تماما على أن يكون ابنه تقدسيا في آرائه" (١٦٩). وحنة تكتشف في ابن جيرانها الفتى يورام موهبة الشعر، ولكنه يكتب شعرا يستمد مادته من التوراة فتقول "حين تكون السيطرة التامة في يدي، أتوى أن اقتع يورام بأن يختار حياة متهورة، بمعنى أن أشجعه على أن يكون شاعرا وليس مدرسا للتوراة" (١٦٢) وتصف تلاميذ المدرسة الدينية للبنين (تحكموني) بأنهم "بدوا لي أكثر همجية، أكثر عنفا من السنين السابقة" (١٧٥) والسيدة (دوباه جليك) تجد أساسا مضحكا للترامن بين التراتيل الدينية وبين المطر. ولهذا انفجرت في ضحك أجش" (١٨٨).

المحور الثالث: هو الموقف من مصر، استنادا إلى الإيمان العميق بحرفية ما جاء في التراث الديني العبري المعادى لأجدادنا المصريين القدماء، تدور أحداث الرواية (دون أن ينص الكاتب على ذلك صراحة) في أجواء حرب عام ١٩٥٦. يقول الدكتور أورباخ الذي يعالج حنة "هذه أيام مهمة ومن الصعب جدا فيها الابتعاد عن الأفكار التوراتية. حسنا بالأمس احتل الجيش الإسرائيلي بالدبابات جبل سيناء، تقريبا كما توقع سفر الرؤيا. تقريبا يوم القيامة" (١٥٠) ويقول السيد قاديشمان "في هذا الوقت قواتنا تطارد جيش فرعون الهارب. والبحر لم ينفلق لم ينفلق لمجرم مصر" (١٥٥) وكما ذكرت في المحور الأول، فإن الإسرائيليين (أصوليين وعلمانيين) يوحدتهم الدفاع عن بقاء إسرائيل، لذلك نرى ميخائيل (رغم رفضه للمرجعية الدينية) يقول "هناك قاعدة معروفة وضعها المستشار الألماني بسمارك، مفادها أنه حين يهاجمك حلف من القوات المعادية، عليك أن تبحث عن أقواهم وتضربه أولا. وهذا ما يحدث هذه المرة أيضاً. سنخيف الأردن والعراق حتى الموت وبعد ذلك نستدير فجأة لنضرب مصر" وتعلق حنة قائلة "أنا حملت في زوجي كأنه يتحدث إلى باللغة السانسكريتية" (١٢٥).

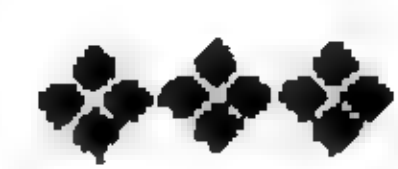
ويذكر الكاتب على لسان حنة أن التلاميذ في المدارس يتعلمون "قصة الخروج من مصر والضربات العشر. أبدى معظم الأولاد فرحاً شديداً، ربما مشوشاً من قسوة المصريين ومعاناة العبريين. أما جونييه (ابنها) فقد سأل أسئلة تتعلق بانشقاق البحر الأحمر كان لديه اعتراض منمق على أقول التوراة" (١٨٤) وأثناء الحرب يذبح الجيش الإسرائيلي البيان التالي "توغلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي هذا المساء إلى داخل صحراء سيناء واحتلت الكونتيللا ورأس النقب وسيطرت على مواقع بالقرب من نخل على بعد ٦٠ كم شرق قناة السويس. صحراء سيناء هي المهد التاريخي للأمة الإسرائيلية" (١٤٦، ١٤٧).

المحور الرابع: يتناول علاقة الإسرائيليين بالفلسطينيين. وهذا المحور تجسده حنة التي تدور أحداث الرواية على لسانها، حنة شخصية مركبة شديدة التعقيد. تهاجمها الأحلام الكابوسية دائماً. رغم استقرار حياتها الزوجية، ورغم تقدم زوجها في أبحاثه وفي وضعه الاجتماعي، ومع ذلك تشعر دائماً بأنها على حافة الخطر. هل هو خطر ذاتي أم خطر عام؟.. طوال صفحات الرواية يختلط الذاتي بالعام. فهي في طفولتها كانت تلعب مع طفلين عربيين (توأم) عن هذا التوأم قالت كنت أميرة وهما حارسي. كنت قائدة مغوارة وهما الضابطان. كنت القبطان وهما الملاحان. جاسوسة وهما العينان" (٢٢) ولكن العلاقة بينها وبين الطفلين العربيين تتعقد تقول "أحياناً كنت أحتهما على التمرد وبعد ذلك اخضعهما بيد حديدية" (٢٩) ورغم ذلك فهي تحكى لميخائيل "وأنا في الثانية عشر من عمري وقعت في حبهما معا. كانا ولدين جميلين" وفجأة تراهما "ذئبان رماديان. همجيان قرصانان بحريان" (٣٦) وفي حلم آخر يتدرب التوأم العربي على استخدام القنابل اليدوية (٨١) ورغم ذلك فهي في يقظتها تتمنى أن يكون هذا التوأم العربي ضمن المعسكر العربي الذي يسعى للسلام (١٥٧).

في الصفحات الأخيرة من الرواية، عندما قررت الانفصال عن زوجها (رغم أنه زوج مثالي) فإنها ترى التوأم العربي في أحلام يقظتها ومعهما صندوق متفجرات وأجهزة تفجير ورشاشات محشوة ومصوبة ومسحوب منها زناد الأمان. رغم ذلك فإن الخطر في هذا الكابوس لا زال مشوشاً فتقول "أصابع تلتمس طريقها إلى الزناد، تجمعات صراصير مختبئة، فجأة يدوى انفجار مروّع. وهج من الضياء في الأفق الغربي. بقايا أصداء منخفضة تجلجل في كهوف الجبل على وجه الأودية ندى ثقيل. نجمة. كتل من الجبال الصماء. ريح هادئة تلامس وتداعب أشجار الصنوبر. الأفق البعيد يصير باهتاً ببطء. وعلى الوادي الفسيح تهبط سكين باردة (من ص ١٩٤ - ١٩٦) وحنة إذا كانت ترى التوأم العربي في أحلامها الكابوسية وهما ينقضان عليها، فإنها ترى أيضاً سائق التاكسي الإسرائيلي

(رحاميم رحيمون) وهو يطوق خاصرتها كإنسان همجي متوحش (١٢٨) أي أن إحساسها بالخطر نابع من إحساس عام بتركيبية المجتمع الإسرائيلي، فهي ترى أن مدينة القدس "أوهام وليست مدينة" (٢٤) والقدس "مدينة تبعث على الحزن. في كل ساعة وفي كل موسم تثير القدس حزناً مختلفاً" (٦٣) والقدس قلعة أشباح يسكنها أصحاب الأرواح الشريرة (٨٢) وتقول أيضاً "من الذي بإمكانه أن يستوطن القدس؟.. أتساءل أنا. حتى ولو عاش هنا مائة عام. إنها مدينة الأفنية المغلقة. مخنوقة خلف جدران كتيبة. تعلوها قطع زجاج مكسور. حاد. لا قدس. بل فتات متساقط عمدا كي يضل الأبرياء. قشور داخلها قشور. إنني أسجل هنا أنني من مواليد القدس. أما أن القدس مدينتي، فهذه لا أستطيع أن اكتبها" (٨٤، ٨٥) وأكثر من ذلك قالت "كانت القدس بعيدة ولم تستطع أن تتعقب آثارها، ربما تحولت في النهاية إلى غبار، فهي تستحق. لم أحب القدس من بعيد. أضمرت لي الشر. أردت لها سوءاً" (١٩٢).

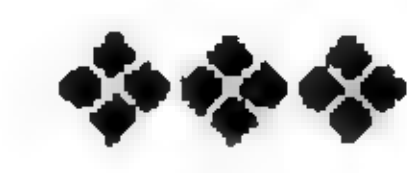
إن شخصية حنة من الشخصيات المهمة في الأدب العالمي. والكاتب برع في تضفير همومها الخاصة بالهم العام. فهي مشغولة بفلسفة الوجود وتساءل زوجها "من أجل ماذا نعيش؟.. قل لي من فضلك يا ميخائيل" (١٧٨) وهي تعترض على زوجها عندما تلاحظ أنه يردد كلمات محفوظة عن أبيه فتقول له "إن أباك هو الذي يتحدث الآن من حلقك" عندما يرد عليها "لم أفكر في ذلك. لكن الأمر ممكن وطبيعي. فأنا ابن أبي" ولكنها ترفض منطقته فتقول "الفضيع ليس في أنك ابن أبيك الفضيع أن أباك يبدأ الحديث فجأة من حلقك، وجدك زلمان وجدى وأبى وأمي، وبعدنا يكون يائير (ابنها) كلنا كأننا نتعاقب شخصاً إثر شخص. كلنا مسودات نسخة جديدة تظهر بعد الأخرى مسودة طبق الأصل. بعد أن تتلف بالكرمشة تلقى في سلة المهملات. وتظهر مسودة أخرى بتغيير بسيط. يا له من انعدام للجدوى. يا له من فتور يا لها من نكتة سخيفة" (١٨١) حنة ترفض أن يكون مجتمعها نسخ كريونية. لذلك يتهم القارئ هواجسها وكواييسها عن الذين يهددون حياتها تخشى من التوأم العربي ومع ذلك تحن لطفولتها معهما، وتتمنى أن ينضموا إلى العرب المناصرين للسلام تعشق الحياة بطريقتهما الخاصة، لذلك كان الكاتب موفقاً وهو يقدمها في السطور الأولى من الرواية وهي تقول "أكتب لأن أناساً أحبهم قد ماتوا. أكتب لأنني حين كنت صبية كانت لدى القدرة على الحب. أما الآن فإن قدرتي على الحب تموت. أنا لا أريد أن أموت" (١٩).



الدفاع عن بقاء دولة إسرائيل رغم اختلاف التيارات السياسية والثقافية، الدعوة إلى السلام، إدانة الأصوليين اليهود، الصراع بين الأصوليين والعلمانيين هذه المحاور

التي تناولتها الرواية هي أيضاً مواقف الكاتب الذي قال للناقد الأمريكي (دافيد سياتر): "على السطح في إسرائيل هناك ثقة في النفس هائلة، رصيد ضخ من اللامبالاة، ومن إجابات سخيفة تدور في أي ذهن وتتمثل في "لا تتزعج نحن نستطيع أن نحل كل شيء. ونتغلب على كل صعوبة، ولكن هذه الثقة تطفح على السطح فقط، بينما في العمق، وفي داخل طيات الضمير والعقلية الإسرائيلية، هناك شعور قديم بالفزع اليهودي التقليدي. هذا الفزع يبرهن عن نفسه في الشعور بالذنب تجاه العرب، ويؤدي في حالة بطله هذه الرواية إلى نزوات انتقامية" وفي حديث آخر سأل أحد النقاد الأمريكيين: هل لازال يأمل أن دولة علمانية ديموقراطية تستطيع البقاء في إسرائيل؟ فقال "التطرف الديني والتعصب حقق ارتفاعاً هائلاً. ليس فقط في القدس، ولكن في أماكن كثيرة أخرى من العالم تحت سيطرة الإسلام، المسيحية وبالتأكيد اليهودية. سيؤدي ذلك إلى سيطرة الدينين الأصوليين على القدس، إنتى لن اعتبر موجة التطرف الديني في إسرائيل ظاهرة عابرة إنها ثابتة وقائمة".

وعاموس عوز مؤلف الرواية عضو في حركة السلام الآن. وعضو في لجنة السلام الفلسطينية الإسرائيلية ومع إقامة الدولة الفلسطينية. وخلال الاعتداء على لبنان عام ١٩٨٢ قاد مظاهرة ضد مناحم بيجين رئيس الوزراء الأسبق مذكراً إياه أن هتلر قد مات، ونشر قصة قصيرة في مجلة اليوم السابع تدور حول أم تشعر أن احتلال القدس في حرب عام ١٩٦٧ يساوي إصبعاً واحداً من أصابع ابنها الذي فقدته في تلك الحرب (من مقدمة المترجم من ص ١١ - ١٥).



تبقى ملحوظة خاصة بالمترجم: فإذا كان ابن ميخائيل عندما سمع قصة خروج اليهود من مصر كان لديه اعتراض منق على أقوال التوراة وإذا كان من حق أي مترجم التعليق على أية أخطاء تتعارض مع لغة العلم، وهو ما فعله العديد من المترجمين، لذلك كنت أتوقع من مترجم رواية (حنة وميخائيل) أن يستشهد بأقوال العلماء الذين قندوا افتراءات بنى إسرائيل ضد أجدادنا المصريين القدماء، أمثال جيمس فريزر الذي نفى أن يكون قد صدر أمر من أحد الفراعنة بطرح كل أطفال العبريين في الماء (٢). أو سيجموند فرويد الذي كتب أن القصة التي تروىها التوراة عن موسى والخروج ليست أكثر من أسطورة دينية (٣). أو د. محمد بيرمي مهران الذي كتب "انتهت الأمور باليهود أن نسوا لمصر أنها أطعمتهم من جوع، وأوتهم من تشرد، فردوا لها الجميل نكراناً، وكانوا عليها للفرس أعواناً وفي حاميتهم جنوداً. وهم أعوان الهكسوس وخونة وجواسيس وأذئاب لأعداء البلاد" (٤) وكتب شفيق مقار أن اليهود كانوا رعاة رحل جياح تسللوا عبر حدود مصر

ليأكلوا وينهبوا (٥) وكتب جورج هيربرت ويلز "أن قصة استيطان بنى إسرائيل مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها قصة صعبة التصديق للغاية. ففي تاريخ مصر ذكر لأقوام من الرعاة الساميين سُمح لهم بالإقامة في أرض جاسان (محافظة الشرقية حالياً) بإذن من الفرعون رمسيس الثاني. وفي هذا السياق قال التاريخ أن من جعل أولئك الناس يلجأون إلى مصر كان الجوع، إلا أنه لا ذكر هناك إطلاقاً في أي شيء مما سجله تاريخ مصر لشخص اسمه موسى، أو أي ذكر لسيرته، كما أنه لا ذكر هناك لأية ضربات أو كوارث طبيعية حلت بمصر أو لأي فرعون غرق هو وجنوده في البحر الأحمر" (٦).

لم يقدم مترجم الرواية هذه الخدمة لقارئة، وإنما اكتفى في الهامش رقم (٤١) بأن لخص قصة الخروج كما وردت في سفر الخروج. ولازال الألم يعتصرني وأنا أقرأ في الرواية على لسان أصولي يهودي "في هذا الوقت قواتنا تطارد جيش فرعون الهارب. والبحر لم ينغلق لمجرمى مصر" (ص ١٥٥) واستدعيت كل قراءتى في علم النفس لأعرف الحالة الشعورية للمترجم وهو يترجم افتراءات بنى إسرائيل ضد أجدادنا المصريين القدماء وضد المصريين المعاصرين. طبعاً فشلت محاولتى واستبعدت أن يكون المترجم من المؤمنين بالتراث العبراني المعادى للحضارة المصرية، ولكن ألمنى أكثر أن المترجم قرأ العهد القديم. فكيف لم يكتشف أن المجرمين الحقيقيين من واقع معظم أسفار العهد القديم هم اليهود، وبالتالي كانت أمامه فرصة للرد على أكاذيب الأصوليين اليهود من واقع كتابهم الذي يقدسونه وكمثال واحد فإن إله العبرانيين يحرض بنى إسرائيل على سرقة المصريين فيقول لهم "حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين" (الخروج ٣: ١٨ - ٢٢) وأكثر من ذلك فإن هذا الإله العبراني ينزل بنفسه في منتصف الليل ليقول كل بكر في أرض مصر (الخروج ١١: ٤-٧).

الهوامش:

- ١- ترجمة رفعت فوده. الناشر: الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ط ١ عام ١٩٩٤.
- ٢- الفولكلور في العهد القديم ترجمة د. نبيلة إبراهيم - هيئة الكتاب المصرية عام ١٩٧٤ - ج ٢ ص ١٢.
- ٣- موسى والتوحيد ترجمة د. عبد المنعم الحفنى - ص ٨٤، ١٠٩، ١٣٥.
- ٤- تاريخ الشرق الأدنى القديم - ج ٣ ص ٣٢٥، ٣٨٤.
- ٥- قراءة سياسية للتوراة، الناشر: رياض الريس للكتب والنشر ص ٩٢.
- ٦- نقلاً عن شفيق مقار، المصدر السابق ص ٣١١.

مصطلحات عبرية

إعداد: وحدة الترجمة

١- بلوجوت هاليلاميو حدوت - السرايا الليلية الخاصة:

وحدات كوماندو خاصة، تشكلت لمحاربة المجموعات العربية المسلحة، التي عملت خلال الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩، وقد سُميت بالإنجليزية Special Night Squads وقد أقام هذه السرايا وقادها الضابط الإنجليزي "تشالرز أورد فينجيت"، الذي كان من أشد مؤيدي المشروع الصهيوني وحظي بلقب "الصديق".

عمل في السرايا الليلية جنود بريطانيون ومتطوعون يهود من أعضاء منظمة "الهجاناه". وقد خاضت هذه السرايا معارك غير عادية ضد العصابات وحظيت بنجاح كبير. وبعد اشتداد حدة الخط البريطاني المناوئ للصهيونية ولمشروع بيع اليهود في فلسطين، طُرِدَ فينجيت من فلسطين وكتب في سجل خدمته العسكرية أنه ممنوع من دخول فلسطين. وقد قتل في جبهة "بورما" في الحرب العالمية الثانية. وقد تم حل السرايا الليلية في يوليو من عام ١٩٣٩.

٢- بلوجوت ساديه - سرايا ميدان:

وحدات تشكلت عام ١٩٣٧ في إطار منظمة "الهجاناه" لمحاربة المجموعات العربية المسلحة، وسُميت باختصار "بوش" .. وهذه الوحدات تطورت عام ١٩٣٨ إلى قوة قطرية أخذت على عاتقها حماية مناطق استيطان مختلفة.

كان الجديد في عمل هذه الوحدات هو الخروج من مجال المستعمرات إلى الميدان لاستقبال العصابات العربية في المناطق الواقعة خارج حدود المستعمرات.

٣- تشيلينوف/ يحيثيل:

هو أحد زعماء الصهاينة في روسيا والهستدروت

الصهيونية العالمية. وُلِدَ في روسيا عام ١٨٦٣، ونشط منذ شبابه في حركة هواة صهيون، وكان من بين مؤسسي نقابة الطلبة (بنى صهيون) في وارسو. كما عمل عضواً في اللجنة التنفيذية الصهيونية للهستدروت الصهيونية العالمية، وكان أحد زعماء معارضي مشروع أوغندا.. وفي عام ١٩١٣، اختير نائباً لرئيس الإدارة الصهيونية العالمية.

توفي في لندن عام ١٩١٨ ونُقلت رفايته ودُفِنَتْ في المقبرة القديمة في تل أبيب. وقد أطلق اسمه على مستعمرة زراعية في الجنوب اسمها "تلمى يحيثيل"، وكذلك على أحياء وشوارع في بعض المدن الإسرائيلية.

٤- ريانوت راشيت - حاخامية رئيسية:

أعلى مؤسسة حاخامية لليهود في أرض إسرائيل "فلسطين". أقيمت عام ١٩٢١ بموجب نظام الكنيست الإسرائيلي الذي وُضِعَ إبان عهد الانتداب البريطاني على فلسطين. ويرأس الحاخامية الرئيسية حاخامان: أحدهما أشكنازي، ويمثل الطوائف اليهودية الغريبة، والآخر سفاردي يمثل الطوائف اليهودية الشرقية. وقد كان الحاخام الرئيس السفاردي يُسمى أيضاً "هارتشون لتسيون"، بحكم التقليد الذي كان سائداً إبان الحكم العثماني.

ويضم مجلس الحاخامية ثمانية حاخامات، نصفهم من الأشكناز والنصف الآخر من السفارديم. وهذا المجلس يُنتخب لفترة مدتها خمس سنوات. يعتبر المجلس أيضاً بمثابة "المحكمة العليا للاستئناف"، والتي مهمتها مناقشة القرارات الصادرة عن المحاكم الدينية المركزية.

الصحف الرئيسية في إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناها باللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت (يومية)	آخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً في إسرائيل إذ يقرأها حوالي ثلثي قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٢٠٠ ألف نسخة يومياً و ٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعي (الجمعة)
٢	هاآرتس (يومية)	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هي كتلة الإعلام "شوكين"	العدد اليومي (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعي (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف (يومية)	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودي الإعلامية	العدد اليومي (١٦٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعي (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه (يومية)	المراقب	١٩٣٨	المفدال (الحزب الديني القومي)	العدد اليومي (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيزورز اليم بوست (يومية)	بريد القدس	١٩٣٢	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجرودن	العدد اليومي (٢٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعي (٥٠ ألف نسخة) (توزع يومياً طبعة دولية في أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية في أوروبا)
٦	جلوبس (يومية اقتصادية)	-	١٩٨٣	شركة "جلوبس لتونوت للنشر" التي تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هاموديع (يومية)	المخبر-	-	حزب أجودات يسرائيل	العدد اليومي (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٢٠٠٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي 6 - 229 - 227 - 977 I.S.B.N.



مخبرات اسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز في عام ١٩٦٨ كمركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام المصري والعربي بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار في مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك في عضوية المركز التي تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التي يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التي يصدرها في لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج في خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

